النبي محمد

(صلي الله عليه وسلم)

تأليف

د/ شاكر صبري

إهداء

إلي كل من أثري نهر المعرفة ، إلي كل من علمني حرفاً

أُهدي هذا الكتاب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن من أهم ما يعني المؤمن أن يدرك مدي المعجزة في حياة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، وبما أننا نعيش عصر العلم والاكتشافات العلمية، تبرز الحاجة للبحث في شخصية المصطفى عليه الصلاة السلام لإدراك عبقريته وعظمته بما يشهد على صدق هذا النبي الأميّ ، ومثل هذا البحث يمكن أن يساهم في تصحيح نظرة الغرب والملحدين عن نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام

لقد فكرت طويلا وكثيرا وتأملتُ في شخصية النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، فحين تقارنه بإنسانٍ عاديٍّ مهما كانت مكانته ستجد الفارق كبير والبون شاسع .

والبشر كلهم يخطئون حتي العظماء منهم والمتألقون ، إلا النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، ومع ما وصل إليه محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم من الكمال وهي غاية لن يصل إليها بشر فقد كان يعيش كما يعيش الناس ، يتزوج وينجب ويأكل ويمشي في الأسواق ، ويجاهد في سبيل الله ، ومع كل هذا فقد كانت قوته البدنية غير واهية كما نجد في العباقرة والمتميزين المرفهين غالباً ، حين نقول ذلك فإننا نقول : إن محمداً بن عبد الله بشرٌ ولكنه نال مرتبة الملائكية .

إن التاريخ الإنساني على وجه الأرض لم يعرف عظيما من العظماء ولا زعيما من الزعماء ولا مصلحا من المصلحين استوعب في صفاته الذاتية والعقلية والنفسية والخلقية والدينية والروحية والاجتماعية والإدارية والعسكرية والتربوية ما استوعبته شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اختصه الله به من الكمالات التي تشرق في كل جانب من جوانبها وتضيء في كل لمحة من لمحاتها ، حتى استحق أن يصفه الله عزوجل بالنور في مثل قوله تعالى (قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين) سورة المائدة 15.

لكل هذا وجدت أن شخصية النبي صلي الله عليه وسلم جديرة بالبحث وجديرة بالاهتمام بتحليلها ووصفها لمن يحتاج إلي معرفتها أكثر ، ومنها إلي معرفة الله ، ولمن يحتاج معرفتها لتأكيد ثقة وفهم في عالم كثرت فيه التحديات وانتشرت فيه الأقاويل والأهواء خاصةً من أعداء هذا الدين الذين يحاولون أن يشوهوا صورة الإسلام في صورة نبينا عليه الصلاة والسلام .

وحين نتجاوز هذا الجانب إلي الجانب العملي ، فالنبي صلي الله عليه وسلم هدي الله به من الخلق ما لا يعد ولا يحصي فهو أكثر إِنْسانٍ علي وجه البسيطة هدي الله به المخلوقات ، حتي من الأنبياء ، ولكثرة أثر النبي صلي الله عليه وسلم في البشرية ونجاح دعوته وكثرة أتباعه وطول أمدها ، فقد نال النبي صلي الله عليه وسلم من الحقد ما لم ينله غيره من البشر علي مدي التاريخ ، فأعداء الإسلام يحاولون دائماً أن يشوِّهوا صورة النبي محمد صلي الله عليه وسلم لأنهم وجدوا أنهم لن يستطيعوا أن يمحوه من أذهان محبيه ، فيسعون جاهدين لعمل بلبلة عند كل من يدين بالإسلام فيما يخص نبيهم الكريم ، بتشويه صورة نبيهم وحامل لواء الإسلام سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم .

لكل هذا حاولت جاهداً أن أبذل جهداً في هذا الأمر ، ولعل الله يتجاوز عن أي تقصير مني ، فمهما بذلنا من جهدٍ فلن نعطي للنبي صلي الله عليه وسلم قدره ولن نوفيه حقَّه .

ونأمل من الله سبحانه وتعالي ، أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وأن يكون لنا لا علينا ، راجين من المولي سبحانه وتعالي أن يكون النبي صلي الله عليه وسلم شفيعاً لنا يوم القيامة ، اللهم آمين ، والله الموفق

د/ شاكر صبري

دمياط – فارسكور - كفر العرب

1/ 1/ 2022م

صورته صلي الله عليه وسلم في الكتب السماوية

قال تعالي في سورة الأعراف "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكنتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"

وقال تعالي " يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" سورة البقرة الآية: **146**

وقد نص إنجيل برنابا علي التصريح برسالته صلي الله عليه وسلم مثال ذلك ما ورد في الإصحاح الحادي والأربعين عن إخراج آدم وحواء من الجنة حيث نص علي " فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس فلما التفتَ آدم رأي مكتوبا فوق الباب لا إله إلا الله محمد رسول الله " وقد أيد المخطوطات التي عثر عليها في منطقة البحر الميت حديثا ما ورد في نصوص إنجيل برنابا المذكورة "

يقول الأستاذ عبد الحق (من علماء المسيحية) إن اسم الرسول العربي أحمد مكتوب بلفظه العربي في السما ميدا من كتب البراهمة وقد ورد في الفقرة السادسة من الجزء الثاني ونصها إن أحمد تلقي الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست من النور كما يقتبس من الشمس وفي مواضع كثيرة من الكتب البهمية يري المؤلف أن النبي صلي الله عليه وسلم محمد موصوف بوصفه الذي يعني الحمد الكثير والسمعة الجيدة ، ومن أسمائه الوصيفة اسم استشرافا الذي ورد بكتب زاردشت التي اشتهرت باسم الكتاب المجوسية فاستدرج من كتاب زندا فستا نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين سوشياتنا ويتصدي له عدو يسمي بالفارسية القديمة أبو لهب ويدعو إلي إله واحد لم يكن له كفوا أحد" .

وهناك نبوءة أخري من الإصحاح الخامس في سفر أشميا " ويرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصي الأرض فإذا هم العجل يأتون ليس فيهم رازح ولا عاشر ولا ينعسون ولا ينامون ولا تنحل حزم أحقابهم ولا تتطلع سيور أحذيتهم سهامهم مستوية وجميع مشيهم ممدود محدودة حوافر خيلهم كأنهم الصوان " وفي الإصحاح الثاني في سفر دانيال " أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثالٍ عظيم

هذا التمثال العظيم البهي جدا يبقي قبالتك ومنظره هائل رأس هذا التمثال من ذهب جيد وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذه من نحاس ، وساقاه من حديد وقدماه بعضها من حديد والبعض من زخرف كنت تنظر إلي أن قطع حجر معين فضرب التمثال علي قدميه اللتين من حديد وخف فسحقهما أنس حق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافة البيدر في الصرف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان أنا الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملا الأرض نورا

وفي الإصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متي يقول : لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة لعمل إثماره ومن سقط علي هذا الحجر يتربض ومن سقط هو عليه يسحقه وفي الإصحاح أيضا من إنجيل متي يقول المسيح " اِسْمَعُوا مَثَلاً آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْماً وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً وَبَنَى بُرْجاً وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ ، فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضاً وَقَتَلُوا بَعْضاً وَرَجَمُوا بَعْضاً . ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضاً عَبِيداً آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذَلِكَ ، فَأَخِيراً أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الاِبْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ : هَذَا هُوَ الْوَارِثُ ، هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ ، فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ ؟ قَالُوا لَهُ: أُولَئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكاً رَدِيّاً وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا .

ومن هذه الكتب كتاب باللغة الإنجليزية ألفه مولانا عبد الخالق وسماه محمد في الأسفار الدينية واستفاد من مقارناته بالفارسية واليونانية والعبرية بل عن البحث في كتب فارس والهند وبابل القديمة . وأورد البخاري في صحيحه ومسلم في كتاب الجهاد والسيرة ما صرح به هرقل ملك الروم حين استلم رسالته صلي الله عليه وسلم وسأل رجال قريش عنه قال " وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم " صحيح البخاري ومسلم

وحين تحدث المسيح عليه السلام إلي الحواريين عن الرسول صلي الله عليه وسلم وأخبرهم أنه قادم إلي العالم سأله الحواريون ما معلم من عسي أن يكون ذلك الرجل الذي سيأتي إلي العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب " إنه محمد رسول الله " .

وفي الإصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا نجد قول المسيح " إن لم أنطلق يأتيكم الفار قليط " و الفار : كلمة سريانية مشتقة من فاران بمعني مكة وجبل فاران جبل حراء وقليط بمعني الخاتم وتأتي يعني محمد أو أحمد

وما ورد في الإصحاح الحادي والأربعين عن إخراج آدم وحواء من الجنة ، حيث نص على ما يلي " فاحتجب الله ، وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس ، فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا في إنجيل برنابا .

فقد بقيت بعض النصوص التي تشير بشكل صريح إلي ذلك ، فقد نصت التوراة المتداولة بين الأحبار علي ظهور النبي محمد صلي الله عليه وسلم في مكة في نص جاء فيه " جاء الرب سينا وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل مكران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة نار "

ويؤكد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالي " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" سورة الصف الآية: 6

نطفته صلي الله عليه وسلم

نطفته محمد صلي الله عليه وسلم من النور الذي انتقل إلي أمه آمنة من أبيه عبد الله والذي كانت تتهافت عليه النساء للزواج منه قبل زواجه بآمنة ، حيث كانت تتهافت عليه جميلات قريش لحسبه ونسبه ووسامته وشبابه ثم العامل الأكبر هو أن هناك نورا كان يشع منه لا يدركون كنهه ولا سره ولكن بعد زواجه من السيدة آمنة أعرضن عنه .

ولنتذكر قول الحسناء لعبد الله أبو النبي صلي الله عليه وسلم حينما أقبل إليها وكان ذلك قبل انم يتزوج بأم النبي صلي الله عليه وسلم ، وكانت قدْ عرضت نفسها ومالها عليه ورضيت أن تكون له زوجة ثانيةً بعد أن قضي وقتا مع السيدة آمنة فأجابت تهمهم

فلما قضت منه أمينة ما قضت نبا بَصري عنه وكل لساني

والسبب وإن لم تكن قد فهمته ولكنها أحسته أن النور الذي كان يعلوه قد ذهب ، وما ذلك إلا لأن النطفة التي كانت سببا في هذا النور قد زرعت في رحم أمه .

نسبه صلي الله عليه وسلم

روي إسحاق عن قتادة مرسلا قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث " عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) وقد يكون المراد بالخلق هنا التقدير دون الإيجاد فإنه قبل أن تلده أمه لم يكن موجوداً ولكن الكمالات والغايات سابقة في التقدير لاحقه في الوجود ، بأن جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها ، وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت .

وجاء عن العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ في طينته . رواه الإمامُ أحمد

ويقول الحافظ أبو الفرج بن رجب رحمهُ الله تعالي المقصود من هذا الحديث أن نبوة النبي صلي الله عليه وسلم كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله ويخرجه إلي الدنيا حيا .

ويروي الإمام أحمد عن ميسرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله متي كنتُ نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد " رواه أحمد في المسند

عدنان الجد الذي ينسب إليه النبي صلي الله عليه وسلم وهو بن إسماعيل عليه السلام وولد لعدنان ولدان عك ومعد وعك نزح إلي اليمن وتزوج من الأشعريين و معد نزل بمكة ثم ولد له قضاعة وقنص ونزار استقر بمكة وقضاعة نزل إلي حمير وقنص هلك ومن أولاد نزار ربيعة وإياد ومعد ولم يستقر واحد إلي جوار بيت الله الحرام سوي معد وكان محبوبا مقدرا وكان صاحب فضل وجود ثم كان منه إلياس الذي حافظ علي ملة أبيه إبراهيم وحافظ علي الشرائع وقيل انه أول من أهدي البدن إلي البيت الحرام وكان في قومه مثل لقمان في قومه وكان منه عامر وطابقة وقسعة وكان عامر فارسا مقداما ، ومن عامر كان خزيمة وهذيل وكان خزيمة أشرف الأنس ثم أنجب كنانة وهي التي اصطفاها الله من ولد إسماعيل وأسد والهون وسمي كنانة لأنه اختص بحفظ أسرار الخلقة وكان شيخا عظيم القدر ، تحج إليه العرب لعلمه وفضله وكان يأنف أن يأكل وحده ، ثم كان منه النضر ومالك وعبد مناه وملكان ثم كان من النضر مالك وخالد ومن مالك كان فهر سمي فهر بقريش لأنه كان يقرش يعني يفتش عن المحتاج ، ومن فهر كان غالب ومحارب والحارث وأسد وغالب هو جد النبي ومن غالب لؤي وتميم ومن لؤي كان كعب ومن كعب كان مرة ثم كلاب وكان كلاب يجمع قومه يوم العروبة أي الجمعة وكلاب اكتسبها من كثرة استخدامه الكلاب للصيد واسمه حكيم وأنجب كلاب قصيا جد النبي لأبيه وزهرة جده لأمه ،. ثم عبد مناف وهو جد النبي صلي الله عليه وسلم وعبد الدار وعبد العزي وعبد بن قصي وامتاز عبد مناف بالوفاء والاحترام لذاته ثم كان من عبد مناف هاشم والمطلب وسمي هاشم لأنه كان يهشم الثريد أي يفتته للناس أيام المجاعة حتي أشبعهم ثم كان من هاشم عبد المطلب وكان ملقبا بمطعم الطير وكان رجلا مجاب الدعوة ومنه كان عبد الله الذي اشتهر بالفروسية وشرف النفس ورعاية الضعفاء وحماية المجاويع ثم كان من عبد الله محمد صلي الله عليه وسلم فالنبي صلي الله عليه وسلم خيار من خيار من خيار فهو مكرم من قبل أمه وقبل أبيه ثم هو من مكة أكرم البقاع علي الله وأطهرها في الأرض وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك فحين سئل أبو سفيان عنه فقال هو فينا ذو شرف فأشرف القوم قوما وأشرف القبائل قبيلة وأشرف الأفخار فخرة .

عن عمرو بن سعيد بن العاص عن سيابة بن عاصم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : (أنا بن العواتك من سليم) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير .

وروي أن الرسول صلى الله عليه وسلم في إحدى المعارك وهو يضرب بالسيف قال " خذها وأنا ابن العواتك" ، لأن جداته العواتك من أرومة تضرب بالسيف وهي سليم ومن ورائها قيس عيلان.

الفواطم اللائي ولدن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خمس: قرشية وقيسيتان ويمانيتان.و القرشية هي أم أبيه عبد الله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران ابن مخزوم المخزومية .

والنبي صلي الله عليه وسلم بن الذبيحين ، والذبيحان هما : سيدنا إسماعيل الذي جاء الأمر لأبيه إبراهيم عليهما السلام بذبحه ثم فداه الله بكبش ثمين والذبيح الثاني هو أبوه عبد الله بن عبد المطلب حيث كان جده عبد المطلب لا ينجب فنذر لأن رزقه الله بعشرة أولاد ذكور ليذبحن أحدهم تطوعا للآلهة ولما رزقه الله بذلك جمعهم وأعلمهم بنذره فقالوا له افعل ما شئت وأقرع بينهم فوقعت القرعة علي عبد الله واستجاب الفتي لأبيه ووافق ما طلب وهم عبد المطلب بذبحه ولكن قريشاً قامت ولم تقعد حتي منعوه من هذا وأشاروا عليه أن يتجه إلي كاهنة في بلدة في الجزيرة العربية وذهب إليها فأشارت عليه أن يعيد القرعة بين عبد الله وبين عشر جمال وهي دية الفرد عندهم فإن وقعت علي عبد الله أعادها حتي تقع القرعة علي النوق وساعتها يفدي بكل مرة عشرة جمال وفعل ذلك حتي وصلت القرعة إلي عشر مرات ففدي ابنه عبد الله بمائة ناقة وهو عدد كبير جدا من الإبل بالنسبة لأحوال العرب وبعدها زوجه من آمنة ثم سافر في رحلة تجارية إلي بلاد الشام فمات أثناء عودته من تجارته ولم تكتمل فرحته بنجاة ابنه الذي فداه بمائة من النوق ولكن كل هذا هو تمهيد إلهي لأن ينجب خير البشر أجمعين ويكون قد أدي رسالته أو دوره لأنه يحمل نطفة هي خير نطفة لإِنْسان عرفته البشرية .

نبيٌ عريق النسب وليس بالوضيع الخامل فيصغر قدره في أمة الأنساب والأحساب فقير وليس بالغني المترف فيطيعه بأس النبلاء والأغنياء ويغلق قلبه ما يعلق القلوب من جشع القوة والبأس يتيم بين رحماء فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التدليل ملكة المجد والإدارة والاستقلال وليس هو بالمهجور

المنبوذ الذي تقتل فيه القوة وروح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح وفضيلة العطف علي الآخرين .

إن الرسالة فضل من الله تعالي يختص به من يشاء من عباده ولا ينال هذا الشرف إلا من كان أهلا لأن يحمل هذه الأمانة وينال هذا الشرف والأنساب الطاهرة دائما كما يتعارف الناس وكذلك الأصل الطيب يشهد له الجميع بذلك هذا هو ما كان للنبي صلي الله عليه وسلم من طاهر الأنساب قاطبة .

ويقول صلي الله عليه وسلم " إن الله اصطفي من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفي من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفي من بني كنانة قريشا واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " حدثه بن عبد البر .

وفي صحيح مسلم أنه صلي الله عليه وسلم قال " إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنانَةَ مِن ولَدِ إسْماعِيلَ ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ ، واصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ ، واصْطَفانِي مِن بَنِي هاشِمٍ ".

مولده صلي الله عليه وسلم :

ولد سيد المرسلين بشعب بني هاشم بمكة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول لأول عام من حادثة الفيل ولأربعين سنة خلت من ملك كسري أنوشروان وروي بن سعد أن أم رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نورٌ أضاءت له قصور الشام وروي أحمد عن العرياض بن سارية ما يقارب ذلك وقد روي أن إرهاصات البعثة وقعت عند الميلاد فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسري وجمدت النار التي يعبدها المجوس والكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت هذه المياه ، روي ذلك البيهقي .

وولد النبي صلي الله عليه وسلم نظيفا ليس عليه من أقذار الولادة شيءٌ ، واضعا يديه علي الأرض رافعا رأسه رامقا بطرفه إلي السماء ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوماً.

ودنفت الكواكب يوم ولادته فأضاءت بأنوارها ، فيما روته فاطمة الثقفية قالت لما حضرت ولادة النبي صلي الله عليه وسلم رأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتي ظننت أنها ستقع علي " البيهقي .

وكانت تقول أمه آمنة ما شعرت أني حملت به و لا وجدت له ثقلة كما تجد النساء ، إلا أني قد ذكرت رفع حيضتي وربما كانت ترفعني وتعود واتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت أنك حملت فكأني أقول ما أدري ؟ قال إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الاثنين قالت فكان ذلك مما أيقن عندي الحمل ثم أمهلني حتي إذا دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال " قولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد ، قالت فكنت أقول ذلك فذكرت ذلك لنساء فقلن لي تعلقين حديداً في عضديك وفي عنقك قالت ففعلت قلت لم يكن ترك إلا أياما فأجده قد قطع فكنت لا أعلقه .

ويقول أبو جعفر محمد بن علي أمر أمه وهي حامل برسول الله صلي الله عليه وسلم أن تسميه أحمداً ورأت حين ولدته كأن نورا سطع منها أضاء لها قصور الشام ، وذكر القيرواني في كتاب البستان قال : كان عبد المطلب قد رأي في نومه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في الشرق وطرف في الغرب ثم عادت كأنها شجرة علي ورقة منها وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض ولذلك سماه محمدا .

وروي بن عباس أنه لما توفي أبوه قالت الملائكة تخاطب مولاها إلهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما " فقال الله تعالي " أنا له حافظ والمسير " .

كرامة مولده وما حدث في يوم مولده

لما حملت أمه به صلى الله عليه وسلم كانت ترى كل يوم في الرؤيا أحد الأنبياء و المرسلين يبشرها أنها سوف تلد سيدهم .

رسول الله لما ولد خرج معه نور رأت أمه قصور بلاد الشام على هذا النور ، و لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيطت مكة بكوكبة من الملائكة بقيادة جبريل عليه السلام وكانت الأكوان كلها تحتفل بيوم ولادته .

كسرت الأصنام و هوت على وجوهها ، وتصدع إيوان كسرى و غيرها من المعجزات التي تدل على أن مولود الليلة هو مولودٌ غير عادي .

وما من بشر يقتنع بتلك الرسالة لمحمد صلي الله عليه وسلم من تلك البشائر التي صاحبت مولده صلي الله عليه وسلم وبعض المنكرين يتعللون بأن هناك غيره من ولد في نفس اليوم الذي وقعت فيه هذه البشائر فيمكن أن تكون الرسالة خاصة بهم ولكن من العقل أنه لا أحد منهم نزل عليه الوحي ولا حتي ادَّعي أنه نزل عليه الوحي منهم في أي مكان في الأرض من من كانوا في سنه صلي الله عليه وسلم وهذا دليل علي أن كل البشائر التي كانت خاصة بالنبي صلي الله عليه وسلم كانت خاصة به وحده صلي الله عليه وسلم .

وختن يوم سابعه ، وأول من أرضعته من المراضع بعد أمه ، ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنٍ لها يقال له مسروح وكانت أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب ، وأرضعت بعده أبا سلمة المخزومي

كانت العرب يعطون أولادهم الرضع لمرضعات من البادية حتي ينشأ اطفالهم في جوٍ صحي وسط الصحراء فيساعد علي قوة أبدانهم .وكان النبي صلي الله عليه وسلم من نصيب مرضعته حليمة السعدية ، ومن بركاته صلي الله عليه وسلم ما روته حليمة السعدية قالت بعد أن أخذته معها ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من العرب أجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قومنا معنا شباعا لبناً فتحلب ونشرب وما يحلب إنْسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتي كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامنا جياعا وما تبقي بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل من الله في الزيادة والخير حتي مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتي كان غلاما جفرا .

قالت : فقدمنا به علي أمه ونحن أحرص علي مكثه فينا لما كنا ندري من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت ابني عندي حتي يغلُظ فإني أخشي عليه وباء مكة فلم نزل بها حتي رددته منها .

شق صدره صلي الله عليه وسلم .

وعن حادث شق الصدر روي أنه كان عنده صلي الله عليه وسلم أربع سنوات ، وتكرر هذا الحدث وكان عمره عشر سنوات كما رواه أحمد وابن حبان والحاكم وبن عساكر من حديث أبي هريرة

وعن واقعة شق الصدر تقول مرضعته حليمة السعدية : وهكذا بقي رسول الله صلي الله عليه وسلم معنا في بني سعد حتي إذا كانت السنة الرابعة أو الخامسة من مولده وقع حادث شق الصدر ، وقد روي مسلم عن أنسٍ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلي مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلي أمه من الرضاعة السيدة حليمة فقالوا إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو ممتقع اللون .

كفالته صلي الله عليه وسلم

وماتت أمه وهو بن ستة أعوام وتكفله جده عبد المطلب وكان صلي الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتي يجلس علي فراش عبد المطلب فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب : إذا رأي ذلك منهم دعوا ابني فوالله إن له لشأنا ثم يجلسه معه في فراشه ، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يصنع ولثمان سنوات مات جده .

وتكفل به عمه أبو طالب فكان يأخذه معه دون أولاده ، ويرعاه بنوع خاص من الرعاية فهو بن أخيه المتوفي وكان حب أبيه الشيخ الجليل وأخذه مرة إلي الشام ، ولما بلغ رسول الله اثنتي عشرة سنة ارتحلَ معه تاجراً إلي الشام حتي وصل إلي بصري وهي معدودة من الشام وقصبة لحوران وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيري وابن جرجيس فلما نزل الركب إليهم وأكرمهم بالضيافة وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وعرف رسول الله صلي الله عليه وسلم بصفته ، أخذ بيده وقال هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال أبو طالب وما علمك بذلك ؟ فقال إنكم حين أشرقتم من العقبة لم يبق حجرٌ ولا شجرٌ إلا خر ساجدا ولا تسجد إلا لنبي، وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به إلي الشام خوفاً عليه من اليهود فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلي مكة

وكان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده وكان لا ينام إلا في جنبه ويخرج فيخرج معه و صُبَّ به أبو طالب صبابةً لم يصب مثلها قط وكان يخصه بالطعام وكان إذا أكلَ عيال أبو طالب جميعا أو فرادي لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله صلي الله عليه وسلم شبعوا فكان إذا أراد أن يغذيهم قال : كما أنتم حتي يحضر ابني وإن أتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فيأكل معهم فكان يفضل من طعامهم وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب إنك لمبارك .

عبادته صلي الله عليه وسلم للأصنام

النبي صلي الله عليه وسلم لم يسجد لصنمٍ قط في حياته حتي قبل نزول الوحي عليه ، فعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال حدثتني أم أيمن قالت : كانت هناك صنم لقريش تحفزه وتعظمه وتنسك له النسائك ويحلقون رؤوسهم عنده ويعكفون عنده يوما إلي الليل وذلك يوما في السنة وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يطلب من رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فأبي رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك حتي رأي أن أبا طالب قد غضب عليه ورأي عماته غضبت عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا قالت فما زالوا به حتي ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوباً فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال " إني أخشي أن يكون بي لمم " فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال البر ما فيك فما الذي رأيت ؟ قال " إني كلما دنوت من صنم تمثل لي رجل أبيض يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسُّه " قالت فما عاد إلي عيدهم حتي تنبأ .

مبشرات النبوة

لقد رأي ربيعة بن النضر ملك اليمن رؤيا فجمع الكهان فقال لهم أخبروني بها فقالوا لا ندري اذهب إلي" سطيح وشق " وهما كاهنان ، وكانت تفصلهم عنه مسافات ، ووصلوا إلي سطيح فقال له : إني رأيت رؤيا هالتني فأخبرني بها فقال سطيح : نعم فقال رأيت حما خرجت من ظلما فوقعت في أرض تهمة فأكلت كل ذات جمجمة ، قال الملك ما أخطأت ، فما عندك من تأويلها ؟ فقال سطيح : أحلف بما بين أرض الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش ، فقال الملك هل هذا في عهدي أو بعده فقال بعد ملكك بستين ، ثم يقتلون يقتلهم إرم رجل قوي ، إرم بن ذي يزن من بني عدي

باليمن ، فقال : ومن يقطعه ؟ قال نبيٌ ذكي يأتيه الوحي من قبل العلِّي ، ولد من فهر قال الملك أحق ما تخبرني يا سطيح ؟ قال والغسق والشفق والليل إذا وسق إن ما أخبرتك به لحق فجاء شق فقال له نفس المعني .

ومن مبشرات النبوة ما ذكر في كتب السيرة أن النبي صلي الله عليه وسلم وهو صغير أصابه رمد فذهب به جده إلي راهب كان معروفا بعلاج الصبية من الرمد فلما وقف عليه عبد المطلب عند ديره وناداه اهتز الدير فنزل الرجل مسرعا ونظر إلي الرسول صلي الله عليه وسلم فعرفه بما يذكر من علاماته في الكتب القديمة فقال لعبد المطلب إن هذا دواؤه معه خذ من ريقه وضع علي عينيه ففعل ذلك عبد المطلب فبرئ النبي صلي الله عليه وسلم علي الفور .

ومن أشهر الذين بشروا عبد المطلب بنوة حفيده سيف بن ذي يزن الحميري ملك اليمن وقصة ذلك ما رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي أن سيف بن ذي يزن الحميري ملك اليمن لما ولي علي اليمن ، و ذلك بعد مولد النبي صلي الله عليه وسلم بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها وشعراءها لتهنئته بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم لأن ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر معهم سبعين سنة وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب فلما دخل عليه وخطب له خطبة فيها تهنئة وتعظيم لبطولاته قال سيف بن ذي يزن من أنت أيها المتكلم ؟ فقال : عبد المطلب بن هاشم قال بن أختنا لأن أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال : نعم قال ادن مني ثم أكرم القوم شهرا كاملا بأمر الملك حبا وتقديرا ثم أسر إلي عبد المطلب وقال إني مفض إليك بسر من علم لو عندك لم تبح به ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعه أي عليه فليكن عندك مخبئا حتي يأذن الله عز وجل منه ثم أخبره الخبر بأن هناك نبي سوف يبعثه الله سيكون سيد العالمين وسوف يكون من صلب جده عبد المطلب وسوف يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه إلي آخر ما قال ودخل اليقين من كل ذلك إلي عبد المطلب ، ثم أمره إن يحفظ السر ولا يعلم بذلك أحداً من اليهود ولا غيرهم ودعا بني هاشم وأهدي كل واحد منهم هديَّةً عظيمة ، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ما أهدي إلي القوم ، وقال إذا حال الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب

كثيراً ما يقول لمن معه لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك ، ولكن يغبطني بما سيعلم ما أقول ولو بعد حين .

وينقل بن إسحاق عن رجال من الأنصار قولهم : إن مما دعانِ إلي الإسلام مع رحمة الله تعالي وهداه ما كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا بدا منا لهم ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يبعث نقتلكم معه قتل عاد وإرم .

قصة بُحَيْري :

أخذ أبو طالب ابن أخيه نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وهو صغير في رحلةٍ إلي الشام وأثناء الرحلة جلس القوم ليستريحوا ، بجوار صومعة راهبٍ من أهل الكتاب يسمي بحيري .

وحين نظر بحيري من صومعته فرأي الرسول صلي الله عليه وسلم وقد ظللته غمامة من بين الذين معه وكان بحيري قد صاحب الرهبان مدة طويلة في بلاد الشام وعرف منهم أخبار نبي يبعثه الله من أرض مكة تختم نبوته النبوات وعرف من الرهبان علامات ذلك النبي فلما رآه اتضحت له إمارات كثيرة من التي عرفها من علماء الإنجيل ، فنادي أنتم جميعا يا معشر قريش ضيوفي فدخلوا الصومعة فلم يلاحظ بحيري وجود ما كان ينشده فقال لهم ألم يتخلف منكم أحد عن الحضور إلي هنا ؟ قالوا لم يتخلف إلا غلامٌ صغير تركناه عند أمتعتنا فقال بحيري لا تخافوا علي أمتعتكم وأحضروا الغلام معكم وكان صلي الله عليه وسلم إذ ذاك في الثانية عشرة من عمره فلما دخل الصومعة ارتفع بابها وكان قصيرا فلم يحن النبي صلي الله عليه وسلم رأسه عند الدخول كما فعل غيره ممن دخلوها قبله وإذ ذاك أقبل بحيرى علي الرسول صلي الله عليه وسلم يكلمه ويسأله عن أمورٍ يشاهدها في نومه ويقظته كي يتثبت من أمره قال له إني أسالك عن أمور وأقسم عليك باللات والعزي ألا تكتم عني شيئا فما قال هذه الكلمة حتي ظهر الغضب الشديد في وجه النبي صلي الله عليه وسلم وقال لبحيري " لا تقسم علي باللات والعزي فما أبغضت شيئا قط بغضي لهم وبغضي للأصنام كلها " فلم يعد عند بحيري شك في أن هذا هو الرسول الخاتم الذي بشرت به التوراة والإنجيل وبشر به الأنبياء من قبل

فأخذ يقول والملأ من قريش يسمعون ما يقول : هذا سيد العالمين وسيبعثه الله رحمة للخلق أجمعين ، فقال أبو طالب ومن أعلمك بهذا ؟ فقال إننا نجد صفته في كتبنا فأسرع به حذراً عليه من اليهود فإنهم أهل حقد وحسد ، وأنا أخافهم عليه فعجل أبو طالب بتصريف ما كان معه من تجارة ثم عاد بابن أخيه إلي مكة وهو يزداد علما بأن له شاناً أيَّ شأن .

وكان يناول السهام لأعمامه أثناء حرب الفجار وكان عمره حينئذ خمسة وعشرين عاما ثم شهد حلف الفضول وقد عمل راعيا لغنم رعاها في بني سعد وفي مكة لأهلها علي قراريط وفي الخامسة والعشرين من عمره خرج تاجرا في مال خديجة .

ولما قارب سنه صلي الله عليه وسلم الأربعين حُبب إليه الخلاء ، فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلي غار حراء في جبل ثورٍ علي مبعدة جبلين من مكة ، فيقيم فيه شهر رمضان يطعم من جاءه من المساكين ويقضي وقته في العبادة والتفكير .

حياته صلي الله عليه وسلم كشاب

عاش النبي صلي الله عليه وسلم شاباً عفيفا يكره الغش والخداع ولم يكن يقدم علي الخطبة إلا مرة واحدة قبل خديجة فقد رأي في الكعبة امرأة شابة جميلة تطوف وليس في هيئتها ما ينكره كان اسمها ضباعة بنت عامر بن صعصعة فخطبها النبي صلي الله عليه وسلم لنفسه وشغفت المرأة به حبا ولكنه علم أنها حين كانت تطوف بثوبها المتحشم ألقت شعرا فاحشاً متغزلا في فتوته ثم ذكر له منها ما يجعله يتركها ففسخ الخطبة وحزنت المرأة حتي لقد تلفت من الكمد ، وقد أرسلت إليه خديجة فعرضت عليه نفسها أن يتزوجها وقالت له : إني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ومضي محمد بن عبد الله إلي أعمامه يذكر لهم ما كان من أمر خديجة فخرج معه حمزة أحب أعمامه إليه وأقربهم منه سناً ، وخرج معه الزبير وأبو طالب وبقية الأعمام فجاؤا خويلد بن أسد والد خديجة فخطبوها لمحمد وكان خويلد ساعتها يشرب الخمر فوافق من فوره وعقدت الحفلة ولكنه أفاق من غرة فسأل ابنته عما حدث وعلم فأنكر ذلك وقال : فمن هو ذلك الفقير لهذه الغنية الجميلة التي رفضت سادات قريش ؟ ولكنها جادلته بأنها لا تريد المال واشترت له خديجة غلاما صغيرا اسمه زيد بن حارثة فدفع لها سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ثمنه وحرره وتبناه وأقَامَ عنده كأنما هو أحد

ولده حتي أن زيد أبي أن يعود إلي أهله عندما وجده أبوه الحقيقي وخيَّرَهُ في العودة إلي أهله والبقاء مع متبنيه فاختار متبنيه .

والصغار والكبار ما زالوا يذكرون إقدامه الجسور علي فحل من الإبل كان قد جمع وتوحش وأصبح كالكواسر الضارية حتي لقد مر الشجعان من أمامه إلا أن محمدا صلي الله عليه وسلم اقتحم عليه وجذب بكل قوته فأخضعه وكبح جماحه " لم تكن قريش تعرفُ قبلُ مثل هذا الإقدام في مواجهة الخطر من أجل الآخرين لم تكن قد عرفت شجاعا مثل محمد بن عبد الله .

قد كان من أحوال النبي صلي الله عليه وسلم الاعتزال إلا في مكرمة تؤثر أو صلة رحم أو إغاثة ملهوف أو تحمل الكل فعندئذ يتصل بالناس ليتفهم ويتقرب منهم ولا ينقطع حتي وهو في عزلته لأنه ما جاء إلا لخيرهم فهي عزلة يسكن فيها إلي الله تعالي خالق الناس وكلما تتقدم به السن تزداد عزلته ويزداد تفكيره في إرضاء مولاه وتعرف صفاته وكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح كان يتعبد في غار حراء قبل البعثة وكان يتعبد علي بقايا ملة إبراهيم عليه السلام وذلك حيث وجد في ذلك العصر الحنفاء ومنهم ورقة بن نوفل وقد ورد في الصحيحين " أن رسول الله صلي الله عليه وسلم اشتكي فلم يقم للتهجد ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة هي أخت أبي سفيان فقالت : يا محمد ما أري إلا شيطانك قد تركك ، لم أر قربك منذ ليلتين أو ثلاث فأحزنه صلي الله عليه وسلم تعبيرها بعد رؤيته جبريل فأنزل الله عز وجل قوله " والضحي والليل إذا سجي ...." سورة الضحي

الرؤيا الصالحة عند النبي صلي الله عليه وسلم

قالت عائشة رضي الله عنها : أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ جَاءَهُ المَلَكُ، فَقالَ " اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنْسَانَ مِن عَلَقٍ، اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ" رواه البخاري

لعل كل ما أعطاه الله لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم من مبشرات بالنبوة هي أمور طبيعية تشترك فيها كل الأنبياء تقريبا لان الله اختارهم ورباهم علي عينه وان كان نبينا محمد صلي الله عليه وسلم هو أعظمهم عند الله قدرا ولهذا كانت صناعته علي اعلي درجة من الصناعة الإلهية ، حتي لا يجد من

كان في قلبه مثقال ذرة من خير ما يدعوه إلي الشك من النبي الذي جاء له بالرسالة من عند الله صادقاً ، لأن الله لن يرسل للناس إلا خيارهم .، وحين توجد شبهات حوله فسوف تأنف النفوس السوية من أن تستمع إليه ، ولأن جبريل الأمين لن ينزل علي فرد لا يكتمل نوره فالملك لن يتصل ببشر إلا إذا وصل البشر لدرجة من النورانية تقترب من نورانية الملك وهذا يحتاج إلي صناعة وتدبير إلهي ، وما يتأتي قط أن يوحي الله لبشر إلا إذا أصبح وكأنه قطعة من النور صفاء نفس وطهارة قلب وتزكية روح .

كانت الرؤيا الصادقة هي أول ما بديء من الوحي فكان صلي الله عليه وسلم لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح " رواه البخاري ، ومن ذلك تسليم الحجر عليه قبل النبوة كما أخبر مسلم .

وقد حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد بالليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلي أهله ويتزود لذلك " البخاري الصحيح حتي نزل عليه الوحي فجأة وهو في الغار " لما بلغ عليه السلام الثامنة والثلاثين كان صلي الله عليه وسلم لا يري الضوء والنور ويسمع صوت النداء ولا يري أحدا وحبب إليه الخلاء للعبادة والتفكر فكان صلي الله عليه وسلم معتادا العبادة والابتعاد عن الناس وذلك شان الكرام الذي لا يألفون إلا بما يناسب كرمهم فكان يخلو بغار حراء جبل قريب من مكة فيتعبد فيه الليالي فتارة عشر ليال وتارة أكثر يأخذ لذلك زاده فإذا فرغ رجع إلي بيته فتزود لمثلها وكأن الله قد ألهمه ذلك لتصفو نفسه ويتوجه بروحه الشريف إلي غير عالم المادة ويستعد لما سيكون من الله من تلقي وحيه وإنقاذ خلقه مما كان فيه من الشرور وعبادة الأصنام .

تقول المتصوفة الإنجليزية آني بيزانت في محاضرة لها عن النبي صلي الله عليه وسلم " بينما كانت حياة محمد الداخلية علي هذه الحال من النفع والطيبة والمعونة أتدري ماذا كان عليه في داخله مع نفسه ، يكافح النبي المقبل نفسه ، ويبعدها عنه في الصحراء المحيطة به التي كان ينازع فيها نفسه بنفسه من الذي يستطيع أن يصف واحدة من هذه المعارك الباطنية التي لا يعرفها إلا الرجال المختصون بالوحي الإلهي فكان محمد وقلبه مجال هذه المعارك يفزع إلي الصحراء كلما اشتدت حملاتها عليه وظل هذه الحال شهورا تليها الشهور حتي بلغت خمس عشرة سنة وتقول فهذا الرجل الذي كان أشد الناس اعتزالا للناس أصبح مصدر حياة أمةٍ برمتها وقد أمر أن يذهب إليها بنفسه " .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أول ما بُدئ به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلي خديجة فيتزود حتي فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أنا بقاريء قال فأخذني فغطني حتي بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت : ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثانية حتي بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثالثة، ثم قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم "فرجع بها وهو يرتجف فؤاده حتي دخل علي خديجة فقال زملوني فزملوه حتي ذهب عنه الروع فقال " يا خديجة مالي" وأخبرها الخبر وقال قد خشيت عليه فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين علي نوائب الحق " رواه البخاري ومسلم

حياة الدعوة :

كانت مكة مركز دين العرب وكان بها سدنة الكعبة والقوامة علي الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب فالوصول إلي المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسرة وشدة ونزل عليه صلي الله عليه وسلم القرأن في رمضان ليلة القدر وهو ابن أربعين سنة وأرهق النبي صلي الله عليه وسلم من جراء الوحي ومقدم جبريل ، ولكنه سرعان ما وجد العقل والقلب الذين يبران به وهي زوجته ثم ما طمأنته من كلام عمها ورقة فاستقر قلبه لهذا الأمر ثم عاد فعلموا أنها الرسالة .

وبدأ صلي الله عليه وسلم الدعوة سرا ثلاث سنوات ثم نزل عليه قوله تعالي " وأنذر عشيرتك الأقربين " ، فجمع صلي الله عليه وسلم نفر من بني هاشم وبني عبد مناف ومن بني عبد المطلب ودعاهم إلي الإسلام ولكنه قوبل من عمه أبي لهب بالإنكار والسب فصعد الصفا ودعا الناس ولكن عمه أبو لهب كان يثيرهم لقتله فاتجهت الدعوة إلي أول من سبه .

وقوبل بالإنكار والتكذيب من فطاحل قريش ولكن من دافع عنه عمه وزوجته .

وخافت قريش من نسبه وأعمامه ، واتجهوا إلي تعذيب الضعفاء من من آمنوا به ، ومع ذلك كان صلي الله عليه وسلم يكابد العناء منهم ، واشتد إيذاؤهم له فكان أحدهم يطرح الشاة وهو يصلي وكان أحدهم يطرحها له صلي الله عليه وسلم حتي اتخذ حجرا ليستره منهم إذا صلَّي .

وكان صلي الله عليه وسلم يجتمع بدار الأرقم بن أبي الأرقم سرا ، وكانت علي الصفا ولما اشتد إيذاء قريش للمسلمين أذن الرسول صلي الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلي الحبشة هجرة أولي ثم هجرة ثانية ، وروي الشيخان عن أبي موسي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال " رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلي أرض بها نخل فذهب وهلي إلي أنها اليمامة أو هجر فإذا هي يثرب ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا انقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته أخري فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين يوم أحد وإذا الخير من الله بعد وثواب الصدق الذي أتانا بعد يوم بدر " صحيح البخاري

الوحي والرسالة

إن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن الطبيعية حيث تلقي النبي صلي الله عليه وسلم كلام الله القران الكريم بواسطة الملك جبريل عليه السلام وبالتالي فلا صلة لظاهرة الوحي أو الإلهام أو التأمل الباطن أو الاستشعار الداخلي بل إن الوحي يتم من خارج الذات المحمدية المتلقية له ودون أن يكون لرسول الله صلي الله عليه وسلم أي تأثير في الصياغة والمعني وتنحصر مهمته بتلقي الوحي وحفظ الوحي وتبليغه " .

إن اتصال الإنس بعالم الملائكة أمر من الصعب علي الإنسي ، ولكنه يحتاج إلي تهيؤ واستعداد مسبق ، وتكون دائما أول مرة ذات أثر أغرب وأصعب ، فما بالنا إن كان هذا هو جبريل أمين الوحي وما ينزل به هو آيات من أيات الله ، فلو لم يكن الإنسان قويا فلن يتحمل ذلك .

روي عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب الوحي لرسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكان إذا نزل أخذته برجاء آلام تشبه الحمي الشديدة وعرق عرقا شديد مثل الجمان ثم تسري عنه وكنت أكتب

وهو يملي علي فلما أفرغ كأن رجلي تتكسر من ثقل الوحي حتي أقول : لن أمشي علي رجلي أبداً ، ولما نزلت عليه سورة المائدة كاد أن ينكسر عضد ناقته .

وعن عمر بن الخطاب قال "كان صلي الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوي كدوي النحل " وعن عائشة رضي الله عنها ، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي ؟ فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" قالت عائشة " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليفصد عرقا " .

عبادته صلي الله عليه وسلم بعد البعثة :

لقد سألت أم المؤمنين عائشة عن عبادته صلي الله عليه وسلم فقالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يصوم حتي نقول لا يفطر ويفطر حتي نقول لا يصوم وكان لا تشاء تراه من الليل قائما إلا رأيته ولا تشاء تراه من الليل نائما إلا رأيته وقد روي في الصحيحين البخاري ومسلم " أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قام حتي تورمت قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال صلي الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا " ، ولقد ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء أنه قال خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في شهر رمضان في حرٍّ شديد وما فينا صائمٌ إلا رسول الله صلي الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة .

وفي الصحيحين عن علقمة قال سألت عائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخص شيئا من الأيام ؟ قالت " لا وكان ديمة وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستطيعه " ، وهو أفضل الأولين والآخرين علي الله وهو سيد ولد آدم ، وخير الخلق أجمعين ولعل أعظم مظهر للزهد رفضه أن يكون ملكا كداود وسليمان وبعض الأنبياء فقد روي ابن عباس أن الله تعالي أرسل إلي نبيه أن تكون ملكا نبيا وبين أن تكون عبدا نبيا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بل أكون عبداً نبياً " رواه البخاري .

موقف قريش من النبي صلي الله عليه وسلم

وقفت قريش من النبي صلي الله عليه وسلم موقف العداء مع أنهم أهله وعشيرته ، من نشأ بينهم وعلموا صدقه وأمانته وشرفه بينهم ولكنهم اتخذوه عدوًّا حَسَدَاً منْ عندِ أَنْفُسِهِمْ .

علمت قريش بخروج سيد بن دوس الطفيل بن عمرو الدوسي إلي مكة فأسرع رجال منهم يستقبلونه علي مشرفها ويحذرونه من السماع إلي كلام النبي صلي الله عليه وسلم وكان شاعرا لبيبا مطاعا في قومه فسد أذنه بالقطن حتي لا يسمعه وحينما كان يصلي بالكعبة وجد النبي صلي الله عليه وسلم يصلي ، فتأثر بكلمات من القرآن سمعها من النبي صلي الله عليه وسلم ، فقال في نفسه إني لرجل شاعر عاقل أستطيع تمييز الصحيح من الفاسد فتوجه إلي النبي صلي الله عليه وسلم وانتظر حتي انصرف صلي الله عليه وسلم إلي بيته فيتبعه ودخل عليه فقال : يا محمد إن قومك قد قالوا إلي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتي سددت أذني لئلا أسمع قولك ثم أبي الله أن لا سمعت قولك فسمعته قولا حسنا فاعرض علي أمرك وعرض النبي صلي الله عليه وسلم وتلا عليه القرآن فيقول " فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرأ أعدل منه فأسلمتْ وشهدت شهادة الحق وقال : يا نبي الله إني امرؤ مطاعٌ في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلي الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون عونا عليهم فيما أدعوهم إليه ، ودعا له النبي صلي الله عليه وسلم ورجع الطفيل إلي قومه ووجهه يتألق بنور الإيمان فأقام فيهم يدعوهم إلي الإسلام حتي كانت غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة فوفد الطفيل بن عمرو الدوسي علي النبي صلي الله عليه وسلم ومعه أكثر من سبعين بيتا قد أسلموا

ولمَّا يئست قريش من النيل منه ، أو تغيير دعوته صلي الله عليه وسلم مع بيان عظمتها ووجود البراهين الكاملة علي صدقها ، وكفاه القرآن إعجازا بينهم ، ولم يستطيعوا النيل منه بسبب عشيرته فاتفقوا علي محاصرتهم جميعا واجتمعوا في حلف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا علي بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا ينكحوهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتي يسلموا إليهم محمدا صلي الله عليه وسلم للقتل وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود مواثيق أن لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتي يسلموا محمدا صلي الله عليه وسلم للقتل ودعا النبي صلي الله عليه وسلم علي من كتبها فشُلَّتْ يده ، وكان أبو طالب يخاف عليه صلي الله عليه وسلم فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله أن يضطجع علي فراشه ذلك

خوفا من اغتياله فإذا نام الناس أمر عم رسول الله صلي الله عليه وسلم أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع علي فراش الرسول صلي الله عليه وسلم وأمره أن يأتي بعض فراشهم واستمرت المقاطعة ثلاث سنين حتي أعلم الله نبيه أن الأرضة قد أكلت الصحيفة عدا باسمك اللهم ، وكان هناك خمسة قد خرجوا لنقض الصحيفة لما رأوا فيها من ظلْمٍ وافتراء وانقضت المقاطعة بعد أن أخبر النبي صلي الله عليه وسلم عمَّهُ بذلك الذي أخبر قريشا بذلك

ولم تكتفِ قُرَيش لما مات عم النبي سنة عشرة من البعثة وبعده بشهرين ماتت خديجة وكان صلي الله عليه وسلم يقول" ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتي مات أبو طالب " .

وذهب النبي صلي الله عليه وسلم إلي القبائل يدعوها ولكن أذي قريش قد ناله فأغروا به السفهاء والأطفال حتي أوذي صلي الله عليه وسلم في نفسه وجسمه وكل ذلك من تسليط قريش ، وقيل إن أبا بكر ضُرِبَ ضَرْباً شَديداً بمكة من فعل عتبة بن ربيعة ، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب وأخذوه إلي بيته وظنُّوه أنَّهُ هالك وأسلموه إلي أمه تطعمه ، ولما أفاق أكدت في إطعامه فلم يرض أن يطعم شيئا حتي تذهب إلي أم جميل بنت الخطاب لتعرفها بأخبار النبي صلي الله عليه وسلم وجاءت فأعلمته بمكانه في دار الأرقم فلم يتناول شرابا ولا طعاما إلا وقد سرن به يتكئ عليها حتي أدخلناه علي الرسول صلي الله عليه وسلم ليطمئن عليه .

واتجه النبي صلي الله عليه وسلم إلي الوفود وإلي البلدان المجاورة ومنها الطائف ولكن قريشاً سبقته فأغرت به السفهاء والصبيان وكان أشدهم عليه عمه أبو لهب .

ورجع صلي الله عليه وسلم من الطائف واستجار في حماية المطعم بن عدي ، ودخل الكعبة وصلي وهو في رعاية المطعم بن عدي وقد حفظ النبي صلي الله عليه وسلم للمطعم هذا الصنيع فقال في أساري بدر (لو كان المطعم بن عدي حيَّاً ثم كلمني في هؤلاء لتركتهم له) البخاري

رحلة الإسراء والمعراج :

قال تعالى " سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" الإسراء

تمت هذه الرحلة المباركة في ليلة السابع والعشرين من رجب في السنة العاشرة من البعثة المباركة وفيها فرضت الصلاة .

الإسراء والمعراج هما رحلتان منفصلتان جعلهما الله تعالى لرسوله الكريم تسليةً ومواساةً لقلبه الشريف ، ورحلة الإسراء هي رحلة الرسول على ظهر البراق مع الملك جبريل من مكّة إلى المسجد الأقصى، أمّا رحلة المعراج فهي الرحلة الّتي لحقت وتبعت رحلة الإسراء فبعد وصول رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى بيت المقدس سارياً بالليل عرج إلى السماء وتحديداً إلى سدرة المنتهى ، وهي أقصى مكان في السماء ، وبعد أن انتهت هذه الرحلة عاد الرسول صلي الله عليه وسلم في الليلة نفسها إلى مكّة المكرّمة إلي نفس المكان الذي خرج منه .

الإسراء والمعراج كان مرة واحدة ولم يتعدد ، وقال بعض العلماء: إن الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة، وقال آخرون من أهل العلم: إن الإسراء كان بروحه دون جسده، وهذا مروي عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهم، وقال آخرون من أهل العلم: إن الإسراء كان مناما، وقال آخرون من أهل العلم: إن الإسراء كان مرة يقظة ومرة مناما ، وقال آخرون : إن الإسراء كانَ مرَّةً قبل الوحي ومرة بعده ، وهذه كلها أقوال ضعيفة ، والصواب هو القول الأول أن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة ، وأن الإسراء والمعراج كان بروحه وجسده عليه الصلاة والسلام، وأنه كان يقظةً لا مناما ، وأنه كان مرَّةً واحدة لم يتعدد .

أسري برسول الله صلي الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي إلي السماء حتي صعد إلي الملأ الأعلي ورأي من آيات ربه الكبري .

ويري القاري لسورة الإسراء أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط ثم أخذ فذكر فضائح اليهود وجرائمهم ، ثم بين أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم بينما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط والأمر ليس كذلك ، فإن الله تعالي يشير بهذا الأسلوب إلي أن الإسراء إنما وقع إلي بيت المقدس لأن اليهود سيعزلون من منصب القيادة .

كان لهذا الحدث آثاراً عظيمة للنبي صلي الله عليه وسلم أولاً منها تسليته عن فقد نصيريه ثم تكريم له ، والأهم من ذلك هو ربطه بالنور الرباني في الملأ الأعلي ، وهذا ما لم يحدث لغيره إذ بذلك أصبح النبي صلي الله عليه وسلم يري بقلبه ما لا يراه بشرٌ ، نبيا كان أم غير نبي ، وأيضا تدل علي مكانته عند الله ، وتسلح بسلاح نور وقوة فوق القوي ، لقد رأي من آيات ربه الكبري ، وسواءً كان العروج بالروح أو بالروحِ والجسد معا ليحدث الغرض فليس الهدف تنقية الروح فقط ولكن كل الأهداف من هذه الزيارة الربانية ، وما ذلك علي الله بعزيز .

جاء جبريل إلي النبي صلي الله عليه وسلم ومعه ميكائيل فقال جبريل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم كيما أغسل قلبه واشرح له صدره فشق صدره فغسله ثلاث مرات واختلف إليه ميكائيل بثلاث حلسات من ماء زمزم فشرح صدره ونزع ما كان فيه وملأه حلما وعلما وإيمانا ويقينا وإسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه منتهي بصره فسار ومعه جبريل عليهما السلام ، وطلب البراق شفاعه الرسول صلي الله عليه وسلم بعد أن اضطرب عندما هم الرسول أن يمتطيه وقال البراق : ركبنى آدم صفوه الله وإبراهيم خليل الله ثم ركبني الرسول صلي الله عليه وسلم ، ونزل الرسول وصلي ركعتين فى وادى العقيق كما أمره جبريل ، ثم ركب البراق مرة ثانية ورفض الإذعان والوقوف للإستماع لنصائح داعى النصارى الذى ناداه من اليمين وداعى اليهود الذى ناداه من الشمال وكذلك لم يقف الرسول لسماع نصائح المرأة التى أشرق حسنها وجمالها بفضلٍ من الله لم يقف الرسول لهم فنجت الأمه الإسلاميه من التنصر والتهود وغواية الدنيا عن الآخره بعد سيدنا محمد المرأة ذات الحسن والجمال رمزاً عن الدنيا ، سار البراق بالرسول حتى بيت المقدس وعانق الرسول شاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة، دين الله والأمة الإسلامية .

قدم جبريل للرسول ثلاث أقداح الأول به حليب والثاني به خمر ، لو شربه الرسول لغوت الأمه الإسلاميه من بعد الرسول ، والثالث به ماء لو شربه الرسول لغرقت الأمه من بعده صلي الله عليه وسلم ، فاختار الرسول قدح الحليب وشربه إلا قليلا ، فقال جبريل : أخذت الظفر كله ولو شربت الحليب كله ما دخل أحدٌ من أمتك النار ، فأتي صلي الله عليه وسلم علي قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد حصادهم كما كان فقال صلي الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا ؟

قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف " وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين " .

ثم أتي علي قوم ترضخ رؤوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء قال صلي الله عليه وسلم ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتي علي قوم علي أقبالهم رقاع وعلي أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والنعم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد .

ثم أتي علي قوم بين أيديهم لحم نضيج ولحم آخر نيئ في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال هذا الرجل من أمتك تكون عنده امرأةٌ حلالٌ طيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتي يصبح . ثم أتي علي خشبة من الطريق لا يمر بها ثوبٌ إلا شقته ولا شيء إلا خرقته قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل أقوامٍ يقعدون علي الطريق يقطعونه ثم تلا " ولا تقعدوا بكل صراطٍ توعدون وتصدون عن سبيل الله " ثم أتي علي رجل قد جمع في خرجه حطب عظيم لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر علي أدائها وهو يزيد عليها ويريد أن يحملها ، ثم أتي علي قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتي علي جحر صغير يخرج منه ثَوْرٌ عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتي علي مكانٍ فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتاً فقال : ما هذا يا جبريل ؟ ما هذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت ؟ قال هذا صوت الجنة تقول : يا رب اتني ما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي ولبني ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي وخمري ولبني ، فأتني ما وعدتني، فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني أوزارا من خشيتي فهو آمن

ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت : رضيت " . ثم سار مع النبي صلي الله عليه وسلم حتي وصل إلي بيت المقدس فربط فرسه إلي صخرة ثم دخل مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل من هذا الذي معك ؟ قال : محمد قالوا : أو قد أرسل فقال : نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، ثم اجتمع جمع كبيرٌ من الأنبياء والرسل فقدم جبريل نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ليكون لهم إماما فصلي بهم جميعا ثم اجتمع الأنبياء فأثنوا علي ربهم فقال : إبراهيم الحمد لله الذي اتخذني خليلا ، وأعطاني ملكا عظيما ، وجعلني أمة قانتا يؤم بي ، وأنقذني من النار وجعلها علَّيَ بَرْداً وسَلاماً ، ثم إن موسي عليه السلام أثني علي ربه عز وجل فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك آل فرعون علي يدي وجعل من أمتي قومٌ يهدون بالحق وبه يعدلون ، ثمَّ إن داود عليه السلام اثني علي ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان عليه السلام أثني علي ربه ، وقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخَّر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلمني منطق الطير وأتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير وفضلني علي كثير من عباده المؤمنين ،وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي ، وجعل ملكي ملكا ليس فيه حساب ، ثم إن عيسي عليه السلام أثني علي ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذي جعلني كلمة منه وجعلني مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة و التوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلني أبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتي بإذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطانِ علينا سبيلا .

ثم إن محمد صلي الله عليه وسلم أثني علي ربه عز وجل فقال كلكلم أثني علي ربه وإنني مثني علي ربي فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه

بيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلت فتحا خاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمدا " .

ثم بدأت رحلة المعراج و هي الصعود إلى السماوات ، بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام ، وغلظ كل سماءٍ مسيرة خمسمائة عام ، والسماوات عليها حراس، يستفتح جبريل ومعه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من هذا فيقول جبريل، فيقولون : ومن معك ؟ فيقول: محمد ، فيقولون : أو قد أرسل إليه ؟ يعني: بعث فيقول نعم ، فيقولون : مرحبا به، ولنعم المجيء جاء ، فدخل في السماء الأولى فوجد فيها آدم أبو البشر فسلم عليه السلام على النبي ورحب به وقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، ثم عرج به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل كل مرة يقولون : من هذا ؟ فيقول جبريل، فيقولوا ومن معك ؟ فيقول محمد ، فيقول : أو قد أرسل إليه ؟ فيقول : نعم فيقولون نعم المجيء جاء فوجد في السماء الثانية ابني الخالة : عيسى ويحيى، فرحبا به وأقرا بنبوته وقال كل منهما : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، لأنه أخ، أما آدم فقال: والابن الصالح، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فوجد فيها إدريس فرحب به وقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فوجد فيها يوسف فرحب به وأقر بنبوته وقال مرحبا : بالنبي الصالح والأخ الصالح ، ثمَّ عَرَجَ به إلى السماء الخامسة فوجد فيها هارون فرحب به وأقر بنبوته وقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، ثم عرج به إلى السماء السادسة فوجد فيها موسى فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فلما جاوزه بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ما يدخلها من أمتي، لم يبك حسدا ، وإنما بكي تألما على بني إسرائيل حيث تخلفوا مع أن أتباعه كثيرون عليه الصلاة والسلام .

ثم عرج به إلى السماء السابعة فوجد فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام فرحب به وأقر بنبوته وقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، لأنه أبوه، ووجد إبراهيم قد أسند ظهره إلى البيت المعمور، والبيت المعمور كعبة سماوية تحاذي الكعبة الأرضية لو سقط لسقط عليها ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك للصلاة والطواف ثم لا يعودون إليه آخر الدهر ، لكثرة الملائكة ما يصلهم الدور ، ثم جاوز حتى وصل إلى سدرة المنتهى، ثم جاوز إلى مكانٍ يسمع فيه صرير الأقلام ، لم يصل إليه جبريل

ولا غيره، ثم كلمه الله من وراء الحجاب فوق سبع سماوات على الصحيح ، ففرض الله عليه في اليوم والليلة خمسين صلاة ، ثم لما مر على موسى في السماء السادسة سأله أن يسأل ربه التخفيف وقال: إن أمتك ضعيفة ، لا تطيق خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وإن عالجت بني إسرائيل أكثر من ذلك ، فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره به فأشار عليه أي نعم فعلا به إلى المولي جلَّ جلاله وسأل ربه التخفيف فوضع عنه عشرا أو خمساً في بعض الأحاديث ، وما زال يتردد بين ربه وبين موسى حتى صارت خمس صلوات ، فأمره موسى في المرة الأخيرة أن يسأل ربه التخفيف وقال له : إن أمتك ضعيفة لا تطيق خمس صلوات ، اسأل ربك التخفيف ، إني عالجت بني إسرائيل أكثر من ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إني سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، فنادى منادٍ من السماء: إني أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، هي خمس في العدد، وهي خمسون في الأجر، ما يبدل القول لدي ، خمس صلوات بخمسين في الأجر الحسنة بعشر أمثالها " .

وعند الوصول لبيت المقدس وطأت قدماه الشريفتان علي صخرة ثم عرج صلى الله عليه وسلم من هذه الصخرة إلى السماوات العلى مع جبريل عليه السلام ، و يذكر أن هذه الصخرة ما زالت معلقة ليومنا هذا و ترتفع عن الأرض ، و هذه معجزة شاهدة على مكان عروج النبي محمد صلى الله عليه و سلم .

في صباح اليوم التّالي اجتمع الرّسول الكريم في قبيلة قريش وأخبرهم بما حدث معه ، فقال أكثر النّاس: والله هذا الأمر لبيّن، وإنّ الرّسول لصادقٌ آمين، وإنّ العير لتطرد شهرآ من مكّة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة ، فقال البعض : إنّ هذا القول لا يصدّق أفيذهب محمّدٌ ويرجع إلى مكّه في ليلة واحدة ؟ ، فارتدّ كثيرٌ ممّن كان قد أسلم ، وذهب النّاس إلى أبي بكر، فقالوا له: يا أبا بكر إنّ صاحبك محمّد يزعم أنّه قد جاء من بيت المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكّة ، فقال لهم أبو بكر: إنّكم تكذبون على رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقالوا : بلى، ها هو الرّسول في المسجد يحدّث الناس بما حدث معه ، فقال أبو بكر: والله لئن كان قال هذا الكلام لقد صدق، فما العجب من ذلك فوالله إنّه ليخبرني أنّ الخبر يأتيه من الله من السّماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدّقه، فهذا أبعد ممّا تعجبون منه .

أقبل أبو بكر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال: يا رسول الله ، أحدّثت القوم أنّك كنت في بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال الرّسول: نعم، قال : يا رسول الله ، صف لي ذلك المسجد ، وأخذ الرّسول يصف ويحدّث أبا بكر عن بيت المقدس ، فقال له أبو بكر: أشهد أنّك رسول الله، وكان يكرّرها كلّما وصف له شيئاً رآه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله فرفع الله إليَّ بيت المقدس أنظر إليه كلما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به " وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: بات البني صلي الله عليه وسلم ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش فقال صلى الله عليه وسلم : إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذ بيدي فأخرجني فإذا أعلي الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملت عليها ثم انطلق حتي انتهي بي إلي بيت المقدس فأراني إبراهيم يشبه خلقي خلقه ويشبه خلقه خلقي وأراني موسي آدم طويلا سبط الشعر وشبهته برجال أزد شنوءة وأراني عيسي بن مريم ربعة أبيض يضرب إلي الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمني شبهته بقطن بن عبد العزي ، قال وأنا أريد أن أخرج إلي قريش فأخبرهم بما رأيت فأخذت بثوبه فقلت إني أذكرك الله أنك تأتي قوما يكذبوك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطو بك فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني فقام مطعم بن عدي فقال : يا محمد لو كنت شاباً كما كنت ما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا ، وقال رجل من القوم : يا محمد هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم والله قد وجدتهم أضلوا بعيرا لهم فهم في طلبه قال فمررت بإبل لبني فلان قال نعم وجدتهم في مكان كذا وكذا ، وقد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ماء منها قالوا فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة ؟ قال : قد كنت من عدتها مشغولا فأخذته سنة من نومٍ فأتي بالإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم أتي قريشا فقال : سألتموني عن إبل بني فلان وفلان وهي مصبحتان من الغداة علي الثنية فقعدوا علي الثنية ينتظرون أصدقهم كما قال فاستقبلوا الإبل فسألوا هل ضل لكم بعير قالوا : نعم فسألوا الآخرين هل انكسرت لكم ناقة حمراء قالوا : نعم

قالوا : فهل كان عندكم قصعة ؟ قال أبو بكر أنا وضعتها فما شربها أحد ولا أراقوه في الأرض فصدقه أبو بكر وآمن به فسمي يومئذ الصديق .

قال ابن كثير: وقد رأى النّبي صلّى الله عليه وسلّم جبريل عليه السّلام ، على هيئته التي خلقه الله سبحانه وتعالى عليها مرّتين ، حيث كانت الأولى عقب فترة الوحي ، عندما كان النّبي . صلّى الله عليه وسلّم نازلاً من غار حراء ، فرآه حينها على صورته ، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله عزّ وجلّ ما أوحى ، وإليه أشار الله بقوله (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى ، ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى ، فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى ، فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى) سورة النجم ، والثّانية في ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى، وهي ما أشير إليه في سورة النّجم بقوله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) سورة النجم

الهجرة من مكة إلي المدينة

بعد موت السيدة خديجة وعم النبي صلي الله عليه وسلم أبو طالب اشتد إيذاء المشركين للنبي صلي الله عليه وسلم ، وكان عاما شديدا عليه فاتجه صلي الله عليه وسلم إلي دعوة الوفود التي تأتي لمكة في موسم الحج إلي الإسلام ، واتجه أيضا إلي بعض القري القريبة من مكة لعله يهدي الله به واحدا فيكون سببا في إخراجه من النار .

حتي وفقه الله مع الأنصار وأرسل معهم سفيرا مصعب بن عمير ليعلمهم الإسلام واتفقوا علي البيعة في البيعة الأولي من مني، وأن يتم الاجتماع ليلا وتمت بيعة العقبة الثانية ، وقام شيطان علي مرتفع من الأرض وصاح بأنفذ صوت قط يا أهل الخاشب ، هل لكم في محمد والصبية معه قد اجتمعوا علي حربكم ؟ فقال صلي الله عليه وسلم هذا أرنب العقبة ، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك ثم أمرهم أن ينقضوا إلي رحالهم ، وهنا أمر النبي صلي الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة .

ولكن قريشا لم يكد يهنأ لها بال حتي قررت الاجتماع في دار الندوة لقتله وكان قرارهم الذي جاء به أبو جهل هو أن يأخذوا من كل قبيلة فتي جلدا شابا ثم يجتمعوا أمام منزله وحين يخرج يضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل وترضي بنو هاشم بالدية فيعطوها لهم .

وأعلم الله نبيه بما حدث وأذن له بالهجرة وكان قد أعد لها وأخبر أبا بكر الصديق بذلك مقدما ولكن لم يكن قد تحدد الميعاد بعد ولما كانت اللحظة الحاسمة ذهب النبي صلي الله عليه وسلم إلي أبي بكر فَفَرِحَ فَرَحاً شديدا ثم خرجا وكانا معهما دليل من المشركين هو عبد الله بن أريقط وكان خبيرا بطرق مكة والمدينة وترك النبي صلي الله عليه وسلم مكانه في فراشه بن عمه علي بن أبي طالب .

وأعلم الله رسوله بالمؤامرة فذهب إلي أبي بكر يعلمه أن الله قد أذن له في الهجرة وكان في الظهيرة فلما جاء الليل قال لعلي بن أبي طالب " نم علي فراشي وتسج ببردتي" ثم خرج النبي صلي الله عليه وسلم واخترق صفوفهم وأخذ حفنة من التراب وهو يذروه علي وجوههم وهو يقول " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون " سورة يس ، ومرَّ إلي أبي بكر فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً حتي لحقا بغار ثور في اتجاه اليمن ولما انتهي صلي الله عليه وسلم وأبو بكر إلي الغار قال أبو بكر : والله لا تدخله حتي أدخله قبلك فإن كان فيه شيء أصابني دونك فدخل فكسحه فوجد في جانبه ثقبا فشق إزاره وسده به وبقي اثنان فألقمهما رجليه ثم قال للرسول صلي الله عليه وسلم : ادخل فدخل صلي الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ، ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه النبي صلي الله عليه وسلم فسقطت دموعه علي وجه النبي صلي الله عليه وسلم فقال مالك بأبي وأمي ؟ فعلم أنه قد لدغ وأنه خاف أن يوقظه إن حرك رجله فتفل النبي صلي الله عليه وسلم علي مكان اللدغة فذهب ما يجده .

وطاردت قريش النبي صلي الله عليه وسلم بشتي الوسائل حتي وصلوا إلي الغار ، وروي البخاري عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال " كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا " ، قال صلي الله عليه وسلم (اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما) صحيح البخاري .

ومكثا في الغار ثلاث ليال ثم جاءهما عبد الله بن أريقط وكان مشركا بالراحلتين وأعطي أبو بكر للنبي صلي الله عليه وسلم أفضلهما وأخذها النبي صلي الله عليه وسلم بالثمن وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتها وشقت نطاقها نصفين لتضع فيه الطعام لهما ويتبعهما سراقة يريد أن يقتلهما وفي رواية عن أبي بكر قال ارتحلنا والقوم يطلبونا فلم يدركنا منهم أحد غير سراقة بن مالك علي فرس له فعرف أن

النبي صلي الله عليه وسلم سيظهر أمره فناداه بالأمن فوافق ثم عرض عليه زاده فأبوا فسأل النبي صلي الله عليه وسلم أن يكتب له كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب له ذلك .

ولما خرج النبي صلي الله عليه وسلم وقف علي مرتفع وقال (اللهم إنك أحب بلاد الله إلي الله وأحب بلاد الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت) .

ومر النبي صلي الله عليه وسلم بامرأة تسمي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة فاضلة تسقي وتطعم المارة فسألها هل عندك ثم شيء ؟ فقالت بأنه لو كان عندها شي ما منعته وكانت سنة مقحطة فنظر النبي صلي الله عليه وسلم إلي شاة لها في ركن الخيمة فقال ما هذه الشاه يا أم معبد ؟ قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت : نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها فمسح النبي صلي الله عليه وسلم بيدها ضرعها وسمَّي الله ودعا فدرَّتْ فدعا النبي صلي الله عليه وسلم بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتي علته الرغوة فسقاها فشربت حتي رويت وسقي أصحابه حتي رووا ثم شرب وحلب ثانية حتي ملأ الإناء ثم غادروا عيرها وفي الطريق لقي النبي صلي الله عليه وسلم أبا بريدة وكان رئيس قوم خرج في طلب النبي صلي الله عليه وسلم وأبا بكر رجاء أن يفوز بالمكافأة الكبيرة التي أعلنت عنها قريش ، ولما واجه النبي صلي الله عليه وسلم وكلمه أسلم مكانه مع سبعين من قومه .

ودخل النبي صلي الله عليه وسلم المدينة والقوم فرحين وهي مشهورة بالحمى فأصاب الوباءُ كثيراً من أصحابه فدعا النبي صلي الله عليه وسلم وقال " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد حبا وبارك في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة " البخاري .

"وأول عمل قام به النبي صلي الله عليه وسلم بعد دخول المدينة واستقراره بها هو المسجد النبوي في المكان الذي بركت فيه ناقته القصواء وبني بيوتا إلي جانبه بالحجر وسقفها بالجريد والجذوع وهي حجرات أزواجه وبعد تكامل الحجرات انتقل إليها من بيت أبي أبوب " رواه البخاري .

ثم قام بعمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك علي المواساة والتوارث بعد الموت دون ذوي الأرحام حتي نزل قوله تعالي " وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله " ثم

قام صلي الله عليه وسلم بالتحالف مع اليهود بالنصرة وعدم الخذلان ، وأن المدينة هي بلد واحد ، من حاربها فقد حارب كل من فيها وأن من يبدأ بالنقض فليس هناك له حائل وأن لكل فريق دينه وأن بينهم النصح والنصيحة ، ولما وصل الرسول صلي الله عليه وسلم المدينة استقبله أهلها بالأفراح والأناشيد بقولهم .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداعْ

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

ووصل النبي صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول و ترك ناقته القصواء تسير دون أن يغير طريقها وقال لأصحابه دعوها فإنها مأمورة ، وهنا بركت الناقة أمام بيت أبي أيوب الأنصاري ، فأقام فيه صلي الله عليه وسلم ثم أمر أن يبني مسجدا ، وهو الذي يعرف حاليا بالمسجد النبوي وشاركهم النبي صلي الله عليه وسلم في بنائه ثم بني حول المسجد حجرة لتكون حجرته صلي الله عليه وسلم وكانت من الحجارة المرصوصة ومن جريد يمسكه الطين .

وعقد النبي صلي الله عليه وسلم هدنة بينه وبين اليهود وفيها " أن اليهود يقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أي أثم لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته ".

وذات يوم قام بعض اليهود بعمل فتنة بين الأوس والخزرج حتي تخاصم الفريقان وتواعدوا علي القتال وفعلا تلاق الجمعان ، وعلم النبي صلي الله عليه وسلم فانطلق مسرعا وقد هموا بقتال وقال " يا معشر المسلمين أبدعاوي الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من به من الكفر وألف بين قلوبكم " فبكي الجميع وتعانقوا وعادوا وعرفوا أنها مكيدة عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم البعض .

النبي صلي الله عليه وسلم كزوج :

لقد علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج نحو احدي عشر زوجة منهن من جاء الزواج منها بأمر السماء ومنهن من كان الزواج منها لأسباب سياسية أي لتأليف قلوب ، ودعوةُ إلي الإسلام .

كانت البيئة العربية لا تسمح للرجال أن يختلطوا بالنساء فلم يكن يمكن تثقيفهم مباشرةً ، مراعاةً لهذه المبادئ مع أمس الحاجة إلي تثقيفهم ، لم يكن أهون وأقل من الرجال بل كان أشد وأقوي وإذن فلم يكن للنبي صلي الله عليه وسلم سبيلا إلا أن يختار من النساء المختلفة الأعمار والمواهب لهذا الغرض فيزكيهن ويربيهن ويعلمهن الشرائع والأحكام ويثقفهن في دينهن حتي يعدهن لتربية البدويات والحضريات والعجائز منهن والشابات فيكفيهن مؤنة التبليغ في النساء " .

و مع ذلك كان النبي صلي الله عليه وسلم زوجا مثالياً في كل شيء ، حتي العدل بين أزواجه فلما كان في مرض الموت فيما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت " رجع النبي صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه ، ثم قال صلي الله عليه وسلم " وما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك " قلت والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلي بيتي فأَعْرَسْتُ فيه ببعض نسائك ؟ قالت : فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ونام به وجعه وهو يدور علي نسائه حتي استعزبه وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهم في أن يمرض في بيتي فأذن له .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يحدث أنه قال مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم من أزواجه ؟ فقال تلك حفصة وعائشة قال : فقلت والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك قال : فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فاسألني فإن كان لي علم خبرتك به ، قال ثم قال عمر والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم ، قال فبينا أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي لو صنعت كذا وكذا قال فقلت لها ما لك ولما ها هنا وفيم تكلفك في أمر أريده فقالت لي عجبا لك يا ابن

الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها يا بنية إنك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقالت حفصة والله إنا لنراجعه فقلت تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها يريد عائشة قال ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت أم سلمة عجبا لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فأخذتني والله أخذا كسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب فقال افتح افتح فقلت جاء الغساني فقال بل أشد من ذلك اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه فقلت رغم أنف حفصة وعائشة فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة له يرقى عليها بعجلة وغلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسود على رأس الدرجة فقلت له قل هذا عمر بن الخطاب فأذن لي قال عمر فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وإن عند رجليه قرظا مصبوبا وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت ، فقال ما يبكيك فقلت : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ، فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ".

وقد تزوج النبي صلي الله عليه وسلم صفية بنت حيي سيد بني قريظة علي كل ما في خيبر .

فبينما النبي صلي الله عليه وسلم يمر في ميدان المعركة وجد بلالا يأخذ بامرأتين تصرخان وتبكيان وبلال يدفعهما وسط القتلى " فقال صلى الله عليه وسلم " أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال حين تمر بامرأتين علي قتلي رجالهما ؟ والأولي هي صفية وتزوجها بعد أن أسلمت .

ومع ما حدث من حادثة الإفك حيث اتهمت عائشة في عرضها كان بإمكانه أن يقتلها ويقتل من اتهمت به ويستريح ويريح رجولته وهو زعيم الأمة ولكنه تحمل جراحه حتي ينزل الله براءتها وحتي يتيقن من الأمر فهي زوجة نبي قبل أن تكون زوجةً لرجل دولة ، ومع ذلك لم يأخذه موضعه إلا أن يزداد حلما وصبرا ، وكان يتحمل صلي الله عليه وسلم شظف العيش ولكنه خيرهن وقال " إن كنتن تريدن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تريدن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما " سورة الأحزاب

ولم يكن زواجه صلي الله عليه وسلم بهن رغبة في متعة شخصية فربما كان رحمة أو عطفا أو تكريما أو حفظاً لزوجة قد بقيت علي إسلامها أو صلة بزوجة قومها أعداؤه فأصبحوا حلفاءه وأحبابه أو تزوجها بأمر من السماء ليقضي علي أمر التبني ، ومع ذلك لم يمنعه الله سبحانه وتعالي من الزواج من أكثر من أربعة وإن حرم علي غيره فما فعل ذلك إلا لإكمال دعوته ولدعم البنية الإسلامية وإلا لو كان يبغي متعة الجسم لاكتفي بالجواري ونال منهن ماشاء واختار أجملهن ولكنه كان يسير في طريق الدعوة ، وذلك يكلفه جهدا جهيدا .

لا بد أن يعدل ولا بد أن يوفي كل زوجة حقها وبالتالي ما يدفعه علي أن يضع فوق طاقته ما لا يطيقه غيرهُ إلا أنه يري أن ذلك في مصلحة دعوته ، لقد استعمل النبي صلي الله عليه وسلم كل ذرة من عقله وفكره وجسمه في سبيل الدعوة وسخر كل ذرة منه في سبيل الله كل ذلك من أجل الدعوة الإنسانية يضيف في كل أمر يقوم به جديداً للدعوة ويضاف إلي تأديته لأمانته التي كلفه الله بها

والنبي صلى الله عليه وسلم مع تعدد زوجاته كان الزوج المثالي في كل شيء لم يفرق في العدل بين زوجاته حتي في مرض موته والفرد منا يقوي علي أربعة في حالة قصوى قوة في البدن وقوة في النفس والسيطرة ومحمد صلى الله عليه وسلم فاق البشر رقة وعدلا مع زوجاته ، ومع ذلك أصبحت زوجاته داعيات قانتات رمزا للنقاء والعفة تحتذي بهن النساء ، وكيف يعلم هو النساء ولا تجد له إلا امرأة واحدة سوف لن تقتنع برأيه امرأة لأنها ستقول إنه كان رهبانيا معتزلا للنساء ضعيفاً خاصة في مجتمع دأبه التعدد ، واختارهن من قبائل مختلفة وأعمار مختلفة وكانت إحداهن سببا في إسلام قبيلتها كلها وتجلي ذلك في زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني

المصطلق لما انتصر المسلمون عليهم و قسمت الأسري وكانت ابنة سيد بني المصطلق من نصيب رجل فقير وكاتبها علي مال كثير ليعتقها فذهبت إلي النبي صلي الله عليه وسلم ونظر إلي أنها لو أعتقت فسوف تجمع الرجال من جديد لتثار لأبيها وهكذا فقال لها " هل لك من خير في ذلك ؟ فقالت وما هو ؟ قال أقضي عنك كتابك وأتزوجك فقالت نعم : قال قد فعلت ودفع عنها ما كاتبها عليه آسرها الفقير ودعاها إلي الإسلام وتزوجها فأسلم أبوها ومعظم الأسري من رجال أبيها وأبدل اسمها من برة إلي جويرية بنت الحارث ، ونالت من الحنان ما لم تكن تتوقعه من ما أثار غيرة عائشة رضي الله عنها .

المعاملة للزوجات :

كان صلى الله عليه وسلم رمزاً من رموز السماحة والعدل والرفق والتلطف معهن وكان يراعي طبائعهن ومع ذلك لم يتأفف من غيرة عائشة مع أنها أصغرهن وكان يقول لها : أنا لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك " رواه البخاري .

لم يعاقب النبي صلي الله عليه وسلم زوجاته معاقبةً تذكر ، وقد كان عقابه صلي الله عليه وسلم لزوجاته من الندرة الحديثة ، لولا ما تعود عليه المسلمون من ذكر كل صغيرة وكبيرة في حياته الخاصة والعامة علي السواء ، وهذا مع طول العشرة وتعدد الزوجات وكثرة الحوادث الجسام وقلة النسل الذي يصل المقطوع ويرأب المصدوع وكان معظم عقابه أشبه بعقاب نبي لمسلمات منه بعقاب زوج لزوجات وهو في حالتي عقابه وإحسانه إنْسان علي أكمل ما يكون الإنسان من رقة القلب من رحمة ولين وإنصاف وإذا حارت الأدلة عن قوام تلك الحياة الزوجية فالدليل الذي لا يحتار أن ينقضي نحو أربعين سنة عليها وهي علي ذلك الصفاء والولاء الذي لم يعرف قبله في علاقات الرجال و النساء هذه حياة زوجية لا تقوم علي الحس والمتعة ولن تدوم لو كان لا قوام لها غير مودة القلوب وراحة النفوس .

وكان يداعبهن وكان يسابق عائشة وكان يخصف النعل ويحلب الشاة ويقم المنزل ويحك ملابسه لم يكن ذلك مذلة منه ولكن تواضعا لنسائه وأهل بيته وكان يقول" خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم

لأهلي" وكانت عائشة أحبهن إليه فكان يقول "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك " .

وعن تلطفه مع أهله ما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع صوت الآذان خرج " متفق عليه .

وعن العرباض بن سارية قال سمعنا رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول (إن الرجل إذا سقي امرأته من العرباض أجر) قال فأتيتها فسقيتها " رواه أحمد .

بناته صلي الله عليه وسلم

كان للنبي صلي الله عليه وسلم من البنات فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم فأما فاطمة فتزوجت علي بن أبي طالب وجاءت فاطمة ذات يوم إلي النبي صلي الله عليه وسلم تكلمه أن علياً سيتزوج بنت أبي جهل الصغيرة الجميلة الغنية ، يتزوجها علي فاطمة التي تعتل صحتها من كثرة ما تكابد ويزيدها أنها تصبح في أيام كثيرة وما لها من طعام تأكله ، وقالت فاطمة زعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي قد خطب بنت أبي جهل ، وأرسل النبي صلي الله عليه وسلم يستدعي عليّاً وقد انتفض في جبينه العرق وغام وجهه من الضيق وأقبل علي فابتدر قائلا " إني زوجت أبا العاص من بنتي زينب فحدثني ووعدني فوفّ لي وكذلك فعل عثمان وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره ما يسوءها ووالله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد . وخرج علي ففسخ خطبة أبي جهل وعاد يعتذر لفاطمة ، ثم بدأ الحديث عن القوات المحتشدة لغزو الطائف ، وهكذا يري النبي أن كرامة المرأة ترجع إلي كرامة أهلها وأن احترام كيانها بحيث لا تتساوي مع ضرة دونها وكيف تكون سيدة نساء أهل الجنة وبنت رسول الله ضرة لأخرى مهما كانت ، فما بالك لو كانت بنت عدو الله ولم يغضب النبي لشيء عادي إنه يتنافي مع الفطرة الطبيعية فهناك ما يسمي بالعرف العام والتقليد وأصول التعامل فلا يمكن أن يتساوي الشريف مع السفيه وينخرطا في إطار واحد وتحت رأس واحدة فما بالك إن كان التفاوت في الدين ، ولم ننس أن تربيته صلي الله عليه وسلم لبناته تربية الحشمة والوقار وتعويدهن علي التوكل علي الله فلن يغن عنهن أنهن بنات النبي صلي الله عليه وسلم وهكذا

خاطبه ربه " يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين " وقوله " ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا " سورة الأحزاب ، وكانت بناته وزوجاته أفضل البنات والنساء يضرب بهن المثل في العفة والطهارة .

ومحمد الأب كان أصلح الآباء ، ثم فجع في بنيه فجيعة لا يداوي فيها ألم الإنسان إلا صبر الأنبياء ومن الناس من لا يكون صديقاً صالحا ولا سيدا صالحا ولا زوجا صالحا ولكنه أبٌ صالح بربيبته لأن الرحم بين الآباء والآبناء أدني الأرحام إلي المودة وأحراها بتحريك الشفقة فيمن لا يشفق علي أحد فكيف تكون الأبوة في نفس صلحت للصداقة وصلحت للسيادة وصلحت للزوجة لأنها تصلح للعطف الذي يعم القريب والغريب ويشمل القوي والضعيف ذلك لأنه تعلم كيف يفرح بأبنائه وتعلم كيف يحزن حين يفجع في أوائل الأبناء .

إنجابه صلي الله عليه وسلم الولد :

رزق النبي صلى الله عليه وسلم بالبنات ، ورزقه الله في أخريات حياته ابنه إبراهيم أنجبته له مارية القبطية ولم تستمر الفرحة طويلا فسرعان ما مات .

وكان يوم موته كسوف للشمس ، وقال الناس إن الشمس قد كسفت لموت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته " ، ولم ينس النبي صلى الله عليه وسلم ربه حتي في حالة حزنه ، بل أدي رسالته في تعليم أمته وتجاهل حزنه وهمه .

يقول العقاد في كتابه " فمعظم العظماء من أكبر خدام النوع لم يتزوجوا وفيهم أنبياء معظمهم لا شك في سيرتهم من هذه الناحية لعيسي بن مريم عليه السلام وبعض العظماء الذين تزوجوا لم يرزقوا الذرية أو رزقوا الذرية كلها إناث أو رزقوا ذرية من الإناث والذكور ولم يعيشوا ولم يعمروا ولا كانوا علي حالة من الصحة والنجابة " إلي أن قال " وحسبنا في مصر جمال الأفغاني ومحمد عبده وسعد زغلول وعبد

الله النديم ومصطفي كامل ومصطفي فهمي ومحمود سامي البارودي وحافظ إبراهيم ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم عربي يحرص علي العقب من بعده كحرص كل رجل من رجال القبائل وأصحاب العصبية ومع ذلك فقد مات أولاده ولم يبق في أخريات حياته إلا ابنته فاطمة التي ماتت بعده بستة أشهر وقد أنجبت له فاطمة الحسن والحسين قرة عينيه فكانا عوضا له عن ابنه المفقود " .

معجزاته صلي الله عليه وسلم

المعجزة هي قدرات خارقة لا يهبها الله إلا لأنبيائه خاصة دون عامة الناس تكريما لهم وإظهارا لنبوتهم لتكون من الدوافع التي تدعو العقل والقلب إلي الإيمان بالله وإلي تصديقهم لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد .

يقول الكاتب ثروت أباظه : فالنبي محمد يا أخي المؤمن نبي لم يسبق له مثيل في دنيا الأنبياء فقد كان لكل منهم معجزة زالت مع الأيام لأن كلا منهم جاء لقوم بذاتهم وكانت معجزاته موجهه لهؤلاء القوم وحدهم ولكن النبي البشر جاء للناس كافة وللعالم أجمع ولكل الأزمان حتي يرث الله الأرض ومن عليها فلم يكن عجبا يا أخي أنه لم يكن له صرح سليمان ذو القوارير ولا عرف لسان الطير ولا سخرت له الجن ولا كان عجيبا ألا تأكل عصاه ما صنعه الساحرون ولم يكن عجيبا إلا يشق له البحر ، إنه نبي فريد من نوعه ارتضي الله له أن ينهزم جنده في موقعة أحد حتي يثقوا أن نبيهم بشر من البشر ، وأنهم إن لم يبذلوا جهدهم لنصرة دينهم فإنهم منخذلون .

ومن معجزاته صلي الله عليه وسلم وأعظمها القرآن الكريم علي الإطلاق فهي الباقية إلي أبد الدهر ومن معجزاته ، انشقاق القمر ونبع الماء من بين يديه الكريمتين.

و قال صلى الله عليه وسلم " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب وجعلت لي الأرض مسجدا وتربتها طهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وأعطيت جوامع

الكلم " ، ولما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يفاضلون بينه وبين بعض النبيين قال " أنا أكرم الأولين والآخرين علي الله ولا فخر " وقال أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسي ونبوءة موسي وترنيمة داوود " .

روي الإمام أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتي بقصعة فيها ثريد قال فأكل وأكل القوم فلم يزل يتداولونها إلي قريب من الظهر يأكل قوم ثم يقومون ويجئ قوم فيتعقبونه ، قال فقال له رجل هل كانت تمد الطعام ؟ قال أما من الأرض فلا وإلا إنه كانت تمد من السماء .

وروي الإمام أحمد عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إني لأعرف حجر بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن " رواه مسلم .

وروي الترمذي عن علي بن أبي طالب قال كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبلٌ ولا شجرٌ إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله .

الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي ودعوي النبوة يظهرها الله علي يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة ما كلفه بشرعه مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم وهي ثابتة بالقرآن والسنة وبشهادة الشهود ، ودل علي ذلك أن عمر بن الخطاب كان علي المنبر يخطب فنادي بأعلي صوته يا سارية الجبل وسمعه سارية وهو في الحرب وقد تحصن بالجبل من الأعداء وكان ذلك سببا لانتصاره ، وفي قصة علاء بن الحضري وهو من الصحابة فإنه لما ذهب إلي البحرين سلكوا مغارة وعطشوا عطشاً شديداً حتي خافوا الهلاك فنزل وصلي ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة فأمطرت حتي ملؤا الآنية وسقوا الركب ثم انطلقوا علي خليج من البحر ما خيض من قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سقيا فصلي ركعتين ثم قال يا عليم يا علي يا عظيم أجزنا ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله قال أبو هريرة رضي الله عنه فمشيا علي الماء فوالله ما ابتل لنا قدمٌ ولا خف ولا حافر وكان الجيش أربعة آلاف مقاتل .

ومن معجزاته صلي الله عليه وسلم : ما رواه الإمام أحمد عن أنس قال : سأل أهل مكة النبي صلي الله عليه وسلم أن يُظهر لهم آية فانشق القمر بمكة فرقتين ، قال تعالي" اقتربت الساعة وانشق القمر "

وعن مسروق بن عبد الله قال انشق القمر علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقالت قريش هذا سحر بن أبي كبشة سحركم فاسألوا السفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأينا فأنزل الله عز وجل " اقتربت الساعة وانشق القمر " رواه مسلم .

وظن كثير من جهلة قريش أن هذا شيء سحر به أبصارهم فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

وقيل لم يعرف هذا في جميع أقطار الأرض فالجواب : ومن ينفي ذلك ولكن تطاول العهد والكفرة يجحدون بآيات الله ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي المبعوث تداعت آراؤهم الفاسدة علي كتمانه وتناسيه علي أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلا في الهند مكتوباً عليه إنه نبي في الليلة التي انشق فيها القمر " .

ومن معجزاته صلي الله عليه وسلم بركته فقد روي جابر بن عبد الله أن النبي صلي الله عليه وسلم خمص خمصا شديداً فذبح بهيمة وطحنت امرأته صاعا من شعير ثم التمس من رسول الله أن يجمع أهل الخندق وهم ألف فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا بعد أن باركه صلي الله عليه وسلم بيديه الشريفتين ، وبقيت برة اللحم تغط به كما هي وبقي العجين بخير كما هو .

وجاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من تمر إلي الخندق ليتغذي أبوه وخاله فمرت برسول الله صلي الله عليه وسلم فطلب منها التمر ويده فوق ثوبه ثم دعا أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه وجعل التمر يزيد حتي صدر إلي الخندق عنه وإنه يسقط من أطراف الثوب .

وأعظم ما في هذا ما رواه البخاري عن جابر قال إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر ولبثنا ثلاثة لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلي الله عليه وسلم المعول وضرب فعاد كثيبا أهل أو أهيم رملا .

نبع الماء من بين أصابعه صلي الله عليه وسلم

روي البخاري عن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد كانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه صلي الله عليه وسلم فتوضأ الناس حتي توضئوا من آخرهم " رواه مسلم والترمذي والنسائي .

نبع الماء من بئر الحديبية :

وروي البخاري عن البراء بن عازب قال كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتي لم نترك فيها قطرة فجلس النبي صلي الله عليه وسلم علي شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتي روينا وروت أو صدرت ركائبنا .

وشكا الناس إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم الجوع فقال :عسي الله أن يطعمكم فأتينا رسيف البحر فنزحت زهرة فألفي دابة فأوردنا علي شقها النار فطبخنا واشتوينا وأكلنا حتي شبعنا قال جابر فدخلت أنا وفلان وفلان حتي عد خمسة في حجاج عينها ما يرانا حتي خرجنا فأخذنا ضلعا من أضلاعه فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل في الركب فدخل ما يطأطئ رأسه " رواه مسلم .

وروي البخاري عن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال صلي الله عليه وسلم علي الطهور المبارك والبركة من الله عز وجل قال فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلي الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل " ، وما روي البخاري عن حديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة لم يحدث مرة واحدة وإنما حدث عدة مرات "

روي مسلم عن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي صلي الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلي الذي كانت تهدي فيه للنبي صلي الله عليه وسلم

فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتي عصرته فأتت النبي صلي الله عليه وسلم فقال عصرتيها ؟ قالت نعم قال : " لو تركتيها ما زال قائما " رواه مسلم

وروي مسلم عن جابر أن رجلا أتي النبي صلي الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر و شق شفير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتي قاله فأتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال لو لم تأكله لأكلتم منه ولقاح لكم " صحيح مسلم

وكل معجزة كانت لنبي من الأنبياء كان مثلها لرسول الله صلي الله عليه وسلم وأخبار هذه المعجزات الحسية ثابت في كتب السيرة والسنة بروايات صحيحة موثقة " فقد ثبت أنه صلي الله عليه وسلم كان يمسح بيده علي موضع المرض فيبرأ المريض ، كما أعطي أحدٌ أصحابه عوداً من الحطب في وقت الحرب فصار سيفاً في الميدان حارب به ولم يزل هذا السيف لدي هذا الصحابي يحارب مع رسول الله حتي حروب الردة في عهد أبي بكر واستشهد وهذا السيف في يده " ، وروي أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: (عدا الذئب على شاةٍ فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعَى الذئب على ذَنَبِه، أي جلس مفترشاً رجليه ، وقال: ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ ؟ فقال: يا عجبي ! مُقْعٍ على ذَنَبِه يكلمني بكلام الإنس ؟ فقال الذئبُ: ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمدٌ صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوقُ غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله فأخبره ، فأمر رسول الله فنودي الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للراعي : أخبرهم ، فأخبرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق ، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلِّم السِّبَاعُ الْأنس ، ويكلم الرَّجُلَ عَذَبَةُ (طرف) سَوْطِه وشِرَاكُ (سير) نعْلِه، ويخبره فخذه بما أحدث أهلهُ بعده" رواه أحمد وصححه الألباني.

تنبـــــؤاته صلى الله عليه وسلم

النبي صلي الله عليه وسلم لم يكن بشرا عاديا مثل كل البشر لقد اختلط قلبه بالنور الإلهي بل نقول إن النور قد ملأ قلبه حتي الثمالة ولهذا فقد كان كلامه مستمدا من نور الله تعالي قال تعالي " وما ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحي " سورة النجم .

ففي حادثة مؤتة قبل أن يأتي الناس بالخبر من ساحة القتال ، حكي النبي صلى الله عليه وسلم للقوم ما كان يحدث في المعركة كأنها تدور أمامه ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " أخذ الراية سيف من سيوف الله حتي فتح الله عليهم " رواه البخاري ، وقد أخذها خالد بن الوليد وانسحب من المعركة بعبقرية حربية منقطعة النظير فأوهم العدو أن المسلمين يأتيهم مددٌ وبدأ ينسحب بتؤدة مما جعل العدو يلجأ إلي بلده ويبعد عن الحرب .

وكان فضالة رجلا جريئا فجاء إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله وهو في الطواف فأخبره صلى الله عليه وسلم بما وقع في نفسه فأسلم .

ومن تنبؤاته صلى الله عليه وسلم وقد حدثت في زماننا هذا ما في الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي في آخر الزمان قوم سفهاء الأحلام يقولون عن خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة "

إخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

روي الإمام أحمد عن أنس قال : استأذن ملك المطر أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له فقال لأم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل أحد فجاء الحسين بن علي فوثب حتي دخل فجعل يصعد علي منكب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الملك أتحبه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم قال : فإن أمتك تقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه . فضرب بيده فأراه ترابا أحمرا فأخذت أم سلمة ذلك التراب حضرته في طرف ثوبها ، قال فكنا نسمع يقتل بكربلاء وروي البيهقي عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتي يخرج ثلاثون كذابا منهم مسيلمة ، والعنسي ، والمختار ، وشر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف "

وروي عن أسماء بنت أبي بكر قالت للحجاج بن يوسف الثقفي ، بعد أن قتل ابنها عبد الله بن الزبير وصلبه " أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أنه سيخرج في ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فعرفناه وأما المبير فأنت ، فلا أخالك إلا إياه " البيهقي ومسلم

جاء في صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل قال صلي الله عليه وسلم " والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو ما كما بين مكة وبصري " وقد أثبت العلم الحديث وعن طريق الأقمار الصناعية أن المسافة بين مكة وهجر وهي موجودة بقطر الآن تساوي 774 ميلا بالضبط وهي نفس المسافة الموجودة بين مكة ومدينة بصري الموجودة بالشام حاليا .كما أثبتته أجهزة القياس الحديثة .

سحر النبي صلى الله عليه وسلم

النبي صلي الله عليه وسلم مثل كل البشر يصاب بما يصاب به البشر و وأراد الله أن يعلم الناس أن السحر حق وأنه يمكن أن يصاب به حتي أعظم الخلق عند الله ، وأيضا لكي يعلمنا كيفية العلاج منه ، حتي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

روي أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتت اليهود إليه ولم يزالوا به حتي أخذ مشاطة النبي صلي الله عليه وسلم وعدة أسنانه من مشطه فأعطاها اليهود فسحروا النبي صلي الله عليه وسلم ، وكان الذي تولي ذلك لبيد بن أعصم اليهودي ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه ورأي أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن وجعل يدور ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رأسه ما بال الرجل ؟ قال : طب قال : وما طب ؟ قال : سُحر قال ومن سحره ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال وبم طبه ؟ قال بمشط ومشاطة قال : وأين هو ؟ قال في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطلع ، والراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليه المانح ، فانتبه رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقال : يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا البئر فكأنه نقاعة حناء ثم رفعوا الصخرة وإذا وتر معقود فيه أحد عشر عقدة مغروزة بالإبر فأنزل الله تعالي سورتي المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد النبي صلي الله عليه وسلم خفة حتي انحلت العقدة الأخيرة فقام النبي صلي الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن

حاسد وعين الله يشفيك فقالوا : يا رسول الله أو لا نأخذ الخبيث ونقتله فقال " أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أبتر علي الناس شرا " أسباب النزول للنيسابوري .

فضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى :" لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ" سورة آل عمران .

لقد كرم الله نبيه بتبليغ رسالته ، اختاره واصطفاه دون خلقه ليكون رسولا له ، وقد أدي النبي صلي الله عليه وسلم الأمانة علي أتم وجه وكفانا أن هدانا الله به إلي الإسلام ، فكان حقا علينا أن نصلي عليه فإنها من القرب التي يتوسل بها العبد إلي الله عز وجل .

ونقل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم ثم يسأل الله فانه أجدر أن ينجح

وروي الترمذي والحاكم أن النبي صلي الله عليه وسلم قال " رغم أنف رجل ذكرت عنده ولم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له ورَغِمَ أنف رجل أدرك أبواه الكبر أو كلاهما فلم يدخلاه الجنة " .

وروي مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من صلي علي صلاة صلي الله عليه بها عشرا " وقد أخرج الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله "هل أتي عليك يوم كان أشد من يوم أحد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومي وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علي بن عبد ليل بن عبد فلان فلم يجبني إلي ما أرادت فانطلقت وأنا مهموم علي وجهي فلم أفق إلا وأنا بقرية الثعالب اسم موضع وهو الآن قرب المنازل ميقات أهل نجد فرفعت رأسي فإذا سحابة قد أظلتني فنظرت فإذا جبريل عليه السلام فناداني قال إن الله سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت

فيهم فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال " يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين وهما جبلان بمكة فقال صلي الله عليه وسلم ، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا " وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت " ما خير رسول الله صلي الله عليه وسلم بين أمرين إلا خير أيسرهما ما لم يكن إثما كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لحرمة الله " .

وفيما ورد في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عمومًا، ويوم الجمعة خصوصاً في الأحاديث الصحيحة على سبيل المثال ما روى الترمذي في سننه عن أبي بن كعب قال:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : يا أيها الناس اذْكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاءَ الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه ، قال أبي : قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال: ما شئت ، قال : قلت: الربع، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك ، قلت: النصف ، قال: ما شئت فإن زدت فهو خيرٌ لك ، قال : قلت: فالثلثين، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك ، قلت: أجعل لك صلاتي كلها ، قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك. قال: أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح.

وعن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال: " إنه جاءني جبريل فقال : أما يرضيك يا محمد أنه لا يصلي عليك أحدٌ من أمتك صلاة إلا صليت عليه عشرًا ، ولا يسلم عليك أحدٌ من أمتك إلا سلَّمْتُ عليه عشرًا ".

وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من ذكرت عنده فليصل عليَّ ومن صلى علي مرةً صلى الله عليه عشرًا " . وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله ملائكة سيَّاحين يبلغوني من أمتي السلام).

وعن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا (يا رسول الله كيف نصلي عليك قال "قولوا : اللهمّ صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) متفقٌ عليه .

وأخرج البخاريّ من حديث أبي سعيد الخدري قال : قلنا : يا رسول الله ، هذا السلام عليك ، فكيف نصلّي ؟ قال: " قولوا: اللهمّ صلّ على محمد عبدك ورسولك، كما صلّيت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم" .

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: أتيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعيد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي عليك يا رسول الله ؟
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال : قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) رواه البخاري .

وعن كعب بن عجرة أنه قال : يا رسول الله أمرنا الله أن نصلي عليك.. فكيف نصلي عليك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " متفقٌ عليه .

وعن أبي ليلى قال : لَقِيَنِي كَعْبُ بنُ عُجْرَةَ ، فَقالَ: أَلَا أُهْدِي لكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ؟ فَقُلتُ : بَلَى، فأهْدِهَا لِي، فَقالَ: سَأَلْنَا رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقُلْنَا : يا رَسولَ اللَّهِ، كيفَ الصَّلَاةُ علَيْكُم أَهْلَ البَيْتِ؛ فإنَّ اللَّهَ قدْ عَلَّمَنَا كيفَ نُسَلِّمُ علَيْكُم؟ قالَ : قُولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كما صَلَّيْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ ؛ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كما بَارَكْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " صحيح البخاري.

وقد روي البخاري ومسلم صُوراً كثيرةً من تَبَرُّكِ الصحابة بآثار النبي صلي الله عليه وسلم والتوسل بها للاستشفاء أو العناية أو التوفيق وما شابه ذلك من ذلك ما رواه البخاري في كتاب اللباس في باب ما يذكر في الشيب من أن أم سلمة زوج النبي صلي الله عليه وسلم كانت تحتفظ بشعرات النبي صلي الله عليه وسلم في جلجل لها ما يشبه القارورة يحفظ فيه ما يراد صيانته فكانت إذا أصاب أحدا من الصحابة عينٌ أو أذي أرسل إليها إناء فيه ماء فجعلت الشعرات في الماء ثم أخذت الماء يشربونه توسلا للاستشفاء والتبرك به "

ومن ذلك ما رواه مسلم في كتاب الفضائل في باب طيب عرقه صلي الله عليه وسلم ، أنه عليه الصلاة والسلام كان يدخل بيت أم سليم فينام علي فراشها وليست هي في البيت فجاء ذات يوم فنام علي فراشها فجاءت أم سليم وقد عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفتح عرقه علي قطعة علي الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها فأفاق النبي صلي الله عليه وسلم فقال ما تصنعين يا أم سليم ؟ فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصيانتنا قال " أصبت " ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من استنشاق الصحابة إلي فضل وضوئه صلي الله عليه وسلم والتبرك بالكثير من آثاره كألبسته والقدح الذي كان يشرب به ، فإذا كان هذا شأن التوسل بآثاره المادية فكيف بالتوسل بمنزلته عند الله جل جلاله وكيف التوسل بكونه رحمة للعالمين " .

ويقول صلى الله عليه وسلم المعرفة رأس مالي والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي ، والصبر ردائي والرضا بالله غنيمتي ، والعجز فخري والزهد صفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وجعلت قرة عيني في الصلاة " .

وقال صلي الله عليه وسلم " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا وتربتها طهورا وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلي قومه عامة وبعثت إلي الناس كافة " أخرجه أحمد

وقال صلي الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني داراً فأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فانا اللبنة وأنا خاتَم الأنبياءْ " متفق عليه

منزلة النبي صلي الله عليه وسلم في القرآن

قال تعالي " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا "وقال تعالي " وما أرسلناك إلا رَحْمَةً للعالمين " وقال " إن الله وملائكته يصلون علي البني يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما "

قال تعالي : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) النساء: وقال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) سورة الأحزاب .

وعن التأدب في حضرة النبي صلي الله عليه وسلم قال تعالي (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) سورة الحجرات ، وقال تغالي : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة النساء .

قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء 115 .

وابتدأ تعالي سوراً سميت باسمه "وهي سور طه والمدثر والمزمل ويس وحتي لو اختلف رأي المفسرين في معاني هذه الكلمات فمدلولها أو معناها أنه خطاب مباشر للنبي صلي الله عليه وسلم وهذا في حد ذاته تعظيمٌ ما بعده تعظيم .

حينما خاطب الله أنبياءه في كتابه العزيز ناداهم باسمهم المباشر فقال تعالي " يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيي " وقال تعالي " يا يحيي خذْ الكتاب بقوة " ولكنه حين خاطب نبيه محمد صلي الله عليه وسلم قال " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " وقال أيضاً " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " وقال أيضاً " يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا " وقال في سورة المدثر " يا أيها المدثر قم فأنذر " وهذا فيه من التعظيم والتقدير ما لا يخفي علي أحدٍ .

عصمة الله له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كان الصحابة يحرسون النبي صلي الله عليه وسلم خوفاً عليه من تَسَلُّلِ أَحَدِ الحاقدين إليه ، فعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : "سَهِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً فَقَالَ: لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ قَالَتْ : فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا ؟ قَال : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَامَ). رواه مسلم ، حتي نزل فوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " وهذه الآية تشير إلي عصمة الله لنبيه صلي الله عليه وسلم ، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ : وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ).

كان النبي صلي الله عليه وسلم في حالة جهادٍ مستمر ودأبٍ وجد من أجل الدعوة ومع ذلك كان لا يبالي بنفسه وجدا ولا يخشي أحدا ، مع أنه كان يعيش في حالة من الخطر الدائم ، وحينما استقرت الدولة الإسلامية كافأهُ الله بالعصمة .

يقول بعض الصحابة " وكان صلى الله عليه وسلم بذاتِ الرقاع فإذا أتينا علي شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم يستظل بها فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ونزل صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه قال جابر فنمت نومه ، فجاء رجل من المشركين فاخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتخافني ؟ قال : لا قال من يمنعك مني ؟ قال صلي الله عليه وسلم " الله" قال جابر فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئنا فإذا عنده أعرابي جالس فقال صلي الله عليه وسلم إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده ، فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله فإذا هو جالسٌ ، ثم لم يعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم " صحيح مسلم

وكيف لا يتسامح النبي صلي الله عليه وسلم وهو رحمةٌ للعالمين ومنحه الله العصمة والأمان والثقة التامة وكيف لا يعفو وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتم الله عليه نورا ورحمة ، كل حركاته وسكناته كانت لله لا يريد بها قربي ولا يتمني بها منة ، وكيف لا يعفو وهو منهم ، يشعر بهم ويحرص علي هدايتهم ،كما قال تعالي " رسولٌ من أنفسكم " يعز عليه الضرر والأذي للناس عموما فما بالنا بأهله وقومه وعشيرته كما قال تعالي " بالمؤمنين رءوف رحيم " سورة التوبة

روي مسلم عن سلمة بن الأكوع أن رجلا أكل عند النبي صلي الله عليه وسلم بشماله فقال له صلى الله عليه وسلم " كلْ بيمينك " قال له لا أستطيع ، قال لا استطعت ما يمنعه إلا الكبر" قال الراوي : فما رفعها إلي فيه " رواه مسلم .

وقد أخذ أبو جهل حجراً وهم بإلقائه علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو يصلي في الحجر ثم رجع مذعورا ولما سأله قومه قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحلٌ من الإبل لا والله ما رأيت هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فهم بي أن يأكلني قال بن إسحاق فذكر لي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " ذاك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه ".

وأرسل أبو سفيان من يغتال محمدا أثناء وجوده في المدينة وكان الله ينصره عليه ويحفظه مرة واثنتين وثلاثة وهنا فكر أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم في إرسال بعض الفرسان إلي مكة ليغتال أبو سفيان ، ولكن النبي صلي الله عليه وسلم سرعان ما علم فغضب وأرسل إلي الفارس ليرجع عن قصده بعد ما هم به ، وأم جميل امرأة أبي لهب لما نزلت سورة تبت يدا أبي لهب جاءت بفهرٍ كبير لترجم النبي صلي الله عليه وسلم فانتهت إلي أبي بكر وهو جالسٌ مع النبي صلي الله عليه وسلم فلم تر رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقالت لأبي بكر أين صاحبك ؟ فقال : ماله ؟ قالت إنه هجاني ، فقال : ما هجاك ، قالت : والله لئن رأيته لأضربنه بهذا الفهر ثم رجعت وهي تقول :

مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

<u>كشف مؤامرة اليهود لقتله :</u>

وكانت اليهود تتربص به صلي الله عليه وسلم الدوائر وقد طلب منها ذات مرَّةٍ دية الكلابين الذين قتلهما عمر بن أمية الضمري فقالوا : ما نفعل يا أبا القاسم ؟ اجلس هنا حتي نقضي حاجتك فجلس إلي جنب دار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا وجلس أبو بكر وعلي وتآمروا علي قتله فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم وإنه لنقض العهد ولكنهم عزموا وأخبر الله نبيه عن طريق جبريل فما كان منه إلا أن نهض مسرعا وتوجه إلي المدينة ولحقه أصحابه وأخبرهم بما همت اليهود به ثم بعث إليهم محمد بن مسلم بأن يخرجوا ولا يساكنوهم المدينة وقد أجلهم عشرا فمن وجدت بعدها ضربت عنقه .

ولم تكن حياة النبي صلي الله عليه وسلم بعد ذلك إلا صراعا مع الشر ليس هو المصارع ولكن تنسج حوله المؤامرات سواء كانت فردية أم جماعية ولكن الله كان حافظه وناصره .

ولم تخلُ حياة النبي صلي الله عليه وسلم من الحروب والمعارك من فتح مكة إلي حنين إلي تبوك حتي قبض صلي الله عليه وسلم ، كلها كانت غزوات لنشر الدين الإسلامي أو للدفاع عنه كمثل غزوة مؤتة ، ومع كل هذه الحياة المليئة بالجهاد يقول عنه أبو سعيد الخدري " كان أشد حياءً من العذراء في خدرها إذا كره شيئا عرف في وجهه وكان لا يثبت نظره في وجه أحد خافض الطرف نظره الملاحظة لا يشافه أحدا بما يكره حياءً وكرم نفس لا يسمِّي رجلا يلقي فيه شيء يكرهه ، بل يقول ما بال أقوام يصنعون كذا ، وكان أحسن الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة عرف له بذلك محاوروه وأعداؤه وكان يسمي قبل البعثة الصادق الأمين ويحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام ".

جزاء معاديه والمسيء إليه صلي الله عليه وسلم

قال تعالي (إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر) فعن يزيد بن درهم قال : سمعت أنسا يقول في هذه الآية قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمزه بعضهم ، فجاء جبريل أحسبه قال : فغمزهم فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة حتى ماتوا .

النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله وحبيبه وخليله ، وكيف ينسي الله حبيبه ويتركه أو يتخلي عنه ، فمن يتجرأ علي النبي صلى الله عليه وسلم في حياته أو حتي بعد موته فإن الله يتكفل به ويرد كيده في نحره ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " وقال صلى الله عليه وسلم "ومن كذب علي القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار " أخرجه البزار وأبو يعلي عن أبي رافع قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفاً فأرسلني إلي رجل من اليهود أن أسلفني دقيقا إلي هلال رجب فقال : إلا برهن فأتيت النبي صلي الله عليه وسلم فأخبرني فقال أما والله إني لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض " .

وروي هشام بن عمار في كتابه عن عروة بن اللخمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله أدرك بي الأجل المرقوم وأخذني لقربه واحتضرني احتضارا فنحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة وأنا قائل قولاً غير فخرٍ إن إبراهيم خليل الله وموسي صفي الله وأنا حبيب الله وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وإن بيدي لواء الحمد وأجارني الله عليكم من ثلاث أن لا يهلككم بسنة وأن لا يستبيحكم عدوكم وأن لا تجتمعوا علي ضلاله " . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه الطبراني .

وروي البخاري عن أنسٍ قال كان رجلٌ نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانيا وكان يقول : لا يدري محمد إلا ما أكتب له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر فحفروا له وعمقوا في الأرض ما استطاعوا فأصبحوا قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه " وهذا جزاء من يفتري علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب

وحينما جاءه وفد بني عامر وكان علي رأسه الطفيل الذي بت أمرأ مع فرد آخر بقتل النبي صلي الله عليه وسلم غدراً أثناء استقباله وقد أسلم قومه وقالوا له : يا عامر إن الناس أسلموا فأسلم " وهنا يرد عليهم قائلاً والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتي تتبع العرب عقبي أو أتبع عقب هذا الفتي من قريش " واتفق مع شريكه وكان يسمي أسيد باغتيال الرسول صلي الله عليه وسلم ، ولما أتي النبي

صلي الله عليه وسلم قال له : يا محمد خالني أي لتخلو إلي لأتحدث معك فقال صلي الله عليه وسلم " لا والله حتي تؤمن بالله وحده ورسوله " وجعل يتكلم معه ليعطي فرصة لشريكه باغتيال النبي صلي الله عليه وسلم وظل يكرر كلامه مع النبي صلي الله عليه وسلم يكرر قوله ، وكان ينتظر أن يأتي الثاني باغتيال النبي صلي الله عليه وسلم من الخلف ولما لم يجد ذلك من النبي صلي الله عليه وسلم قال " أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً " فما كان منه صلي الله عليه وسلم إلا أن قال " اللهم اكفني عامر فلما خرجا قال عامر لشريكه : ويلك أين ما كنت أمرتك به ؟ قال أُسَيْد : والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت يقصد عامر بيني وبين الرجل يقصد النبي صلي الله عليه وسلم حتي ما أري غيرك أمامي فأضربك بالسيف وأثناء عودتهم أصاب عامر الطاعون بينما هو في بيت امرأة يلهو بها ، وهكذا يموت عدو رسول الله مذلولاً مفضوحا ، أما أربد فقد سلط الله عليه صاعقة فأحرقته ليكون عبرة .

وعن أنس بن مالك أن النبي صلي الله عليه وسلم دخل مكة وعليه مغفر فقيل له هذا بن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه " البخاري ومسلم .

بن خطل بن عبد العزي لما أسلم سمي عبد الله ارتد بعد إسلامه وقتل مسلما يخدمه لما أرسله النبي صلي الله عليه وسلم علي الصدقة ، وهجي الرسول صلي الله عليه وسلم والمسلمين أما الذي قتله يوم الفتح أبو برزة بين الرحل والمقام ، أما تعلقه بأستار الكعبة فإنما كان خوفاً من القتل وليس إيمانا منه وأما استباحة دمه في الأشهر الحرم فإنه لا ينافي وعده صلي الله عليه وسلم في قوله من دخل المسجد فهو آمن " لأن بن خطل كان من الأربعة الذين طلب النبي صلي الله عليه وسلم قتلهم أينما وجدوا " ، فحين أهدر النبي صلي الله عليه وسلم دم هذا الشاعر كما أهدر دم شعراء آخرين ممن هاجموا النبي صلي الله عليه وسلم والإسلام في شخصه إنما كان يحارب من أجل دين البشرية جميعا ولم يكن يدافع عن شخصه هو فالنبي صلي الله عليه وسلم حليم غاية الحلم حين يلقي الكفار التراب علي وجهه وهو يصلي ، لأن هذا عدوان واقع عليه فهو عليه الصلاة والسلام بشر رسول كما جاء بنص القران وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو علي خلق عظيم فهو يعفو علي من يعتدي علي بشر فيه ، وليس من المعقول أن يعفو علي من يعتدي علي الرسول فيه والذين هجوه هجوا فيه

الرسول لا البشر ، والرسول هنا هو حامل رسالة الله ذو القوة المتين ، والنبي صلي الله عليه وسلم محمي بحماية السماء ومحفوظ بحفظ الله في حياته وبعد موته فأي إساءة لشخصه صلي الله عليه وسلم هي إساءةٌ مباشرةٌ إلي رسوله ولم يكن رسوله فقط ولكنه حبيبه وخليله كما أخبرنا به صلي الله عليه وسلم فحين تجد هناك تجاوزات في حقه صلي الله عليه وسلم فاعلم أن الله لن يترك من يبادره بالعداء أو السب العلني أو السخرية أو غيره ، واعلم أن الله لن يتركه وسوف يعاقبه بما يجعله عبرة لمن يعتبر .

ومن حديث أبي خالد الأحمر عن ابن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلى إضم ، قال : فلقينا عامر بن الأضبط ، قال : فحيا بتحية الإسلام ، فنزعنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله ، فلما قتله سلبه بعيرا له ومتيعا كان له ، فلما قدمنا جئنا بشأنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بأمره فنزلت هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا الآية ، قال ابن إسحاق : فأخبرني محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة قال : حدثني أبي وعمي وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم جلسَ تَحْتَ شَجَرةٍ ، فقام إليه الأقرع بن حابس وهو سيد خندف ، يرد عن أم محلم ، وقام عيينة بن حصن يطلب بدم عامر بن الأضبط القيسي وكان أشجعيا ، قال : فسمعت عيينة بن حصن يقول : لأذيقن نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تقبلون الدية ؟ فأبَوْا ، فقام رجل من بني ليث يقال له مكيتل فقال : والله يا رسول الله ، ما شبهت هذا القتيل في عزة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت فنفر آخرها ، أسنن اليوم وغيِّرْ غدا ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيديه : لكم خمسون في سفرنا هذا ، وخمسون إذا رجعنا ، قال : فقبلوا الدية ، قال : فقالوا : ائتوا بصاحبكم يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجيء به فوصلت حليته وعليه حلة قد تهيأ فيها للقتل حتى أجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما اسمك ؟ قال : محلم بن جثامة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيديه ووصف أنه رفعهما ، اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ، قال : فتحدثنا بيننا أنه إنما أظهر هذا ، وقد استغفر له في السر ، قال ابن إسحاق : فأخبرني عمرو بن عبيد عن الحسن قال : قال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم : أمنته بالله ثم قتلته ، فوالله ما مكث إلا سبعاً حتى ماتَ محلم ، قال : فسمعتُ الحسن يحلف بالله : لدفن ثلاث مراتٍ كل ذلك تلفظه الأرض ، قال : فجعلوه بين سدي جبل ورصوا عليه من الحجارة ، فأكلته السباع فذكروا أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أما والله إن الأرض لتطبق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يخبركم بحرمتكم فيما بينكم .

محمد الداعية

قال تعالي " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) سورة الفتح (29) .

وصفه الله تعالي مع أصحابه بأحسنِ حال فهم متحابون رحماء رفقاء متماسكون متآلفون .

كان لدعوة النبي صلي الله عليه وسلم أثراً بالغاً وشديداً علي قومه حيث كان النبي صلي الله عليه وسلم يزداد اتباعه كل يوم ، ومن يؤمن به لا يرجع عن دعوته مع أن معظمهم كان من المستضعفين وكل هذا ما يثير حمية المشركين وصلفهم وكبرهم وعنادهم ، ولكن النبي صلي الله عليه وسلم كان صَلباً في موقفه وثابتا علي مبدئه ، و استخدم النبي صلي الله عليه وسلم كل وسائل التنوع في الدعوة ومنها ما كان في سرية ومنها أيضا بالتوضيح والمجادلة بالحسني ، ومنها التعامل مع كلٍّ حسب عقله ووعيه والصبر في الدعوة ، وكل ذلك من ما زاد من معاناته ، إلي جانب تحمله ما تحمل من المشركين وكارهي دعوته ، وأعداء الدين والحاقدين وغيرهم .

والنبي صلي الله عليه وسلم يقول (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) ، فالقضية الأولي عند النبي صلي الله عليه وسلم هي أن يخرج الله بك الناس من ظلام الكفر إلي نور الإسلام من النار إلي الجنة .

ودعوته صلي الله عليه وسلم للملوك والأمراء ، بعد أن تفرغ في المدينة وأسس أركانها بدأ يدعو الملوك خارج المنطقة ، فربما وجد خيرا فيهم ، كتابه إلي كسري ملك فارس وفيه يدعوه إلي الإسلام فمزقه كسري ، وقال في غطرسة عبدٌ حقير من رعيتي اسمه قبل اسمي ومزَّق الرسالة ، ولما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك قال : مزق الله ملكه ، وقد كان كما قال النبي صلي الله عليه وسلم فقد كتب كسري إلي باذان عامله علي اليمن وقال : ابعث إلي هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به فاختار باذان رجلين من عنده وبعثهما بكتاب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معه إلي كسري فذهبا إليه ، وقالا له : إن كسري كتب إلي الملك باذان أن نأتيه بك ، وبعثنا الملك باذان إليك لتنطلق معنا فأمرهما النبي صلي الله عليه وسلم أن يلقياه غدا وفي ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة كبيرة ضد كسري من داخل بيته بعد أن لاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر الروم فقد قام شيراويه ابن كسري علي أبيه وقتله وأخذ المُلْك لنفسه وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي الأولي سنة سبع وعلم الرسول صلي الله عليه وسلم الخبر من الوحي فلما غدا أحدهما عليه بذلك فقال: هل تدري ما تقول إنا قدمنا عليك ما هو أيسر أفنكتب هذا عنك ونخبره قال " نعم" أخبراه ذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسري وينتهي إلي منتهي الخف والحافر ، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك علي قومك من الأبناء فخرجا من عنده حتي قدما علي باذان فأخبراه الخبر ، وبعد قليل جاء كتابٌ بقتل شيراويه أبيه وقال له في كتابه انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك فلا تهجم حتي يأتيك أمرٌ مني بذلك وكان ذلك سبب في إسلام باذان ومن معه .

ولننظر إليه صلي الله عليه وسلم حين أراد أن يدعو القبائل لقد خاطب كل أمير أو ملك بأسلوب مختلف ولننظر إلي اختلاف أسلوبه من التهديد والوعيد إلي التوجيه والهداية ، وصدق الله إذ قال " وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين "، فليس اختيار الله له من فراغ إنما استحق هذا التشريف فمع كل هذا كان صلبا يملك قوة مع زهده وعزا مع تواضعه ورحمة مع صبره وحرصا علي المؤمنين وهو واثق في ربه متوكل عليه حتي آخر لحظة في حياته واثق من نصر الله له .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان صلي الله عليه وسلم إذا حدث الحديث أو سأل عن الأمر كرره ثلاث ليفهم ويُفهم عنه .

وما رواه أنس بن مالك في صحيح البخاري "أَنَّهُ صلي الله عليه وسلم كانَ إذَا تَكَلَّمَ بكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلَاثًا، حتَّى تُفْهَمَ عنْه ، وإذَا أتَى علَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عليهم ، سَلَّمَ عليهم ثَلَاثًا " وهذه من مقومات الداعية الخبير بالنفوس والمهتم بتبليغ رسالته .

<u>وعن متاعب النبي صلي الله عليه وسلم في الدعوة</u>

نعلم أن ما أتي به النبي صلي الله عليه وسلم إلي قومه كان مفاجأةً وأمرا منكرا لمن كان قلبه سقيما ، و لهذا فكان النكران والجحود من بعضهم والحرب والتحدي من الآخرين ، ولكن لأن النبي صلي الله عليه وسلم كان من قبيلة ذات نَسَبٍ عريق ومع قوة تمسكه بمبدئه وثباته في الأمر كل ذلك جعله عصيا علي قريش ، وجعلهم يقفون أمام قوة نسبه وعراقته ضعفاء ، فلو كانَ من أصلٍ خبيث أو دنيء لقتلوه كما يقتلون المجرمين والعبيد فلا دية لهم عندهم .

دعت قريش النبي صلي الله عليه وسلم ذات يومٍ للتفاوُضِ لعلَّهمْ يصلون معه إلي حل ، وكان يجلس بظهر الكعبة فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجُلاً من العرب أدخل علي قومه ما أدخلت علي قومك لقد شتمت الآباء وعيَّبْتَ الدين وشتمت الآلهة وسفَّهْتَ الأحلام وفرَّقْتَ الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا جئت به فيما بيننا وبينك " ومضوا في الحديث فعرضوا عليه ما سبق أن عرضوه وآخرهم إليه عتبة بن ربيعة قال : وسيادة وملك وطب فقال صلي الله عليه وسلم " ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالاً ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكني والله بعثني الله إليكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم بالإسلام ونصحت لكم فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم " قالوا مقترحين

: يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فلييسر هذه الجبال التي قد ضيِّقَتْ علينا ، وليبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من ما مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخ

صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك وصنعت لنا ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول ، فقال صلي الله عليه وسلم " ما بهذا بعثني إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن قبلتموه فهذا حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر حتي يحكم الله بيني وبينكم" ، قالوا فان لم تفعل فسل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك واسأله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك بهما عن ما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتي نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال صلي الله عليه وسلم " ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا و ما بهذا بُعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن قبلتموه فهذا حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر حتي يحكم الله بيني وبينكم " ، وثمت قالوا : فأسقط علينا كسفا من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل فرد صلي الله عليه وسلم قائلا " ذلك إلي الله إن شاء أن يفعله بكم فعل " قالوا : يا محمد أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانعٌ في ذلك بنا إذ لم نقبل ما جئتنا به أنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإذا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا إليك يا محمد إنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتي نهلكك أو تهلكنا فلن نؤمن لك حتي تأتينا بالله والملائكة قبيلا " .

وخرج النبي صلي الله عليه وسلم مع بن عمته عاتكة عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال له : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفونه من فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك أبدا حتي تتخذ إلي السماء سلماً ترقي فيه وأنا أنظر إليك حتي تأتيها ثم يأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لي أنك كما تقول والله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك " فعاد النبي صلي الله عليه وسلم حزيناً مهموماً .

وحاول الملأ من قريش أن يغروا أبا طالب ليخلي لهم محمداً ابن أخيه ، فذهبوا ومعهم عمارة بن الوليد وهو أعذبُ فتيانِ قريش ، فقالوا له هذا عمارة بن الوليد أقوي فتي في قريش وأجملهم فخذه فلك عقله وبصره فاتخذه ولدا ، فهو لك وأسلم إلينا بن أخيك فنقتله فإنما هو رجلٌ برجل ، وغضب أبو طالب و صاح فيهم بئس ما تسومونني ، تعطوني ابنكم أغذوه لكم و أعطيكم ابني تقتلوه ، هذا والله لا يكون أبدا " فقال قائل : يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا علي التخلص من ما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فرد عليه أبو طالب وقال : والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدا لك .

قام عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وقال لقريش : ألا أقوم إلي محمدٍ فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ ، قالوا وقد داخلهم الخوف من إسلامه : يا أبا الوليد قم تكلم ، وقام عتبة حتي جلس إلي المصطفي صلي الله عليه وسلم فقال له متلطفا متوددا : يا بن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكان في النسب قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضي من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتي تكون أكثرنا أموالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتي لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتي يبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع علي الرجل حتي يداوي منه ، فسأله النبي صلي الله عليه وسلم " أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ " قال : نعم قال صلي الله عليه وسلم " فاسمع مني وتلا عليه الصلاة والسلام من أول سورة فصلت حتي وصل إلي قوله تعالي " ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون " فسجد ثم قال لعتبة قد سمعت أبا الوليد ما سمعت أنت وذاك ؟ وخرج عتبة وهو متأثر بما سمع وعرف أصحابه أنه قد تغيَّرَ حاله فإذا جلس بينهم سألوه ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه

فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه وإن يظهر علي العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به ، قالوا جميعا سحرك يا أبا الوليد فقال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ومع ذلك بقي علي شركه .

وكان النبي صلي الله عليه وسلم يجتمع مع أصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم علي جبل الصفا وعندما خرج عمر شاهرا سيفه إلي دار الأرقم بن أبي الأرقم والنبي صلي الله عليه وسلم فيها مع أصحابه ، وكان عمر لم يزل مشركا ، وحينما قرع الباب قام رجل ينظر من الطارق من خلف الباب قبل أن يفتح ولكنه ارتد فزعاً يقول : هذا عمر بن الخطاب متوحشاً سيفه ، فقال حمزة بن عبد المطلب لا أخه محمد ائذن لي فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسفه " وتحسس حمزة فقبض سيفه وتهيأ لقتالِ عمر ، ولكن النبي صلي الله عليه وسلم قابله وما إن دخل حتي أخذ بخناقه جذبه جذبة شديدة تطوَّحَ لها عمر وقال له " ما جاء بك يا بن الخطاب فوالله ما أراك تنتهي حتي ينزل الله بك قارعة " ورد عمر بصوتٍ خافتٍ : يا رسولَ الله ثم قال : جئت لأؤمن بالله ورسوله " ، وهلَّلَ النبي صلي الله عليه وسلم وقال " الله أكبر " و تبعه حمزة ومن معهم ومسح النبي صلي الله عليه وسلم علي صدره ودعا له بالثبات .

والنبي صلي الله عليه وسلم يوضح منهجه في الدعوة فيقول فيما رواه بن عمر رضي الله عنهما أنه صلي الله عليه وسلم " بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبَد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار علي من خالف أمري ومن تشبه بقوم كان منهم " مسند أحمد والبخاري .

وتنص دساتير الدعوة الأوروبية علي أن أعظم وسائل النجاح في الإعلام يرجع إلي ما يرجع إلي تكرار الموضوع الذي يراد جذب الأذهان إليه في كل مناسبة ليمكن النفوس ثم إلي تهيئة الموقف بانتهاز الفرص السانحة للدعوة ثم إلي اللباقة في العرض وحسن تهيئته مع الإلمام بالكثير عن أهواء النفوس ومطارح الرغبات من الناس.

والدعوة دائما ما يكون لها هدف يسعي إليه الداعي ولكن يجب أن يتحلي بشروط :

1- انتهاز الداعية للفرص الملائمة فالداعية إنسانٌ صادق أخذت عليه الدعوة مشاعره وملكت أحاسيسه فهو ينفرد بنسبه ويجتمع بصحبه ويسافر إلي مقصده وقلبه مشغول بما يدعو إليه والإسلام يرتفع بالنفس عن المذلة والهوان والسؤال للمال ذل كما قال أرسطو والنبي صلي الله عليه وسلم يأتيه حكيم بن حزام ويستجدي منه المال فيقول صلي الله عليه وسلم لحكيم " إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس فلا بورك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلي " فيقول حكيم والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئا حتي أفارق الدنيا " ، وكان عهده صادقا فقد أتي أبو بكر وعمر وأرادا أن يعطياه نصيبه من الفئ فأبي معترضا بشدة تمسكه بما عاهد عليه النبي صلي الله عليه وسلم .

وكل حياة النبي صلي الله عليه وسلم هكذا ، وإن الكلمة لتقع في قلب الآخرين موقع السهم في الرشاء فكأنها أصابت موضعها وهو صلة حكيم صادق الحكمة والذين يكتبون أساليب الدعاة اليوم يوجبون علي الداعية أن يستعين بالحركة اللافتة والإشارة المعبرة والاتصال المؤثر لتظهر حرارة إخلاصه ، والنبي صلي الله عليه وسلم كانت إشاراته وحركاته في مجال الدعوة ذاتية ينبعث فيها الانفعال الصادق دون تزييف .

ويعلم النبي صلي الله عليه وسلم أن بعض الناس يشهدون الزور دون انتهار فيجلس بين أصحابه ويقول لهم في أسلوب استعراض " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ فقيل : بلي يا رسول الله فيقول في ثورة : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، قال الراوي وكان متكئا فجلس ثم قال : ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتي قلنا ليته سكت " البخاري

وأراد أن ينبه الأمة يوماً إلي أمرٍ رشيد في حلم مسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلي الله عليه وسلم " أتدرون من المفلس يوم القيامة ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيامٍ وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه فقذف في النار ".

والنبي صلي الله عليه وسلم علي علمٍ كبيرٍ وفهمٍ عميق بأصحابه ونفوسهم وطبائعهم وإمكانياتهم ومع ذلك كان معهم مثل الأخ مع أخيه .

روي الأمم أحمد في مسنده أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أبصر علي عمر ثوباً جديداً فقال أجديد ثوبك أم غسيلْ ؟ قال : لا أدري ما رد عليه ، فقال صلي الله عليه وسلم " البس جديدا وعش حميداً ومت شهيدا " وقد مات عمر رضي الله عنه شهيداً .

2- الخبرة بالنفوس : إن علم النفس يدرس في معاهد الإعلام المختلفة بإفاضة قديرة ليكون المحاضر أو الكاتب أو الخطيب أو الإذاعي أو الصحفي أو من يمت إلي الإفصاح بسبب ما خبيرا بطوايا النفوس فهل غابت هذه الخبرة الدقيقة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟

لو لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم صاحب خبرة صادقة بالنفوس ما استطاع أن ينهض بدعوته بين متآمرين فيبرأ الصدع ويلم الشمل مع اختلاف الأهواء واختلاف المنازع .

وروي أن أبا بكر دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو مضطجعٌ وعليه ثوبه فقضي حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضي حاجته وخرج ثم جاء علي فقضي حاجته وخرج ثم جاء عثمان فجلس النبي صلي الله عليه وسلم له فقالت له عائشة لم تصنعْ هذا بأحد ، فقال صلي الله عليه وسلم :" إن عثمان رجل حيي و إني خشيت إن أذنت له علي تلك الحالة أن لا يبلغ إليَّ في حاجته "

ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر بن الخطاب " رواه مسلم ، وهذا يدل علي خبرة النبي صلي الله عليه وسلم بنفوس وطبائع أصحابه .

بمجرد نزول الوحي علي النبي صلي الله عليه وسلم بدأ صلي الله عليه وسلم في الدعوة وكانت دعوته سرا كما أمره ربه "وأنذر عشيرتك الأقربين فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون "

وهكذا ظل النبي صلي الله عليه وسلم ملازماً لدعوة ربه صابرا علي ما لاقي من أذي حتي أتاه اليقين

واستخدم النبي صلي الله عليه وسلم في دعوته كل الوسائل التقليدية سار مثل ما يسير البشر وكان ينصره زوجته السيدة خديجة وعمه أبو طالب وعندما ماتا في عام واحد ، وكان ذلك في العام العاشر من بعثته ، وسُمِّيَ هذا العام بعام الحزن أراد الله أن يسليه ويعزيه عن وفاة أكبر نصيرين له في وقته ، وهمَّا عمُّه وزوجته فكانت رحلةُ الإسراء والمعراج ولعله صلي الله عليه وسلم هو النبي الوحيد الذي نالَ هذا الشرف وصعدَ إلي السماء وهو حي ، ولعلنا علمنا من تلك الرحلة مدي كرامة النبي صلي الله عليه وسلم وعظمته وإمامته للأنبياء ومدي مكانته عند ربه إلي جانب أن الله فرض عليه الصلاة في هذا الوقت وذلك تقدير لأهمية الصلاة ومدي عظمتها عند الله ....

كانت هناك أمورٌ يقوم بها النبي صلي الله عليه وسلم من تلقاء نفسه فلم تكن رسالة السماء تأتيه في كل حركة من حركاته ولله المثل الأعلى ، فكما تقول لرسول لك بلغ رسالة كذا إلي فلان وأنت تترك له حرية التصرف في كل حركاته وتنقلاته ، فما يعنيك هو أن تصل رسالتك إلي من تريد أن تصل إليه ، ولأن النبي صلي الله عليه وسلم بشر فيجب أن يعيش كما يعيشُ البشر وإن لا فمن باب أولي ان يختار الله لأداء رسالته مَلِكاً .

كانت هناك أمورٌ يتعامل معها النبي صلي الله عليه وسلم بنفسه ، وهناك أمور تعضل عليه أو ينتظر فيها نزول الوحي وهو في كل الأحوال يسير كما يسير البشر ، يعاني ويلاقي العناء كأي إِنْسان يسير في أمرٍ مهمٍ يعنيه . كان بإمكان الله أن يجعل له صفات تفوق البشر أو يعيش بأسلوب مميز عن المخلوقات فهو مرسل من عند الله ، ولكن لكي تتم رسالته لا بد أن يكون بشراً مثل بقية البشر ويسير كما يسير الناس ، لأنه لو كان ملكا فالبتأكيد سيؤمن به كل من حوله لأن طاقة البشر لا تستطيع أن تقاوم قوة المَلِكِ ، ولكن لن يكون هناك اختبار وتمييز وسيكون الإيمان صوري بدون أن يكون من القلب خوفا من سلطان الملك علي الناس ، ولكن الله يريد أن يبلغ إلي الناس رسالته عن طريق بشرٍ منهم ، اختاره بعينه ورباه بطريقته ، وكأن الله يقول للناس أرسلت إليكم رسولا من أنَفسِكمْ معدنا وأطهركم أصلا ، وهو ما يجب أن يدركه العقلاء ويقتنع به من كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد .

عاني النبي صلي الله عليه وسلم أشد المعانة في مكة ، ولكن كل وقت يمر يزداد أنصاره ومتبعوه حتي جاء وقت الهجرة إلي المدينة لينشر الدين لا ليبحث عن السعادة أو المال ، حيث أنه قد بذل كل ما في وسعه في هذا المكان وسيعود إليه لاحقا .

سار صلي الله عليه وسلم في هجرته ،كما يسير الناس واتخذ دليلاً مشركاً في هجرته ليدله علي الطريق ومع أنه كان مشركاً ولكنه كان أمينا ، فرَّ من قريش كان بإمكانه أن يقول سوف يعلمني الله بخبايا الطريق ولكنه يسير كما يسير البشر ، وكانت عناية الله تأخذ بيديه في الوقت المناسب ، وهو ما رأيناه في قصة الغار وإخفاء الله لعيونهم عنه وأيضا ليكون النبي قدوة للبشر في كل حركاته وسكناته فلو صدر من نبي مهما كان أي تصرف ، هزلي أو في غير وعي أو كان مثلا تحت تأثير مخدِّرٍ أو مرض فكيف يثق الإنسان العادي فيه ويتبعه خاصة في أمور حساسة جداً وهي رسالة السماء .

ولولا هجرة الرسول صلي الله عليه وسلم (التي كانت سببا في نصرة الإسلام وقوته) لعاشت الإنسانية حتي اليوم في ظلال الوثنية والجهل والتأخر والفوضى والضلال والهمجية والجاهلية الأولي ولولا الهجرة لما سارت مواكب العلم والتقدم والحضارة تشق طريقها إلي كل مكان ، لأن الهجرة كانت بداية النور وبداية إشعاع المنهج النبوي وبزوغه وخروجه من قيود الشرك إلي رحابة الإيمان والهدي .

<u>الإعجاز العلمي في السنة النبوية :</u>

يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام لأصحابه " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الإسلام ، وذلا يذل الله به الكفر" حققه الألباني ، أي أن الإسلام سينتشر في كل مكان يصله الليل والنهار أي في كل الأرض ، وبالفعل تقول الإحصائيات الغربية إن الإسلام موجود في كل مكان من العالم اليوم ، فالإحصائيات تخبرنا بأنه عام 2025 سيكون الإسلام هو الدين الأول من حيث العدد على مستوى

العالم ، وهذا الكلام ليس فيه مبالغة ، بل هي أرقام حقيقية لا ريب فيها ، هذه الأرقام جاءت من علماء غير مسلمين أجروا هذه الإحصائيات .

وقال عليه الصلاة والسلام " جعلت لي الأرض مسجداً وطَهورا " رواه مسلم ، فقد اكتشف العلماء في بحث جديد وجود مضادات حيوية في تراب الأرض ، وهذه المضادات يمكنها تطهير وقتل أعند أنواع الجراثيم ، بما يُثبت أن التراب مادة مطهرة . وفي دراسة جديدة يقول العلماء فيها : إن بعض أنواع التراب يمكن أن تزيل أكثر الجراثيم مقاومة . ولذلك هم يفكرون اليوم بتصنيع مضاد حيوي قاتل للجراثيم العنيدة مستخرج من التراب ، وبعد تجارب طويلة في المختبر وجدوا أن التراب يستطيع إزالة مستعمرة كاملة من الجراثيم خلال 24 ساعة ، نفس هذه المستعمرة وُضعت من دون طين فتكاثرت 45 ضعفاً .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) متفق عليه ، ولقد أثبت العلماءُ أن الإنسان حين ينامُ إلى فراشه يموت في جسم الإنسان خلايا فتسقط على فراشه وحينما يستيقظ الإنسان تبقى الخلايا موجوده في فراشه وعندما ينام مرةً أخرى تسقط خلايا مره أخرى فتتأكسَدُ هذه الخلايا فتدخل في جسم الإنسان فتسبب له أمراضاً والعياذ بالله وهذه الخلايا لا تُرى إلا بمجاهر ، وحاول الغربيون حل هذه المشكله فقاموا بغسل هذه الفرش بمواد منظفة لكن دون جدوى استخدموا جميع المنظفات لكن لم تتحرك هذه الخلايا ، فقام أحد العلماء الغربيون بنفض هذه الخلايا بيده ثلاث مرات ، فإذا بالخلايا تختفي ، ففرح هذا العالم أنه اكتشف كيف يزيل هذه الخلايا من الفراش ، عن طريق نفض الفراش ثلاث مرات

تحدث النبي الكريم بدقةٍ فائقةٍ عن حقيقة علمية لم يتمكن العلماء من رؤيتها إلا قبل سنوات قليلة ، يقول عليه الصلاة والسلام " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً " رواه مسلم ، وقد ثبت علمياً أن منطقة شبه الجزيرة العربية كانت ذات يوم مليئة بالمروج والأنهار ولا تزال آثار مجرى الأنهار حتى يومنا هذا ، وقد دلت على ذلك الصور القادمة من الأقمار الاصطناعية ، والتي تظهر

بوضوح العديد من الأنهار المطمورة تحت الرمال في جزيرة العرب ، ويصرح كبار علماء الغرب في وكالة الفضاء الأمريكية ناسا اليوم بأن الصور الملتقطة بالرادار للصحراء أظهرت أن هذه المنطقة كانت ذاتَ يوم مغطاة بالبحيرات والأنهار ، وكانت البيئة فيها مشابهة لتلك التي نراها في أوربا ، وأنها ستعود يوماً كما كانت .

في حديث المرور على الصراط ، يعتبر هذا الحديث من أحاديث الإعجاز العلمي في السنَّة النبويَّة المطهَّرة ، هذا الحديث الشريف ينطوي على معجزة علمية في قول الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم " ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين ؟ " رواه مسلم ، حيث تبيَّن التطابق الكامل بين الكلام النبوي الشريف وبين ما كشفه العلماء مؤخراً من عمليات معقدة ودقيقة تحدث في ومضة البرق ، حيث وجد العلماء أن أي ومضةَ برق لا تحدث إلا بنزول شعاعٍ من البرق من الغيمة باتجاه الأرض ورجوعه ، في هذا الحديث إشارة إلى أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قد تحدّث عن أطوار البرق بدقة مذهلة ، بل وحدَّد زمنها أيضاً ، وربما نذهل إذا علمنا أن الزمن اللازم لضربة البرق هو الزمن ذاته اللازم لطرفة العين ، وهذا ما أخبر به النبي الأعظم .

اكتشف العلماء حديثاً أن منطقة الناصية أعلى مقدمة الدماغ تتحكم باتخاذ القرارات الصحيحة وبالتالي كلما كانت هذه المنطقة أكثر فعالية وأكثر نشاطاً وأكثر سلامة كانت القرارات أكثر دقة وحكمة ، ولذلك نجد دعاء النبي الكريم " ناصيتي بيدك " رواه أحمد . وفي هذا تسليم من النبي إلى الله تعالى ، بأن كل شأنه لله ، وأن الله يتحكم كيف يشاء ويقدر له ما يشاء ، والشيء الآخر الذي كُشف عنه حديثاً هو أن منطقة الناصية تلعب دوراً مهماً في العمليات العليا للإنْسان مثل الإدراك والتوجيه وحل المشاكل والإبداع ، ولذلك سلَّم هذه المنطقة لله تعالى في دعائه" ناصيتي بيدك ". وفي هذا إشارة علمية لطيفة إلى أهمية هذه المنطقة .

يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم" إن من أمارات الساعة أن يظهر موتُ الفجأة "رواه الطبراني ، ومن خلال الإحصائيات الدقيقة للأمم المتحدة والتي تؤكد أن ظاهرة الموت المفاجئ لم تظهر إلا حديثاً وهي في تزايد مستمر على الرغم من كل الإجراءات الوقائية .

يؤكد معظم العلماء أن الهرم هو أفضل وسيلة للنهاية الطبيعية للإنسان ، وإلا فإن أي محاولة لإطالة العمر فوق حدود معينة سيكون لها تأثيرات ضارة كثيرة أقلها الإصابة بالسرطان، ويقول البروفيسر

" لي سيلفر" من جامعة برينستون الأمريكية: إن أي محاولة لبلوغ الخلود تسير عكس الطبيعة ، لقد خرج العلماء بنتيجة ألا وهي أنه على الرغم من إنفاق المليارات لعلاج الهرم وإطالة العمر إلا أن التجارب كانت دون أي فائدة ، وهذا ما أشار إليه النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام بقوله: تداووا يا عباد الله، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاءً إلا داءً واحداً الهرم" رواه أحمد .

تنبأ النبي صلي الله عليه وسلم بظهور مرض الإيدز وحذر الإنسانية منه فقال " لم تظهر الفاحشة في قوم ويعلنوا عنها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا " رواه الحاكم وبن ماجه والبزار .

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد يمضمض ويشخص فاه بالسواك " رواه بن ماجه ، وقال صلي الله عليه وسلم " تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ما جاءني جبريل إلا وأوصاني بالسواك حتي لقد خشيت أن أحفي مقادم فمي " رواه بن ماجه .

وفي عصرنا الحاضر أجريت أبحاث عديدة علي السواك في كليات الطب والصيدلة فوجد أنه يحتوي علي العناصر التالية مادة الفلورين التي تقوي اللثة ، والفلوريد القاتلة للبكتيريا ، مادة فيتامين c الذي يقوي الأوعية الدموية باللثة ، مادة السليكون التي تزيل الطبقة الصفراء وطبقة البكتيريا من الأسنان وتكسبها نعومة .

لماذا كان يضع الرسول يده تحت خده عند النوم ؟

روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا أراد أن ينام وضع يده تحت خده الأيمن و يقول : (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) .

نعم لقد كانت من عادة نبينا العظيم وضع كفه الأيمن تحت خده الأيمن لماذا ؟

لقد أثبت العلماء أن هناك نشاطاً يحدث بين الكف الأيمن و الجانب الأيمن من الدماغ يحدث عندما يتم الالتقاء أي كما ورد عن نبينا العظيم صلى الله عليه و سلم ، يؤدي إلى إحداث سلسلة من الذبذبات يتم من خلالها تفريغ الدماغ من الشحنات الزائدة و الضارة مما يؤدي إلى الاسترخاء المناسب لنوم مثالي ، "و ما ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى" سورة النجم .

لماذا نصوم الأثنين والخميس ؟ نترك الاجابة على هذا السؤال للبرفيسور الياباني المسلم يورشينوري يقول : كان نبينا الكريم يصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع ،كان هذا هو موضوع جائزة "نوبل" لعام 2016 للفسيولوجي والطب للطبيب والعالم اليابانى المسلم " يورشينوري أوهسومي " حيث قال في دراسته : حين يجوع جسد الإنسان يأكل نفسه أو يقوم بعملية تنظيف لنفسه وذلك بإزالة كل الخلايا السرطانيه وخلايا الشيخوخة والزهايمر ويحافظ علي شبابه ويحارب أمراض السكر والضغط والقلب عن طريق تكوين بروتينات خاصة لا تتكون إلا تحت ظروف معينة ، وعندما يصنعها الجسم تتجمع بشكل انتقائي حول الخلايا الميتة والسرطانية والمريضة وتحللها وتعيدها إلى صورة يستفيد منها الجسم ، وهذا ما يشبه تدوير المخلفات أو recycling وهذه العملية والتي تسمى autophagy تحتاج إلى ظروف غير تقليدية تجبر الجسم عليها وتتمثل هذه الظروف في امتناع الإنسان عن الطعام والشراب لمدة تتراوح مابين 8 إلى 16 ساعة بشرط أن يتحرك الإنسان في تلك الفترة ويمارس حياته الطبيعية وتتكرر هذه العملية لفترة من الزمن لكي يتمكن الجسم الإستفادة من هذه العملية وحتي لا تعطي فرصة للخلايا السرطانية أن تنشط مجددا وأثناء هذا الحرمان الكامل والمتكرر يوميا لاحظوا نشاط جسيمات بروتينية غريبة أسموها autophagisomes تتكاثر في كل من أنسجة المخ والقلب والجسد تكون أشبه بمكأنس عملاقة تتغذى على أي خلية غير طبيعية تقابلها ، ونصحت الدراسة بعمل مايسمى ب "starvation" وهي تعني ممارسة الجوع والعطش يومان أو ثلاثة أسبوعياً من ٨ إلى ١٦ ساعة .

أمرنا الرسول صلي الله عليه وسلم ، أن نصوم الأيام البيض من كل شهر ، ولكن الغريب ليس بكلام رسول الله صلي الله عليه وسلم فالمخابر الأمريكية أكدت أن القمر لديه القدرة على امتصاص الماء الراكد من جسم الإنسان والغريب في الأمر أنه حسب المخابر الأمريكية : لا يمتص

القمر الماء الراكد في جسم الإنسان أيام اكتماله أي أيام (١٣ ، ١٤ ، ١٥) من الشهر القمري ، والماء الراكد هو الماء الذي لا يطرح في العرق والبول ، لذا خرج المخبر بنتيجة وهي : ننصح الشعب الأمريكي بالإنقاص من الأكل والشرب في الأيام (١٣ و ١٤ و ١٥) من الشهر القمري . وهو ما أمرنا به الرسول صَلي الله عليه وسلم قبل ١٤ قرناً (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) .

وعن استغفار النبي صلي الله عليه وسلم : يحتوي جسد الإنسان على عدة خزانات : للفرح والألم والحزن فالعين كاميرا تلتقط كل ماتراه من صور إيجابية وسلبية وعند النوم تبدأ عملية العرض مما يساهم في توتر النائم ، والرسول عليه الصلاة والسلام أمرنا بالاستغفار الكثير عند النوم ، واتضح بالعلم أنه عند الاستغفار يتحرك اللسان إلى الأعلى عند نهاية الأسنان العلوية ، وهنا يضرب اللسان على الغدة النخامية التي هي في أعلى الرأس فيتم تنظيف الخلايا من الأفكار السلبية والوساوس القهرية ، فينعدل المزاج ،ويزيل السموم ، ويتشبع الجسد بالأكسجين .

موقف رسول الله صلي الله عليه و سلم مع قتلي المشركين في بدر .

وقف صلي الله عليه وسلم ينادي قتلي المشركين في بدر : يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا ، فقال عمر : يا رسول الله أتنادي أقواما قد جيفوا ؟

فقال صلي الله عليه وسلم : و الذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لي منهم ، غير أنهم لا يجيبون ، لكن هل يري الميت من حوله فقط ؟ أم يري أشياء لا نراها أبداً ؟

في بحث من جامعة ميتشيجين وجد أن الإنسان قبيل الموت بلحظات يرى أشياء مجهولة !

وعندما قام فريق البحث بمراقبة نشاط الدماغ لدى عدد من البشر لحظة الموت وجدوا نشاطاً غير عادي في المنطقة البصرية من الدماغ ، لقد سجل العلماء من هذه الجامعة إشارات بواسطة الأقطاب الكهربائية لقياس تقلّبات الكهربية في الدماغ صادرة من عدد من البشر خلال الموت ، و تبين أن نشاطاً زائداً في منطقة الإبصار في الدماغ يدل على أن الميت يرى أشياءً مذهلة تؤدي لحدوث هذا النشاط ، ولكن لم يتعرف العلماء حينها على نوعية الصور التي يراها من يشرف على الموت .

وتبين من صور المسح بالرنين المغناطيسي الوظيفي نشاطاً زائداً في منطقة الإبصار ، مما يدل على أن الكائن الذي يشرف على الموت يرى أشياء غريبة لحظة الموت .

ما نوعية الأشياء التي يراها الميت ؟

أجابتها دراسة لاحقة لجامعة ميتشيجن الأمريكية ذاهّا ، و التي أكدت بشكل تام أن إشارات مركز الإبصار في المخ لحظة الاحتضار تكون بشكل أقوي بكثير جداً من الإشارات الطبيعية ، و تقارب الإشارات التي يعطيها مركز الإبصار في المخ حين التعرض لوميض قوي جدا ، يبدو أن الميت يري حينها أشياء عالية الإضاءة بشكل غير طبيعي ، يراها بوضوح و جلاء تام يفسره الإشارات القوية التي يعطيها مركز الإبصار في المخ بأن هناك موجات ضوئية عالية القوة و الوضوح وصدق الله العظيم إذ قال " لَّقَدكُنتَ فِى غفلة مِّن هَٰذَا فَكَشَفنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيد" "سوره ق 22

يبدوا أن الوميض هذا. المصحوب بإشارات قوية جدا لمركز الإبصار في المخ حين الاحتضار هو لظهور كائنات نورانية عالية الإضاءة جداً بشكل لا يمكن للكائن الحي العادي أن يراها ، و لكن لا يراها إلا من أصبح بصره اليوم حديد .

يقول الحق "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدكم الموت توفّته رُسُلنا و هم لا يفرطون " ، رُسُلُنا تدل علي أن هناك وفد علي ما يبدوا جاء لاصطحابك إلي عالمك الآخر، و يبدوا أن هناك حواراً ما بينهم يختلف باختلاف الميّت ، فمثلا للظالمين تقول لهم الملائكة :" و لو تري إذ الظالمون في غمرات الموت و الملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون " بينما الطيبون والصالحون ، " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلامٌ عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون"

المشي حافيا

كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بممارسة المشي حافيا ، فقد روي عن أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نحتفي أحياناً) رواه أحمد ، وعن عبد الله بن بريدة : أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحل إلى فضالة

ابن عُبيد وهو بمصر فقدم عليه فقال : أما إني لم آتك زائراً ؛ ولكنّي سمعت أنا وأنت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجوت أن يكون عندكم منه علمٌ ، قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما لي أراك شعِثاً ، وأنت أمير الأرض ؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثيرٍ من الإرفاه . قال : فما لي لا أرى عليك حذاءً ؟ قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نحتفي أحياناً " إسناد حسن، وهو صحيح على شرط الشيخين

أما الإشارة القرآنية ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما وصل إلى المنطقة المقدسة ، يقول تعالى: (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) طه (12) ، ولا يخفى على أحد أننا نحن المسلمون نمارس هذه الرياضة أثناء دخولنا إلى المسجد ، حيث يدخل المؤمن حافياً خمس مرات كل يوم ولو حسبنا مجموع المسافة التي يمشيها المؤمن داخل المسجد (وبخاصة إذا كان المسجد كبيراً) فإنها كافية كل يوم لكسب فوائد هذه الرياضة .

تؤكد الدراسات الحديثة على أهمية المشي بقدمين حافيتين وأن لهذه الرياضة فوائد طبية عديدة ، وربما نعجب أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك ، لنقرأ في بحث علمي حديث تبين أن معظم الذين يعانون من آلام القدمين أن سبب ذلك هو لبس الحذاء دائماً ، ولذلك فإن العلاج المثالي هو المشي حافي القديم لمدة ربع ساعة كل يوم ، ويقول الباحثون : إن المشي بهذه الطريقة على العشب أو الخشب أو التراب ، ينشط الأوعية الدموية ويحافظ على الشكل الطبيعي للقدم ويقوي عضلات الساق ويهدّئ النظام العصبي ، وفي تقرير بثته وكالة الأنباء الألمانية تبين أن المشي بدون حذاء (حافي القدمين) على شكل نزهة يعالج آلام القدمين ، بل هو عادة ضرورية للحفاظ على سلامة القدمين وعلى الشكل الطبيعي لهما ، فالحذاء يسبب ضغطاً على جوانب القدمين وبالتالي يعيق حركة الدم في الأوعية ، ولذلك ينصح الأطباء المريض بممارسة رياضة المشي حافياً لأن هذا النوع من أنواع الرياضة ينشط مراكز حيوية في أسفل القدمين مما يؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية وعلاج الدوالي .

المشي بقدمين حافيتين يساعد الأطفال على علاج تشوهات القدم والأقدام المسطحة ويمد الجسم بحيوية إضافية ويزيد القدرة على العمل ويرفع مستوى الطاقة في الجسم ، ويعالج أيضاً التهاب المفاصل ، وفي دراسة أجريت عام 1992م تبين أن الأطفال الذين يلبسون الأحذية باستمرار يزيد

احتمال الأقدام المسطحة لديهم بثلاثة أضعاف ، وتبين أيضاً أن الأحذية الضيقة يمكن أن تسبب تقوس الساقين للأطفال ، وفى هذا الصدد ذكر تقرير نشره الموقع الإلكتروني لصحيفة(تايمز أوف إنديا)عددًا من الفوائد الصحية للمشى حافى القدمين وهى تتضمن الآتي: تخفيف التوتر والاسترخاء ، فالمشى حافى القدمين يزيل من الجسم الأيونات الموجبة ويسمح للأيونات السالبة لدخول الجسم التى تكون مضادا طبيعيا للإكتئاب وتحسين نوعية النوم ، لذا فإن المشي حافى القدمين على الشاطئ أو السباحة ستساعدك على النوم السليم .

تتضمن فوائد المشي حافي القدمين ما يأتي ، التحكم في وضعيّة القدم بشكلٍ أفضل عند اصطدامها بالأرض ، تحسين التوازن وإدراك الحس وانتباه الجسم ، الأمر الذي يساعد على التخفيف من الألم. الحفاظ على مدى مناسب لحركة القدم والكاحل بالإضافة إلى القوة والثبات المناسبين داخل الأربطة والعضلات ، إراحة القدم من الأحذية غير الملائمة والتي يمكن أن تسبب ضرباتٍ في القدم ، زيادة قوة عضلات الساق والذي يدعم منطقة الظهر السفليّة .

والحاصل : أن المشي حافيا أحياناً من السنة ، ولكن يقيد ذلك بما إذا لم يكن في هذا الفعل في هذا البلد شهرة في حق الشخص الذي يفعله ، وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين أن الرجل إذا كان قدوة في بلده ومشهورا بالعلم فإنه يمشي حافيا أحياناً أمام الناس ، لأنهم يعلمون بذلك أن هذا من السنة . أما إذا لم يكن الرجل كذلك ، وستناله الألسنة ، فإنه يمكن أن يكتفي بفعلها في بيته ، أو حيث لا يراه الجهال .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم " لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ، حَتّىَ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبَ لاَتّبَعْتُمُوهُمْ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودُ وَالنّصَارَىَ ؟ قَالَ فَمَن ؟ " متفقٌ عليه .

فلماذا اختار رسول الله جحر الضب ولم يختر جُحْرَ حيوانٍ آخر ؟

بعد البحث في الأمر كثيراً ، شاهد الكثير من سكان الجزيرة العربية ومن يصطادون الضب ، حيث وجدوا أن الضبَّ يقوم بعمل فتحةٍ واحدة للجحر الذي يسكن فيه ، بعكس بعض الحيوانات التي

تعمل عدة فتحات للجحر بغرض التهوية والتمويه للهروب من الأعداء ، فلو أغلق أحد هذه الفتحة عليه لم يستطيع الخروج ومات مدفوناً بداخلها أو يغمره بالماء فيضطر للخروج ، ولكي يصطادون الضب يقومون بملئ جحره ماءً كثيفاً ، فيضطر للخروج فيمسكون به في الحال ، وقد قرر الخبراء بالحيوان أن جُحر الضب يجمع بين القذارة الشديدة ، والضيق فلا جمال فيه يجذب من يدخله

وكأن الرسول صلي الله عليه وسلم يريد أن يقول لنا ، إنكم ستتبعون سنن الكافرين وأفعالهم وتسيرون علي خطاهم خطوةً خطوة حتى فيما اتضح قبحه وصوره وذلك مانجده واضحاً في كثير من القضايا التي ثبت فشلها في الغرب ، ومع ذلك نتمسكُ بها رغم شكاوي الغرب منها ، كقوانين الأسرة والزواج المدني وأمراض الشذوذ والموضة القاتلة وقوانين العلاقات الأسرية وتحرر الفتيات من الولاية بعد سن محدد وحرية الزنا وغيرها مما تشمئز منه النفوس السوية .

وعن أَنسٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللَّه صلي الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصابِعَه الثلاثَ ، وقال: إِذَا سَقطَتْ لُقْمَةُ أَحدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْها الأَذى ، ولْيأْكُلْها ، وَلا يَدَعْها للشَّيْطَانِ ، وَأَمَر أَنْ تُسْلَتَ القَصْعَةُ ، قالَ: فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ في أَيِّ طَعامِكُمُ البَرَكَةُ " رواه مسلم.

وعَنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضْيَ اللهُ عَنْهما أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، أمَرَ بِلعْقِ الأَصابِعِ والصَّحفَةِ ، وقَالَ : " إنَّكم لا تَدرُونَ فِي أيِّهِ البركَةُ ". رواه مسلم.

فقد أثبتت الدراسات العلميّة أن لعق الاصابع بعد انتهاء الأكل مفيد للصحّة ، عند اللعق تُفرزُ الأصابع إنزيم الأميليز الذي يقوم بتسهيل عمليه الهضم ، ولهذا ينصح الأطباء بلعق الأصابع بعد تناول الطعام ، حيث تساعد بعض البكتيريا المفيدة التي لا تزول بعد غسل اليدين ، والتي تعتبر مهمة لمحاربة الميكروبات في الجسم إذا تناولنا الطعام بأصابعنا ، في تحسين عملية الهضم ، ومن السنّة الأكل بثلاث أصابع وهي الإبهام والسبابة والوسطى ، وقد جاء في فتح الباري لابن حجر : فلا يمسح يده. في حديث كعب بن مالك عند مسلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء) رواه البخاري ، وفي هذا الحديث نهي أن يتنفس أحدنا في الإناء الذي يشرب منه ، ففي الفم تعيش بكتيريا تسمي هيلكوباكتر بايللوري ، هذه البكتيريا عند خروجها مع الهواء من الفم تقوم بالتحوصل على الطعام الساخن ، ثم يتناول الإنسان ذلك الطعام ، حيث توجد البكتيريا فيه بشكل كبير جداً وتكون في أتم الاستعداد للدخول إلي الجسم ، وتدخل من الفم ، ثم المرئ ثم إلى المعدة ، فتقوم تلك البكتيريا بالتنشيط و إفراز إنزيم اليوريا الذي يسبب التهاب الأغشية المبطنة للمعدة ، مسبباً بذلك خرقا في الجدار ، أيضاً تسبب تلك البكتيريا ضعفاً في إفراز الأنسولين بالبنكرياس، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر بالدم وحدوث مرض السكري ، كما أكدت دراسة ألمانية حديثة أن هواء الزفير الذي يطلقة الإنسان يحتوي على بعض البكتيريا المفيدة والموجودة بالحلق والتي تساعد في القضاء على بعض الأمراض،ولكن المفاجأة التي أوضحتها الدراسة أنه بمجرد ملامسة هذة البكتيريا لسطح ساخن تتحول إلى بكتيريا ضارة تتسبب فى الإصابة بالأمراض السرطانية المختلفة .

تناول الماء على 3 مرات : عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال " إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الإناء ثلاثاً عند الشرب ، وكان يقول : (هو أهنأ وأمرأ وأبرأ) رواه مسلم في صحيحه .

أثبتت الدراسات والأبحاث العلميه أن الجهاز المسئول عن العطش هو الكبد وعندما يقوم الإنسان بشرب الماء دفعة واحده ينزل الماء فجأة على الكبد ليحدث به تليف حاد.

وتوصلت الدراسات إلى أن شرب الماء على 3 مرات ، المره الأولى تنزل قطرات على الكبد لتنبهه بدخول الماء إليه ، ثم النقاط التاليه تقوم بتهيئه الكبد وتلينه لاستقبال الماء ، ثم تأتي ثالث مرحله وهى شرب الماء فيدخل إلى الكبد دون أي تليف.

لا يستطيع الماء والهواء المرور معًا عبر البلعوم ، فأحدهما يتوقّف ، ويكتم الشخص نفسه لمدّة طويلة عند الشرب على دفعة واحدة ، فيؤدّي إلى انحباس الهواء في الرئتين فيضغط على جدرانها فتتسع وتفقد مرونتها ، ومع مرور الوقت ربما ظهرت أعراض انتفاخ الرئة على هذا الشخص فيضيق نفسه و

يظهر ذلك عند قيامه بأيّ جهد بسيط ، كما أنّ الرئتان قد تضغطان على القلب ممّا يؤدي إلى إصابته بالقصور ، مما يؤثر تأثيراً سلبًيا على الكبد .

قال صلي الله عليه وسلم"لا يشربن أحدكم قائماً فمن نسي فليستقي" رواه مسلم.

فقد حذر الدكتور مجدي بدران زميل معهد الطفولة بجامعة عين شمس ، من تناول الأكل والشرب أثناء الوقوف لما له نتائج سلبية ، وأوضح أن الإنسان يكون في حالة الوقوف متوتراً ويكون جهاز التوازن في مراكزه العصبية بحالة غير فعالة ، موضحاً أن تزامن الطعام والشراب مع هذه الحالة ترافقها تشنجات عضلية في المريء تعوق مرور الطعام بسهولة إلى المعدة محدثة في بعض الأحيان آلاماً شديدة تضطرب معها وظيفة الجهاز الهضمي،

وقد أثبت العلم الحديث أن الشرب وتناول الطعام جالساً أصح وأسلم ، حيث أن شرب الماء واقفاً يؤدي إلى تساقط السائل بعنف إلى قاع المعدة ويصدمها ، وأن تكرار هذه العملية مع طول الزمن يؤدي إلى استرخاء المعدة وهبوطها ، وفي النهاية يؤدي إلى عسر الهضم.

ومن جانبه، أوضح الدكتور إبراهيم الراوي أن الطعام والشراب قد يؤدي تناوله في حالة الوقوف إلى إحداث انعكاسات عصبية شديدة تقوم بها نهايات العصب المبهم المنتشرة في بطانة المعدة ، وأن هذه الإنعكاسات إذا حصلت بشكل شديد و مفاجىء فقد تؤدي إلى انطلاق شرارة النهي العصبي الخطيرة Vagal Inhibation لتوجيه ضربتها القاضية للقلب ، فيتوقف محدثاً الإغماء أو الموت المفاجىء ، كما أن حالة عملية التوازن أثناء الوقوف ترافقها تشنجات عضلية في المريء تعيق مرور الطعام بسهولة إلى المعدة ، و محدثة في بعض الأحيان آلاماً تضطرب معها وظيفة الجهاز الهضمي .

يذكر أن الإستمرار على عادة الأكل والشرب واقفاً تعتبر مضرة بجدران المعدة و يمكن أن تؤدي لحدوث تقرحات فيها .

محمد الطيب

ولننظر إلي النبي صلي الله عليه وسلم ذلك النبي الأمي ، لم يكن فرداً عاديا عاش في العرب مع أميته وخرج من بين ثناياه الشريفة أعظم الكلام وأجله ومع ذلك لم يغفل جانب الحياة فقد تفجر العلم من

بين جوانبه إلي جانب تأدية رسالته السامية من إصلاحٍ وجهاد ، إصلاح الفرد وإصلاح المجتمع ومن كلامه صلي الله عليه وسلم " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ".

وما جعل الله من داء إلا وجعل له دواء " ، وحديث " الحبة السوداء شفاءٌ من كل داء " والحبة السوداء هي حبة البركة " ،

وروى البخاري فى صحيحه وابن ماجه فى سننه وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة أنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه كله ثم لينزعه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) .

ومن أقوى الأبحاث التي أقيمت في هذا الموضوع بحث الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم حسن ، أستاذ الحشرات الطبية ، ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض ، وكان بحثه بعنوان الداءُ والدواء في جَناحَيْ الذباب . وما هو مضمونه من هذا البحث

لعل عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمر بغمس الذباب تتضح في ميكانيكية إفراز المادة الفعالة (الدواء) حيث إن إفراز أنواع البكتريا النافعة والفطريات لهذه المواد لايتم إلا في وجود وسط ، وهو هنا الطعام أو الشراب الموجود داخل الاناء ، حيث يسمح هذا الوسط لأن يتقابل كل من الداء والدواء وجهاً لوجه بدون عوائق ويتم الالتحام وعند ذلك تقوم الكائنات المفيدة بالقضاء علي الكائنات الضارة ، ولقد وجد أن المادة المضادة للحيوية والتي تقتل البكتريا سالبة أو موجبة الجرام لاتتحرر من الخلايا الفطرية إلا إذا امتصت السائل وعند ذلك فإنه بواسطة خاصية الضغط الأسموزي تنتفخ ثم تتفجر وتطلق محتوياتها التي تعتبر كالقنابل وتقوم بالقضاء علي البكتريا الضارة

من أين يأتي النبي صلي الله عليه وسلم بهذا الكلام الذي لا يأتي من فراغ ؟ لقد أعطاه المولي سبحانه وتعالي من النورانية والعلم والإلهام ما يهدي به الأمة ويرشدها إلي ما فيه صلاح دينها ودنياها .

وعن عائشة رضي الله عنها أنّها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت : كلن منها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن " متفق عليه .

ومنه قوله صلي الله عليه وسلم " إذا كان الطاعون ببلد فلا تدخلوها فإن كنتم بها فلا تخرجوا منها " وهذا ما يسمي بالحجر الصحي الآن ، كيف اهتدي إليه ذلك البعيد عنه ؟

روي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم جاءه رجل فقال إن أخي تطلق بطنه فقال " اسقه عسلا " فذهب فسقاه عسلا ثم جاء إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله سقيته عسلا ما زاده إلا استطلاقا فقال صلي الله عليه وسلم " اذهب فاسقه عسلا " فذهب فسقاه عسلاً ، ثم جاء إلي النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " صدق الله وكذبت بطنُ أخيك اذهب فاسقه عسلا فسقاه فبرأ "

منهجه صلي الله عليه وسلم منهجُ إصلاحٍ شامل ومن أراد المزيد فليرجع إلي كتاب الطب النبوي .

وروي مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لكل داءٍ دواء فإن أصابَ دواءٌ الداء بريء بإذن الله عز وجل ".

وفي مسند الإمام أحمد عن أسماء قال : كنت عند النبي صلي الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله أنتدواي ؟ فقال " نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داءٍ واحد قالوا وما هو ؟ قال " الهرم " أخرجه أبو داوود والترمذي وبن ماجه وأحمد وبن حبان والحاكم ويقول صلي الله عليه وسلم " ما ملأ بن آدم وعاءً شرا من بطنه حسب بن آدم لقيمات يُقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِهِ " أحمد والنسائي والترمذي .

ومن أقواله صلي الله عليه وسلم " إنما الحمي أو شدة الحمي من فيح جهنم فأبردوها بالماء " البخاري ومسلم ، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمي والعين والنملة .

و إنما بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم هادياً وداعياً إلي الله وإلي جنته ومعرفا بالله مبينا للأمة مواقع رضاه وآمرا لهم بها ، ومبيناً مواقعَ سخطه وناهيا لهم عنها " ومخبرا أخبار الأنبياء والرسل وأحوالهم مع أممهم وأخبار تخليف العالم وأمر المبدأ والميعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها وأسباب

ذلك ، وأما طب الأبدان فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث إنما يستعمل عند الحاجة إليه ، فإذا قدر الاستغناء عنه إلي علاج القلوب والأرواح وحفظ صحتها ودفع أسقامها وحميتها مما يفسدها وهو المقصود لكان أولي ، لأن إصلاح البدن بدون إصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع إصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة .

وعن التعامل مع الحسد والحساد وهي من الآفات الجسيمة التي يتأذي منها البشر جميعاً كان للنبي صلي الله عليه وسلم بصمةً في هذا الأمر ، ففي سنن أبي داود ما ورد عنه صلي الله عليه وسلم " كان يأمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين " (والعائن هو الحاسد صاحب العين والمعين المحسود الذي أصابته العين) .

وذكر الترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر أن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفاسترقي لهم فقال نعم ؟ فلو كان هناك شيء يسبق القضاء لسبقته العين " قال الترمذي حسن صحيح ، وهناك أحاديث نبوية وتعويذات للحصن من العين والجن ومنها " أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

وروي مسلم في صحيحه أن جبريل رقي النبي صلي الله عليه وسلم بقوله " باسم الله أرقيك من كل داءٍ يؤذيك ومن كل نفس أو عين حاسدٍ الله يشفيك باسم الله أرقيك " .

الطب الوقائي :

يقول صلي الله عليه وسلم : اتقوا الملاعن الثلاث التبرز في الماء وفي الظل وفي طريق الناس " ويقول صلي الله عليه وسلم " من غسل سخيمته في طريق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ويقول لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه .

وكان الصحابة يلجئون إلي العزل والقرآن ينزل فلا يمنعهم ، وقد جاء في الصحيحين عن جابر " كنا نعزل علي عهد رسول الله فبلغه ذلك فلم ينهنا عنه وفي صحيح مسلم " كنا نعزل علي عهد رسول الله والقرآن ينزل " .

وعن الخمر والمخدر يقول صلي الله عليه وسلم " كل شيءٍ أسكر قليله فهو حرام وكل مغيبة حرام " وروي البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: قال صلي الله عليه وسلم " أطفئوا المصابيح إذا رقدتم وغلقوا الأبواب وأوكئوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب " حتي لا تصيب الأوبئة أو الحشرات أو الزواحف الطعام .

وعن الاستشفاء بذكر الله وهو راحة للقلوب ، فقد ذكر النبي صلي الله عليه وسلم أن في بركة الدعاء وذكر الله وفي قراءة القرآن ما لا يخفي علي أحد ، وقال تعالي " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " ، وفي مسند الإمام أحمد وصحيح بن عبد الله بن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم قال " ما أصاب أحدٌ هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدل في قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيعَ صدري ونورَ بصري وجلاءَ حزني وذهابَ همِّي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا " ، وعن بن عمر قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إذا خِفْتَ سُلْطاناً أو غيره فقل : لا إله إلا الله الحكيم سبحان رب السماوات السبع ورب العرش العظيم إلا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك " .

والأحاديث النبوية كثيرة في هذا المضمار ، وهناك كتب كثيرة قد اهتمت بهذا الجانبْ .

محمد القائد

والنبي صلي الله عليه وسلم خبير بكل ما يحتاجه العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة تربي في الصحراء ، وألف المدينة ورعي القطعان واشتغل بالتجارة ، وشهد الحروب والأحلاف واقترب من السراة ، ولم يبتعد عن الفقراء فهو خلاصة الكفاية العربية في خير ما تكون عليه الكفاية العربية .

ولو اشتغل بالتجارة طول حياته كما اشتغل بها فترةً من الزمن لكان تاجراً أمينا ناجحاً موثوقا به في سوق التجارة والشراء ، ولكن التجارة كانت تشغل بعضَ صفاته ، ثم تظل صفاته العليا معطلة لا حاجة إليها في هذا العمل مهما يتسع له المجال .

ولو اشتغل زعيماً بين قومه لصلح للزعامة ولكن الزعامة لا تستوفي كل ما فيه من قوة واستعداد فالذي أعده له زمانه وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية لا سواها وهل أحد قد أعد لهذه الرسالة الدينية إن لم يكن محمدٌ قد أعد لها أكمل إعداد .

واتفقت الروايات علي تنزيه منطقه صلي الله عليه وسلم من عيوب الحروف ومخارجها وقدرته علي إيقاعها في أحسن مواقعها فهو صاحب كلامٍ سليم في منطقٍ سليم .

وكانت له مع الفصاحة صباحة ودماثة تحببان إليه من رآه وتجمعان إليه قلوب من عاشروه وهي صفة لم يختلف فيها صديق ولا عدو .

لم ينقل عن أحد من أقطاب الدنيا أن بلغ من هذه الصفة مثل ما بلغه محمد بين الضعفاء والأقوياء علي السواء وحسبك من حب الضعفاء إياه أن فتيً مستعبدا يفقد أباه وأسرته كزيدٍ بن حارثة ثم يظهر له أبوه بعد طول الغيبة فيؤثر البقاء مع محمد علي الذهاب مع أبيه ، ولكن الرجل قد يكون صبيحا دمثا محبوباً ولا يكون له من ثقة الناس وائتمانهم إياه نصيب كبير لأن المحبوب غير الرجل الموثوق فيه ، إذا اتفقت الخصلتان حيناً فمن الجائز أن تفترقا حينا آخر لأنهما في عنصر الخصال لا تتلازمان ، ولكنهما اجتمعتا في محمد صلي الله عليه وسلم في وقتٍ واحد .

<u>تأديب الله له :</u>

رباه ربه فأحسن تأديبه وأعطاه من المكانة والمقام ما لم يعطه لأحدٍ غيره من الرسل ، ففي صحيح مسلم عن أبي بن كعبٍ أنَّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال" إني سأقوم مقاماً يوم القيامة يرغب إلي الخلق كلهم حتي أبوهم إبراهيم الخليل " صحيح مسلم .

وقال صلي الله عليه وسلم" أدبني ربي فأحسن تأديبي " وذلك أن القرآن هذبه وملأ قلبه نوراً من نور الله سبحانه وتعالي يتبع الموعظة تلو الأخري ، وقد صدقت عائشة رضي الله عنها حين قالت عنه صلي الله عليه وسلم" كان خلقه القران " ، وقال شيحانه وتعالي (خذ العفو واءمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) . وقال ولا تمدن عينيك إلي ما متعنا به أزواجا منهم " وقال ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظةِ الحسنة " ، وغيرها من الآيات .

عتاب الله له صلي الله عليه وسلم :

مع أن النبي محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ، اصطفاه واجتتباه وشرح له صدره ورباه علي عينه ، إلا أنه بشر ربما احتهد فأخطأ وإن كان خطأً وارداً ليس فيه غلو ولا تجاوز ، ولكن يعاتبه ربه معاتبة المحب لحبيبه ، وهناك آياتٌ قرآنية نزلت عتاباً للنبي صلي الله عليه وسلم في أمور حدثت ، وليكون منهجاً للأمة ، ولتتلي إلي يوم القيامة ، ليعلم الجميع أن النبي بشرٌ مثلهم ، حتي يتقبلوا هديه ويسيروا علي دربه ، ومنها قوله تعالي " فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهرْ " سورة الضحى .

ومنها " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " حين همَّت قريش بأن تجعل لنفسها فرقا من الضعفاء ، وأمره تعالي بالصبر فقال "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل " وقال تعالي " والرجز فاهجر " سورة المدثر .

إن صناعة الله للنبي صلي الله عليه وسلم علي عينه لم تكن بالشيء العادي ، اختاره الله وصنعه فشق صدره وهذا ليس من فراغ ، وكل ما حدث له قبل البعثة إنما هو تكريم له صلي الله عليه وسلم لاختياره نبياً ورسولاً وتربية وتمهيداً لرسالته وإظهار بعض المعالم للآخرين تشعرهم بأن هذا هو النبي المنتظر أو علي الأقل أن له قدراً عند ربه ، حتي يكونوا مستعدين لذلك لأن أمر الوحي من الأمور المستبعدة عند البشر ، بل من النادرة والصعبة حدوثها .

وما حدث من تكريم النبي صلي الله عليه وسلم بالوحي ، ومن تحقيق النصر مع قلة العدد واستجابة الدعاء والمعجزات التي حفه الله بها ما هو إلا دليل علي أنه نبي ، هذا لمنْ كان له عقلٌ واعي يستطيع أن يميز بين الحق والضلال ، وقلبٌ سليم داخله النور وتؤثر فيه الهداية ، لكي لا تكون للناس علي الله حجةٌ بعد الرسل .

وقد عاش النبي صلي الله عليه وسلم عمره بعد البعثة داعياً هاديا ومبشرا ونذيرا بكل حبة من حبات جسمه وكل ذرة منه تدعو إلي الله لا شيء في قلبه ولا همَّ له إلا أن يؤدي لله الرسالة وكفي بها شرفا وكفي بها أمانة نال بها أعظم الدرجات ونال بها المنزلةَ العظمي وهي منزلة النبوة .

صدقه صلي الله عليه وسلم :

وصفته قريش قبل البعثة وقبل نزول الوحي بالصادق الأمين ، فماذا بعد نزول الوحي ؟

اختار الله لرسالته صادقاً أمينا لتكون الحجة أقوي وأعظم علي من يكذبونه .

لما نزل علي النبي صلي الله عليه وسلم أمرُ الله له بالدعوة وقف علي جبل الصفا وظل يدعو القبائل بأسمائها وهي تجيبه ثم قال " لو أني أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما تعودنا عليك كذبا قط ، قال" فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تعالي "تبت يدا لهب وتب" سورة المسد .

الأمانة :

لقد عرف العرب كلهم أمانة النبي صلي الله عليه وسلم قبل بعثته وكانوا يسمونه الصادق الأمين ولهذا رجعوا إليه بحكمه فيما كان بينهم من نزاع وارتضوا ما قضي به وذلك أن قريشا اجتمعت لبناء الكعبة وجزأت العمل فكان جانب الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمع وسهم وكانت ناحية الحجر لبني عبد الدار ، ولما انتهوا من إعادة بنائها بلغ الركن الحجر الأسود فأرادت كل قبيلة أن ترفعه إلي موضعه دون الأخري حتي كادوا يتقاتلون ، وظلوا علي ذلك أربعَ ليالٍ ، ثم أشار أحدهم بأن يحكموا بينهم أول من يدخل من باب المسجد ، فرضوا فكان أول من دخلَ عليهم رسول صلي الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضيناه هذا محمدٌ فلما أخبروه الخبر قال" ائتوني بثوبٍ " فأتوه به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال "لتأخذ كل قبيلة بناحيةٍ من الثوب ثم ارفعوه "حتي إذا بلغوا موضعه وضعه بيده الشريفة ثم بني عليه" .

ومع أن قريشاً قد قاتلوه صلي الله عليه وسلم ، فقدْ كان لبعضهم أماناتٍ عنده ، فلما عَزَمَ صلي الله عليه وسلم علي الهجرة ترك أماناتهم مع علي بن أبي طالب مع أنه كان خارجاً من قتل محقق لولا عناية الله ، وكل من أودعوا عنده أماناتهم كانوا من المشركين المخالفين لدينه .

الدعابة في حياته صلي الله عليه وسلم

كان صلي الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلي ، وكان صلي الله عليه وسلم مع كل هذا مرحاً

فكان مع كل مسئولياته وهموم الرسالة يخرج بحالة من مزاح أو بدعابة تريح النفس أو ابتسامة خفيفة ، وهناك روايات كثيرة لذلك .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت "خرجت مع النبي صلي الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال صلي الله عليه وسلم للناس" تقدموا " فتقدموا ثم قال لها " تعالي حتي أسابقك" فسبقته فسكت حتي إذا حملتُ اللحم وكنا في سفرة أخري قال صلي الله عليه وسلم للناس" تقدموا ثم قال " تعالي أسابقك" فسابقته فسبقني فجعل النبي صلي الله عليه وسلم يضحك ويقول هذه بتلك " ، وكان صلي الله عليه وسلم يمر في السوق بصبيان يلعبون في الطريق فيتبسم لهم ويتحدث إليهم علي عكس ما تعوَّدَ عليه الكبار في مثل سنه .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه دخل النبي صلي الله عليه وسلم علي أمي فوجد أخي أبا عمير حزيناً فقال : يا أم سليم ، ما بال عمير حزيناً فقالت : يا رسول الله مات نقيره تعني طيرا كان يلعب به فقال صلي الله عليه وسلم" أبا عمير ما فعل النقير " ، وكان كلما رآه قال له ذلك .

وطلب إليه بعضهم أن يعلمه علي بعير ووعده صلي الله عليه وسلم أن يحمله علي ولد الناقة فقال الرجل : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال صلي الله عليه وسلم " وهل تلد الإبل إلا النوق " .

وكان صلي الله عليه وسلم لم يُر قط مادا رجليه بين أصحابه وتعود كلما زار أحداً أن لا يقوم حتي يستأذنه ولم يكن ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في إناء وإذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه علي فيه وربما نهض بالليل فيشوص فاه بالسواك ، ولا يزال يستاك ويوصي بالاستياك بعد الطعام والتيقظ من النوم فكان يتطيب ويقول لصحبه" اغتسلوا يوم الجمعة ولو كان كأسا بدينار " .

والنبي صلي الله عليه وسلم كان لا يكره الأعياد ، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها " إن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله صلي الله عليه وسلم في يوم عيد ، فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ منكبيه فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتي شبعت ثم انصرفت .

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها " دخَلَ علينا أبو بَكرٍ في يومِ عيدٍ، وعندَنا جاريتانِ تَذكُرانِ يومَ بُعاثَ، يومَ قُتِلَ فيه صَناديدُ الأوْسِ والخَزرَجِ، فقال أبو بَكرٍ: عبادَ اللهِ، أمَزْمورُ الشيطانِ عبادَ اللهِ، أمَزْمورُ الشيطانِ عبادَ اللهِ، أمَزْمورُ الشيطانِ، قالَها ثلاثًا ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : يا أبا بَكرٍ، إنَّ لكلِّ قومٍ عيدًا، وإنَّ اليومَ عيدُنا " متفق عليه .

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها " إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ذلك يومئذٍ ليعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة وأني بعثت بالحنيفية السمحة "

وقال ذات مرة لامرأة من الأنصار الحقي بزوجك فإن في عينيه بياض فأسرعت المرأة نحو زوجها خائفة فقال لها ماذا دهاك ؟ قالت : قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم إن في عينك بياض فقال : إنه في عيني بياض لا لسوء " ، وأتته عجوز أنصارية فقالت : يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال لها " أما علمت أن الجنة لا يدخلها عجوز " فحرجت فتبسم النبي صلي الله عليه وسلم وقال " إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا " .سورة الواقعة

كان صلي الله عليه وسلم لا يمزح إلا قليلا وإن مزح فبعبارة فيها حكمة ولا تخلو من بيان كقوله لعمته صفية" لا يدخل الجنة عجوز " قالت فكيف ؟ فقال عليه السلام تكن كواعب أترابا ألا تري في هذا مداعبة لطيفة تخبر عن حال من أحوال الآخرة .

وأم أنس رضي الله عنه كان في عقلها شئٌ جاءته فقالت : إن لي إليك حاجة فقال صلي الله عليه وسلم " اجلسي يا أم فلان علي أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتي أقضي حاجتك " .

ومنها كان نعيمان بن عمر من أشهر الصحابة دعابة ومعروف بذلك كان النبي صلي الله عليه وسلم حين يراه لا يتمالك نفسه من التبسم ، وربما قصد النبي صلي الله عليه وسلم ببعض هذه الدعابات ليعلم الناس أن للفكاهة مكانٌ لا يمكن تجاهله ، وكان صلي الله عليه وسلم يري نوادره ويضحك عليها ويشارك الناس الضحك دون أن يهزأ أو يعبث به ، فللجد صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تندفع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة .

وقد باع النعمان بن عمرو عاملا لأبي بكر يغيظه ، وأجمه ، وأعلم الذين اشتروه أنه مهووس بأنه حر وبعد أن اشتروه ظل يقول بأنه حر ، وهم لا يصدقونه حتي جاء الخبر لأبي بكر فلحق به هؤلاء القوم وأعتقوه وهكذا لما علم النبي صلي الله عليه وسلم ظل يضحك علي هذا العمل عاما كاملا

وعن عبد الرحمن قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول (بعثني رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي اليمن ، فأتاني ثلاثة نفر يختصمون في غلامٍ من امرأة وقعوا عليها جميعاً في طهر واحد وكلهم يدعي أنه ابنه فأقرعوا بينهم فألحقته بالذي أصابته القرعة وبنصيبه لصاحبيه ثلث دية الحر فلما قدمت علي رسول الله ذكرتُ له ذلك فضحكَ حتي ضرب برجليه الأرض ثم قال حكمت بحكم الله أو قال رضي الله عز وجل حكمك فيهم) .

وما روي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال " كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ يدخُلُ على أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلحانَ فتُطعِمُه ، وكانَت تحتَ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ ، فأطعمتْهُ ، وجعَلت تَفلي رأسَه ، فنامَ ، ثمَّ استيقَظَ يَضحَكُ " صحيح الأدب المفرد .

زهده صلي الله عليه وسلم

كان زهده صلي الله عليه وسلم المثل الأعلي في الزهد لأنه كان زهد القادر ولم يستأثر بشيء من المال الكثير الذي كان يأتيه من الغنائم والفيء والجزية بل اقتصر علي الخمس ، ثم لم يمسك درهما من هذا الخمس بل أنفقه في وجوهه وقوَّتَ به المسلمين وأسعد به غيره وقال " ما يسرني أن لي أُحُداً ذهباً يبيت عندي منه دينارٌ إلا دينار أرصده لديني " وقد توفي صلي الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله وقالت عائشة رضي الله عنها " ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتي قبض " وقالت أيضا لم يمتلئ جوف النبي شبعاً قط وكان لا يسأل أهله طعاما ولا يشتهيه إن أطعموه أكل وما أطعموه وما سقوه شرب " .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال " ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ " قالا : الجوع يا رسول الله قال " أنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتي رجلا من الأنصار فإذا هو

ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت : مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم" أين فلان ؟ " قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلي رسول الله وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافا مني ، قال فانطلق فجاءهم بعذقٍ فيه بسر وتمر وقال : كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم " إياك والحلوب فذَبَحَ لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتي أصابكم هذا النعيم " .

وعن أبي هريرة قال قال صلي الله عليه وسلم اللهم اجعل عيص آل محمد قوتا وعن عائشة رضي الله عنها قالت " ما شبع النبي صلي الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتالين حتي قبض صلي الله عليه وسلم " ، وعن أنس قال " كان صلي الله عليه وسلم لا يدَّخِرُ شيئاً لِغَدٍ " .

وعن الزهري عن عمارة بن خزيمة أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ابتاع فَرَسًا من أعرابيٍ فاستتبعَه النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِيقضيَه ثمنَ فرسِه فأسرع رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المشيَ وأبطأ الأعرابيُّ فطفِق رجالٌ يعترضون الأعرابيَّ فيساومونه بالفرسِ ، ولا يشعرون أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ابتاعه فنادى الأعرابيُّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال إن كنتَ مُبتاعًا هذا الفرسَ وإلا بعتُه فقام النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حين سمع نداءَ الأعرابيِّ فقال " أو ليس قد ابتعتُه منك ؟ فقال الأعرابيُّ لا واللهِ ما بِعتُكَه ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بلى قد ابتعتُه منك ، فطفِق الناسُ يلوذون بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والأعرابيِّ وهما يتراجعانِ فطفِق الأعرابيُّ يقول : هَلُمَّ شهيدًا يشهد أني بايعتُك فمن جاء من المسلمينَ قال للأعرابيِّ : ويلك النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يكن ليقولَ إلا حقًّا حتى جاء خزيمةُ فاستمع لمراجعةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومراجعةِ الأعرابيِّ فطفِق الأعرابيُّ يقول هَلُمَّ شهيدًا يشهد أني بايعتُك ، فقالَ خزيمةُ بنُ ثابتٍ أنا أشهدُ أنك قد ابتعتَه فأقبل النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على خُزيمةَ فقال بمَ تشهدُ فقال بتصديقِكَ يا رسولَ اللهِ فجعل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شهادةَ خُزيمةَ بشهادةِ رجلَينِ " صححه الألباني ، وكان من الممكن أن يعاقب النبي هذا الأعرابي ويسيء إليه

فلو أشار إلي أحد من أصحابه بقطعِ رقبته لتسابق الجميعُ في تنفيذ أمره صلي الله عليه وسلم ، ولكنه رحمةً مهداة وسراجاً منيراً .

وعن أنَسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه أن رجلا أتي النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فسأله فأعطاه غنماً بين جبلين فأتي الرجل قومه فقال : أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءَ من لا يخشي الفقر .

والنبي صلي الله عليه وسلم مع ما أعطاه الله من وصول إلي قلوب أصحابه ومع ما أوتي من ملك باعتبار أنه هو قائد الأمة وله حق في الفيء والغنائم كما قال تعالي " واعلموا أنما غنتم من شي فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربي ...." الآية ، فقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يعيش زاهدا راغبا في الدنيا يعيش كأفقر فردٍ في أمته ، و كان لا يقبل الصدقة ، بل كان يتصدق بكل ما عنده فلا يبقي عنده شيء ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت " قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ " لا نورث ما تركناه فهو صدقة " البخاري ومسلم ، وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية في صحيحه قال " ما ترك رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة " البخاري والنسائي وأحمد ، ويروي هارون بن رباب أنه لما أتي إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم سبعون ألف درهم فوصفها علي حصير ثم قال إليها " قسميها " فما رد سائلا حتي فرغ منها "

وبينما هو عائد من حنين تكاثرت الأعراب عليه يسألونه وخطفوا رداءه فوقف رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال (أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة شجر عظيم له شوك نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً و لا كذاباً ولا جباناً)

ويقول صلي الله عليه وسلم" مالي والدنيا " وقال أيضاً "عرضت علي الدنيا فأبيتها ".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " لقد كنت أبكي رحمة له مما أري به وأمسح بيدي علي بطنه مما أري به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء يا رسول لو تبلغت من الدنيا بقوتك فيقول " يا عائشة مالي والدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا علي ما هو أشد من هذا " .

رآه عمر وقد أثر في جنبه حصير فقال له " يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع الله عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوي جالسا وقال أفي شك أنت يا بن الخطاب ؟ ، أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا "

ولقد مات صلي الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي

وقال صلي الله عليه وسلم في خطبة الوداع " إن عبدا خيره الله أن يؤتيه الله من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده " قال أبو سعيد : فبكي أبو بكر قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ". فعجبنا له فقال الناس : انظروا إلي هذا الشيخ يخبره الرسول صلي الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين الدنيا والآخرة يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده فيقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان صلي الله عليه وسلم هو المخبر وكان أبو بكر أعلمنا " متفق عليه .

وهو إقرار أمام الجميع بأن النبي صلي الله عليه وسلم اختار الآخرة وكان بإمكانه أن يختارَ الدنيا .

حكمته صلي الله عليه وسلم :

بعد صلح الحديبية والمسلمون متذمرون من ما تنازلوا به للمشركين وحزنوا كثيرا ، وبعد توقيعه صلي الله عليه وسلم علي صلح الحديبية كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير سعيد يقول لأبي : بكر أليس برسول الله ؟ ورد أبو بكر قائلا : نعم قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ فرد أبو بكر قائلا : نعم قال : أو ليسوا المشركين ؟ قال : بلي قال: فعلام نرضي الدنية في ديننا ونصحه أبو بكر أن يلزم حده ولكن عمر اندفع يعيد علي النبي صلي الله عليه وسلم الأسئلة فأجابه النبي صلي الله عليه وسلم في غضب " أنا عبد الله ورسوله لم أخالف أمره ولن يضيعني " ، وانصرف عمر مغضباً لا يكلم أحدا وهو في صفوف رجال غاضبين ، وفي هذا الوقت جاء رجل من قريش يريد الهروب إلي المسلمين فأدركه رجال من قريش وصفدوه في الأغلال فقام مندوب قريش يلطمه والابن يصرخ قائلا : يا معشرَ المسلمين ، أُرَدُّ إلي المشركين يفتنوني في ديني ؟ ولكن النبي صلي الله عليه وسلم قد وقع الصلح وانتهي الأمر وظل المسلمون في حالة انهيار ، وسبحان الله استقبل النبي صلي الله عليه وسلم سبعين مهاجرا من قريش دخلوا كلهم في الإسلام ، ثم هاجرت النساء من قريش إلي المدينة

بأزواجهن . والمشركون يطلبونهم وأصبح النبي صلي الله عليه وسلم في حيرة من الأمر واضطراب ولكن سرعان ما نزلت الآيتان الأخيرتان من سورة الممتحنة ، فرد صلي الله عليه وسلم في هذا الأمر بعدم ردهم إلي المشركين ، ورضِيَتْ قُرَيْشٌ لأن أمر النساء لم يدخل البيعة .

وفي غزوة الأحزاب أسلم مسعود بن غطفان وهو زعيم بني غطفان وتسلَّلَ إلي النبي صلي الله عليه وسلم وأراد مقابلته ، وخاف الصحابة منه لأنه كان حديث عهد بالإسلام ، ولكن النبي صلي الله عليه وسلم قابله ، وقال نعيم : إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال له صلي الله عليه وسلم" إنما أنت رجل واحد ، فخذ عنا فإن الحرب خدعة " ومضي نعيم يفكر في حيلة كبيرة يفرق بها بين بني قريظة و بين المشركين ، وتحقق ما أراد فقد استطاع أن يفعل ذلك لأنه كان معروفا للفريقين ، وهنا حدثت شكوك رهيبة بين المشركين وبين بني قريظة ، وهنا أرسل الله علي الأحزاب ريحاً عاتية قلبت قدورهم ، وقلعت خيامهم فشعر المشركون باليأس الشديد وعزموا علي العودة إلي مكة في خيبة رجاء وهنا تفرغ النبي صلي الله عليه وسلم إلي بني قريظة ، فقال صلي الله عليه وسلم " من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة " ومر النبي صلي الله عليه وسلم علي نفر من أصحابه فأخبروه عن اتجاه رجلٍ ركب بغلة بيضاء عليها رحاله وعليها قطيفة ديباج إلي بني قريظة فقال صلي الله عليه وسلم " ذلك جبريل بعث إلي بني قريظة يزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم " وقيضه الله بالنصر ، وهنا قال صلي الله عليه وسلم " لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكن تغزونهم " وبعدها ذهب النبي صلي الله عليه وسلم إلي مكة معتمراً و معه ألف وأربعمائة من أصحابه ، وسلك النبي صلي الله عليه وسلم مسلكاً غير المسلك المعهود وأرسل إليهم بأنه يريد العمرة لا يريد القتال وهنا أعلنوا الحرب والقتال فقال صلي الله عليه وسلم (يا ويح قريشٍ لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام صاغرين ؟ فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد علي الذي بعثني الله به حتي يظهره الله أو أموت دونه) .

وأرسل عثمان بن عفان للتفاوض معهم ولكن سرعان ما حدثت معاهدة وهي صلح الحديبية الذي قلق المسلمون منه ، ولكنهم سرعان ما تأكدوا من فراسة النبي صلي الله عليه وسلم ، حيث استقبل

النبي صلي الله عليه وسلم بعدها مباشرة سبعين من قريشٍ دخلوا الإسلام يوم أعلن الصلح ، وهنا كبر المسلمون وبعد الصلح انضمت قبيلة خزاعة إلي النبي صلي الله عليه وسلم ، وانضمت أبو بكر لقريش التي نقضت عهدها بعد ذلك وكان ذلكَ سبباً لفتحِ مكة .

وبعدها حارب النبي صلي الله عليه وسلم يهود خيبر وقاتلهم حتي أجلاهم عن المدينة واتجه بعدها صلي الله عليه وسلم وتفرَّغ إلي إرسال الرسائل إلي الملوك والأمراء فمنهم من رد ردا جميلا ومنهم من رد ردا غليظا ومنهم من أرسل إليه هدايا مثل مقوقس مصر الذي أرسل إلي النبي صلي الله عليه وسلم جارية مارية القبطية و هدايا كثيرة .

وحينما تم فتح الطائف وكان أهلها يمتازون بالحرص الشديد والخوف حيث كانت مشهورة بالغدر وقد وفد رهط منهم إلي النبي صلي الله عليه وسلم ليتفاوضوا معه فعرض عليهم الإسلام وقبلوا بشروط ولكن النبي صلي الله عليه وسلم لم يرضَ منهم أيَّ شرط وجعلهم يقيمون معهم حتي يتعلموا فرائض الإسلام وعادوا إلي قومهم ليعلموهم ، وعادوا ومعهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليقوموا بهدمِ اللاَّتِ وسط نواح النساء وبإسلام الطائف دخل الإسلام إلي شبه الجزيرة العربية بعد ذلك .

ولننظر إلي النبي صلي الله عليه وسلم حين أوصي عثمان بن أبي العاص الثقفي حينَ أمَّره على الطَّائفِ قالَ لي " يا عثمانُ تجاوز في الصَّلاةِ واقدرِ النَّاسَ بأضعفِهم فإنَّ فيهمُ الْكبيرَ والصَّغيرَ والسَّقيمَ والبعيدَ وذا الحاجَةِ " صحيح ابن ماجه ، وقيل حسن صحيح .

ومن خبرته وفطنته صلي الله عليه وسلم وهو في الخامسة والعشرين وهو في رحلته إلي الشام ، أنه منع القافلة التي أعطته زمامها من أن يسابقوا رجال قافلة أخري وأخذ من معه بذلك المنع غير هياب ولا وجل ثم خالف طريق الأخري وسار في طريق آخر ليمر بالأبواء ويستعبر عينه العبرات حين مر بقبر أمه وكان أول مرةٍ يزوره ، وكان في وعيه عند موتها إذ كان في السادسةِ من عمره ومع ذلك وصل قبل القافلة الأخري ، وكان قد اختار الطريق الذي ظنه من معه وعراً وظنه هو مسلوكا وكان مستقيما لأمه ،ووصل قبل القافلة المسرعة من غير مسابقة ، هذا الخبر يدل علي قدرة النبي علي تقديره للأمور وبعد نظره صلي الله عليه وسلم .

عدله صلي الله عليه وسلم :

لنذكر حديث المرأة المخزومية التي سرقت وأحزن قريشاً شأنها فقالوا : ومن يقدر علي النبي صلي الله عليه وسلم إلا أسامة بن زيد لأنه حِبه فكلمه أسامة ولكن النبي صلي الله عليه وسلم قام ثم خطب وقال " إنما هلك من كان قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإذا سرق فيهم الشريف تركوه وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .

وظهر عدله صلي الله عليه وسلم بين زوجاته فكان نموذجا للعدل مع كثرتهن ، وكان صلي الله عليه وسلم نعم الزوج لهن ، لم تشتكِ واحدة منهن سوء معاملته لها ، ولم تشتك من جوره ولا ظلمه لها.

وجاءت خصومة له صلي الله عليه وسلم فخرج إليهم ، فقال "إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم لعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك فمتي قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو يتركها " .

لينه صلي الله عليه وسلم

ومن لينه صلي الله عليه وسلم ما قالته عائشة رضي الله عنها (ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي صلي الله عليه وسلم ، ولا شممت ريحاً قط أوعرقا قط وفي رواية ولا مسست عنبرا قط ولا مسكاً قط أطيب من ريح أو عرف رسول الله صلي الله عليه وسلم) رواه البخاري .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (خدمت النبي صلي الله عليه وسلم عشرَ سنين فما قال لي لشيء صنعته لما صنعته ولا لشيء تركته لم تركته ولا مسست حريراً ولا شيئا كان ألين من كفِّ رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكاً قط ولا عوداً كان أطيب من عرق النبي صلي الله عليه وسلم وكان صلي الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا) البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شيءٌ ، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدهم غضبا وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما " الشيخان وأبو داود.

وخدم أنس بن مالك رسول الله صلي الله عليه وسلم صغيراً فكان صلي الله عليه وسلم يعامله معاملة طيبة فإذا تكاسل عن فعل شيء أو إذا أتلف شيئا أثناء العمل لا يلومه ولا يعاتبه ، وأرسله ذات مرة لحاجة فلم يذهب مباشرة لقضائها ، وأخذ يلعب مع الغلمان فمر به رسول الله صلي الله عليه وسلم فابتسم وقال له بكل رقةٍ " يا أنيس اذهب حيث أمرتك " .

وقال أبو جحيفة أخذت بيده فوضعتها علي وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك

و عن خالد بن سلمة المخزومي قال : لما أصيب زيد بن حارثة انطلق رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي منزله فلما رأته ابنته جهشت في وجهه فانتحب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له بعض أصحابه ما هذا يا رسول الله ؟ قال " هذا شوق الحبيب إلي حبيبه "

وقال جابر بن سمرة وكان صبيا مس رسول الله صلي الله عليه وسلم خدي فوجدت ليده برداً أو ريحا كأنما أخرجها من جونة عطار " رواه مسلم .

وقال أنس : كان عرقه اللؤلؤ ، وقالت أم سليم : هو من الطيب ، وقال جابر : لا يسلك فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه أو قال من ريح عرقه " .

عفوه صلي الله عليه وسلم

في غزوة خيبر أهدت زينب بنت الحارث شاةً مسمومة إلي النبي صلي الله عليه وسلم ، وسألت عن أحب عضو إليه فيها فقيل الذراع ، فأكثرت السم فيها وجاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها ، ومعه بشر بن البراء فأخذ منها مضغة فأما بشر فاستساغها وأما الرسول صلي الله عليه وسلم فلفظها وقال " إن العظم ليخبرني أنه مسموم " ثم دعا بها فاعترفت فقال " ما حملك علي هذا ؟ " قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فستخبر ، فتجاوز النبي صلي الله عليه وسلم عنها ثم مات بشرٌ من أكلته .

وكان صلي الله عليه وسلم عائداً من غزوة ذات الرقاع فنام ، فانسلَّ رجلٌ والمسلمون في غزوة ، حتي قام علي رأس الرسول صلي الله عليه وسلم بالسيف وقال من يمنعك مني ؟ قال" الله " فسقط السيف من يد الرجل فأخذه رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقال" ومن يمنعك مني" فقال الرجل

كن خير آخذ فقال الرسول صلي الله عليه وسلم " قل أشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله " فقال الرجل لا غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلي سبيله ، فجاء الرجل إلي أهله وقال جئتكم من عند خير البشر .

وخطب النبي صلي الله عليه وسلم خطبة الفتح فقال " يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالإباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا قوله تعالي " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ، ثم قال يا معشر قريش ما تظنون أني فاعلٌ بكم قالوا : أخٌ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ".

ونذكر جيدا أن النبي صلي الله عليه وسلم حين دخل في الطائف وأتاه جبريل فقال " لو أردت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت ، ولكن النبي صلي الله عليه وسلم قال " لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا " .

إنه صلي الله عليه وسلم لا يريد ريادة وحكما ، ولكنه ذو قلب فاق الكون كله ، رحمةُ الله للعالمين ويقول وهب بن منبه قرأت في واحدٍ وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلي الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأياً ، وفي رواية أخري إن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلي انقضائها من العقل في جنب عقله صلي الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من رمال الدنيا .

رحمته صلي الله عليه وسلم:

قال تعالي " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " سورة التوبة .

كان أخف الناس صلاة علي الناس وأطول الناس صلاة لنفسه ، ونهي صلي الله عليه وسلم أصحابه أن يشقوا في العبادة فيصبحوا كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقي) ،ومع ذلك كانت الصلاة بغيته ومتنفسه ، فكما روي عن بلال أن النبي صلي الله عليه وسلم (كان إذا حزبه أمر ذهب إلي الصلاة)

وليس في سجل المودة الإنسانية أجمل ولا أكرم من حنانه علي مرضعته حليمة ومن حفاوته بها وقد جاوز الأربعين فيلقاها هاتفاً " أمي أمي "، ويفرش رداءه ويعطيها من الإبل والشاة ما يغنيها في السنة الجدباء ، وما فعله بحليمة السعدية وأخته الشيماء حيث عفا عنهم جميعا ، وكذلك مع عمٍ له من الرضاعة ، وكذلك مع أم أيمن لم ينس لها مودتها بقية حياته أن قال " من سره أن يتزوج من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن " .

وقال صلي الله عليه وسلم :" إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرِحْ ذبيحته " . ويصفه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه بقوله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خِدْرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه) . رواه أحمد .

ما أعظمَ العظمات فهي تلك التي تجذب إليها الأصحاب والتابعين من كل معدن وكل طراز وهي التي يتقابل في حبها رجالٌ مثل ما بين أبي بكر وعلي وبين عمر وعثمان وبين خالد ومعاذ كلهم عظيم وكلهم مع ذلك مخالف في وصف العظمة لسواه ، تلك هي العظمة التي اتسعت وتعددت نواحيها حتي أصبح فيها ناحية مقابلة لكل خلق وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم والحيلة والصراحة والألمعية والاجتهاد وحنكة السن وحمية الشباب وما استحقها محمد إلا بنفس غنيت بالحب وخلصت له حتي أعطت كل محب لها ما يعطيها مودة بمودة وصفاءً بصفاء .

عن أبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، قال: أرْدَفَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه ، وأَسَرَّ إليَّ حديثا لا أُحَدِّث به أحدًا من الناس ، وكان أَحَبَّ ما اسْتَتَرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هَدَفٌ أو حائشُ نَخْل يعني: حائط نخل ، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جَمَلٌ ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرْجَر وذَرَفَتْ عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسَح سَرَاته أي : سنامه وذِفْرَاه فسَكَن ، فقال : " مَن رَبُّ هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ " . فجاء فَتًى من الأنصار ، فقال : هذا لي يا رسول الله ، قال " أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي مَلَّكَك الله إياها ؟ فإنه يَشْكُو إلي أنك تُجِيعه وتُدْئِبه " . رواه الإمام أحمد ومسلم .

لما أسلم ثنانة بن أثال أقسم لأهل مكة أنه لن يرسل إليهم حبة حنطة من اليمامة حتي يأذن الرسول صلي الله عليه وسلم ، ثم عاد إلي اليمامة فمنع قومه أن يحملوا إلي مكة الحنطة فلما علم النبي صلي الله عليه وسلم منعه من ذلك .

وعن أبي سعيد الخدري قال " صلي بنا رسول الله صلي الله عليه وسلم صلاة الغداة وسمع بكاء صبي فخفف الصلاة فقيل : يا رسول الله خففت هذه الصلاة ؟ فقال : إني سمعت بكاء الصبي فخشيت أن يفتن أمه " .

رقته صلي الله عليه وسلم :

كان صلي الله عليه وسلم إذا كره شيئا رؤي في وجهه وإذا رضي عَرِفَ من حوله رضاه ، ولعل هذه من صفاء قلبه ورقته ورحمته بأمته حي يكون واضحاً جليَّاً .

وقال صلي الله عليه وسلم من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا " وقال صلي الله عليه وسلم " ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون بضعفائكم" ويقول صلي الله عليه وسلم " ما استكبر من أكل مع خادمه وركب الجمال بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها " .

حينما نزل الوحيُ مؤكداً نفاق عبد الله بن سلول ووقيعته بين الأوس والخزرج وفتنته بين المهاجرين والأنصار وظن الجميع أن النبي صلي الله عليه وسلم سيأمر بقتله وشاع الخبر فجاء ابنه إلي النبي صلي الله عليه وسلم وقال : إن ما كنت فاعلا ذلك فمرني به وأنا أحمل رأسه إليك فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني وإني لأخشي أن تأمر به غيري فيقتله فيقول صلي الله عليه وسلم" يا ولدي إنا لا نقتله بل نترفق به نحسن صحبته ما بقي معنا " ولقد فعل صلي الله عليه وسلم أكثر فلما مات بن سلول كفنه صلي الله عليه وسلم في قميصه واستغفر له وصلي عليه ، فلما روجع في ذلك قال في حزنٍ " والله ما يغني قميصي عنه من الله شيئا والله لو علمتُ أن استغفاري له أكثر من سبعين مرةٍ ينجيه لاستغفرتُ له .

وعن الحسن والحسين فيما رواه الترمذي عن مالك رضي الله عنه سئل النبي صلي الله عليه وسلم " أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال الحسن والحسين " وقال صلي الله عليه وسلم " هما ريحانتان من

الدنيا " ، وكان صلي الله عليه وسلم يلاعبُ حفيديه الحسن والحسين وكانا يركبان علي ظهره فمر أحد أصحابه ورأي هذا المنظر الجميل فقال : نعمَ الركوبة ركبتما علي ظهر سيد الخلق فرد رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله " نعم الراكبان " ، وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يتبسط مع الصبيان الصغار ويجري بينهم مسابقة الجري فيصفهم صفاً واحدا ويقف بعيدا عنهم ويقول" من يأتيني أولا فله كذا وكذا " يعني جائزة فينطلق الصغار نحوه فيعطيه ما وعده به .

فعن عبدالله بن شداد عن أبيه قال " خرَجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في إحدى صَلَاتَيِ العِشاءِ ، وهو حامِلٌ حسنًا أو حُسينًا ، فتقدَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فوضَعَه ثمَّ كبَّرَ للصَّلاةِ فصلَّى ، فسجَدَ بينَ ظَهْرَانَيْ صلاتِهِ سجدةً أطالَها ، قال أَبِي: فرفَعْتُ رَأْسي، وإذا الصبيُّ على ظَهرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو ساجِدٌ ، فرجَعْتُ إلى سُجودي ، فلمَّا قضَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال الناسُ : يا رسولَ اللهِ ، إنَّكَ سجَدْتَ بينَ ظَهْرَانَيْ صلاتِكَ سجدةً أطَلْتَها ، حتَّى ظَنَنَّا أنَّه قدْ حدَثَ أمْرٌ أو أنَّه يُوحَى إليكَ ، قال : كلُّ ذلكَ لم يكُنْ ، ولكنَّ ابْني ارْتَحَلَني ، فكرِهْتُ أنْ أُعْجِلَهُ حتَّى يَقضيَ حاجتَهُ " رواه النسائي .

ويري النبي صلي الله عليه وسلم رجلاً يضرب عبده فيقول " الله أقدر عليك منك عليه " فقال له الرجل هو حُرٌّ لوجه الله " فقال صلي الله عليه وسلم " أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار " ، وقال صلي الله عليه وسلم " أيما رجلٌ أعتق امرأ مسلماً استقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار "

وفي فتح مكة طلب النبي صلي الله عليه وسلم ألا تراق قطرةُ دمٍ إلا اضطرارا كما أمرهم أن يدخلوها مباغتة حتي لايحدث هناك عراك وحرب ، ولكن قريشا تنبهت وعلم النبي صلي الله عليه وسلم أن سعد بن عبادة الذي ولاه النبي صلي الله عليه وسلم علي الراية خرج إلي مكة يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحُرْمة ، فأمر النبي صلي الله عليه وسلم علي بن أبي طالب " أدركه فخذ الراية منه " فكن أنت الذي تدخل بها .

وأعلن أبو سفيان إسلامه بعد أن أقنعه العباس بن عبد المطلب عم النبي صلي الله عليه وسلم بذلك وقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، فقال صلي الله عليه

وسلم " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن" ثم يقوم صلي الله عليه وسلم بتحطيم الأوثان في مكة و ما حولها ، وجاءته هند بنت عتبة التي بقرت بطن عمه راكعة أمام قدمه تطلب العفو فعفا عنها النبي صلي الله عليه وسلم ، وجاءه رجل كان قد بلغ من إيذائه وهو في مكة ولا حظ أن الرجل يخشاه ويهابه حتي ارتعشت أقدامه فقال له صلي الله عليه وسلم " هوِّنْ عليك ،إنما أنا بن امرأة من قريشٍ كانت تأكل القديد فيمكة"

ومن شفقته أنه كان يسمع بكاءَ الطفل فيتخفف من صلاته ليكون بجوار الطفل كي يرحم بكاءه ، وقد يقول قائل إن شفقة النبي صلي الله عليه وسلم أمر ثابت ، وهل لهذه الشفقة صلةٌ بالرسالة ؟ إن من مقتضي هذه الرسالة أن يكون بالذين يدعوهم رءوفاً فالشفقة من مقتضيات الرسالة والدعوة فإن الدعوة من الشفيق الرقيق تكون مستجابة من القلوب الطيبة المؤمنة المطمئنة ، إن الرحمة هي التي تجذب الناس إلي الداعي ، إن النفوس التي تدعو إلي الحق منها ما يفتح الله قلبه للحق بقوة إيمان الداعي وشفقته واجتذابه إليه بالحق ومنهم من يحتاج إلي البينات والأدلة وهؤلاء هم أهل البرهان والدليل .

وعن عمرو بن ثابت أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان جالسا يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شقاً من الجانب الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام صلي الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه ، وإنه ليوفي حتي لمن فرح بولادته فقد كانت جارية لأبي لهب قد أرضعته في أول ولادته وخرجت فبشرت أبا لهب بالولادة وأعتقها أبو لهب بهذه البشارة فكان صلي الله عليه وسلم يبعث إليها بصلةٍ مستمرة موصولة ما كانت حية فلما ماتت سأل أن بقي من ذوي قرابتها فضل لأحد ، ولقد كان في جملة أخلاقه ، أنه يصل رحمه ولو لم يكونوا له نصراء وأولياء ، فهو لا يصل رحمة مكافئا ، ولكن يصلهم راحما ، وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام قال عن بعض ذوي رحمه ليسوا بأولياء غير أن لهم رحما .

لما جيء بسبايا بني طئ إلى المدينة المنورة وأدخل السبي على النبي صلى الله عليه وسلم ، دخلت مع السبايا سفانة بنت حاتم الطائي وكانت أمرأه عيطاء لعساء ، عيناء ، فأعجب الحاضرون من حسنها وجمالها ، فلما تكلمت نسوا حسنها وجمالها ، وذلك لعذوبة منطقها ، فقالت : يا محمد هلك الوالد

وغاب الوافد ، فأن رأيت أن تخلي عني ولا تُشمت بي الأعداءَ من قبائل العرب ، فإني أبنةُ سيد قومه ، وإن أبي كان يُحب مكارمَ الأخلاق ، وكان يُطعم الجائع ويفكُ العاني ويكسو العاري وما أتاهُ طالب حاجة إلا ورّدهُ بها معززاً مكرّماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من والدك ومن وافدك ؟ قالت : والدي حاتم بن عبدالله الطائي ، ووافدي أخي عدي بن حاتم" .

وكان عدي قد فرّ إلى الشام بعد هزيمة قبائل بني طي أمام المسلمين في السنة التاسعة من الهجرة ، ثم تنصّر هناك والتجأ إلى ملك الروم ، فقال صلى الله عليه وسلم:" فأنت ابنة حاتم الطائي ؟ قالت : بلى ، فقال صلى الله عليه وسلم " يا سفانة هذه الصفات التي ذكرتيها إنما هي صفات المؤمنين ، ثم قال لأصحابه : أطلقوها كرامةً لأبيها لأنه كان يحب مكارم الأخلاق " . فقالت : أنا ومن معي من قومي من السبايا والأسرى ؟ :فقال صلى الله عليه وسلم: أطلقوا من معها كرامةً لها ولأبيها ، ثم قال صلى الله عليه وسلم " ارحموا ثلاثاً ، وحق لهم أن يُرحموا ، عزيزاً ذلّ من بعد عزّهِ ، وغنياً افتقر من بعد غناه ، وعالماً ضاعَ ما بين جُهّال" فلما رأت سُفانة هذا الخلق الكريم الذي لا يصدر إلا من قلبٍ كبير ينبض بالرحمة والمسؤولية ،قالت وهي مطمئنة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأسلم معها بقية السبي من قومها ، وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غنمه المسلمون من بني طيئ إلى سفانه ، ولما تجهزوا للرحيل قالت سفانة : يا رسول الله إن بقية رجالنا وأهلنا صعدوا إلى صياصي الجبال خوفاً من المسلمين فهل ذهبت معنا وأعطيتهم الأمان حتى ينزلوا ويسلموا على يديك فإنه الشرف ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : سأبعث معكم رجلاً من أهل بيتي دعوته كدعوتي يحمل إليهم أماني ، فقالت من هو يا رسول الله ؟ قال: علي بن أبي طالب ، ثم أمر النبي أن يجهزوا لها هودجاً مبّطناً تجلس فيه معززةً مكرمة ، وسيَّرَها مع السبايا من قومها ومعهم علي بن أبي طالب حتى وصلوا إلى منازل بني طي في (جبل أجأ) ، ونادى الإمام علي بأمان رسول الله بأعلى صوته حتى سمعه كل من في الجبل ، فنزلت رجال طي وفرسانها جماعات وفرادى إلى الوادي فلما وقعت أبصارهم على نسائهم وأبنائهم وأموالهم وقد عادت إليهم بكوا جميعا والتفوا حول الإمام وهم يرددون الشهادتين ، فلم يمض ذلك اليوم إلا ودخلت كل قبيلة بني طي في الإسلام ، ثم بعثت سفانة إلى أخيها عدي تخبره عن عفوِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرمه وأخلاقه ، وحثّتهُ على

القدوم إلى المدينة المنورة ومقابلة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم والاعتذار منه والدخول في الإسلام ، فتجهز عدي من ساعته وقصد المدينة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم على يديه الشريفتين ، ثم عاد إلى قومه معززاً مكرماً ، وصار بعد ذلك من خيار المسلمين .

حلمه صلي الله عليه وسلم :

روى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار رضي الله عنه قال : لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه ، قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَاةِ ، قَالَ : أَجَلْ ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) سورة الأحزاب الآية (45) ، وَحِرزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَيُفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا "

وروي البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَّرَ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَذبه ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بعطَاءٍ .

وروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوهُ ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ " .

وروي البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارًا عليه إكاف ، تحته قطيفة فدكية ، وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث ابن الخزرج، وذاك قبل وقعة بدر ، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، فيهم عبد الله بن أُبي ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمر عبد الله

بن أُبي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أُبي : أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقًّا ، فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه ، فقال عبد الله ابن رواحة : اغشنا في مجالسنا ، فإنا نحب ذلك ، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود ، حتى هموا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد ابن عبادة ، فقال " أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ " قَالَ : كَذَا وَكَذَا" ، قَالَ: اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ وَاصْفَحْ ، فَواللهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ الله الَّذِي أَعْطَاكَ وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ أَنْ يُتَوِّجُوهُ ، فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَهُ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم .

حياؤه صلي الله عليه وسلم

فيما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه كان أشدُّ حياءً من العذراء في خدرها إلاَّ في العلم فإن النبي صلي الله عليه وسلم لم يكن ليستحيي ، وقد قال إن الله لا يستحيي من الحق "

وعن أبي سعيد الخدري قال " كان صلي الله عليه وسلم من شدة حيائه كأنه جارية في خدرها "

تواضعه صلي الله عليه وسلم :

وروي أنه صلي الله عليه وسلم كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله عليَّ ذبحها ، وقال آخر علي سلخها وقال آخر علي طبخها ، فقال عليه الصلاة والسلام "وأنا علي جمع الحطب " ، قالوا يا رسول الله نكفيك ذلك ، قال" علمت أنكم تكفونني ولكني أكره أن أكون متميزا بين أصحابي " ، وعن بن عباس عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصاري عيسي بن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله " البخاري وأحمد ، في مسنده ، والإطراء الغلو في المدح

وعن أنس بن مالك قال كان رسول الله يعود المرضي ويشهد الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة علي حمارٍ مخطوم بحبل من ليف وعليه إكاف من ليف " الترمذي وبن ماجة .

وأبي صلي الله عليه وسلم والمسلمون يعملون في حفر الخندق حول المدينة إلا أن يعمل بيديه لولا أنها سنة حميدة ستنها للرؤساء في حمل التكاليف لأعفي نفسه من ذلك العمل وأعفاه المسلمون منه شاكرين ، وكان صلي الله عليه وسلم مع نسائه لطيفا وكن تسعاً ماتت خديجة أولهن

وكان صلي الله عليه وسلم رمزاً من رموز السماحة والعدل والرفق والتلطف معهن وكان يراعي طبائعن ومع ذلك لم يتأفف من غيرةِ عائشة مع أنها كانت أصغرهن وكان يقول لها " أنا لك كأبي زرِع لأم زرع غير أني لا أطلقك " رواه البخاري .

وأخرج مسلم من حديث بن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتي أقضي لك حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتي فرغت من حاجتها .

وروي أنه صلي الله عليه وسلم لما راح يغتسل أمسك حذيفة بن اليماني الثوب يستر رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي اغتسل ثم نزل حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلي الله عليه وسلم الثوب ، وقام يستر حذيفة عن الناس ، فأبي حذيفة وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل فأبي رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا أن يستر حذيفة بالثوب حتي اغتسل .

وروي عن أنس بن مالك قال : ما كان شخصا أحب إلينا من رسول الله صلي الله عليه وسلم كنا إذا رأيناه لم نقم له لما نعلم من كراهته لذلك .

قال تعالي" لقد منَّ الله علي المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين " آل عمران .

قال تعالي " لقد كان لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " سورة الأحزاب ، وقال تعالي " وإنك لعلي خلق عظيم " سورة القلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلي الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب ولا يدري أين هو ؟ حتي يسأل فطالبنا إلي النبي صلي الله عليه وسلم أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه فبنينا له دكانا فكان يجلس عليه ونجلس بجنبه .

ومن التواضع اختيار الأيسر والتيسير علي الآخرين ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت " ما خير رسول الله صلي الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه وما انتقم رسول الله صلي الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهكَ حرمة الله عز و وجل " ، وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت " ما رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم منتصرا من ظلامة ظلمها قط إلا أن تنتهك من محارم الله عز وجل كان أشدهم في ذلك وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ".

وعن معاوية بن مرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذَا استقبلَهُ الرجلُ صافحَهُ لا ينزِعُ يدَهُ حتَّى يكونَ هو الذِي نزعَ ولا يصرفُ وجهَهُ عَنْ وجهِهِ حتَّى يكونَ الرجلُ هو الذي يصرفُه " شرح البخاري لابن الملقن ، وعن أنسٍ رضي الله عنه قال " ما رأيتُ رجلًا التَقَمَ أُذُنَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فيُنَحِّي رأسَه ، حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يُنَحِّي رأسَه ، وما رأيتُ رجلًا أخَذَ بيدِه فترَكَ يدَه ، حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يَدَعُ يدَه " صحيح أبي اوود .

وحينما أذن بلال يوم الفتح علي الكعبة قال الحارث بن هشام بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد يؤذن فنزل قوله تعالي " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ".

وكان صلي الله عليه وسلم يحلب شاته ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه أي البعير التي يستقي عليه الماء فإذا رأي الخدم لهم عملاً يماثل عمل النبي صلي الله عليه وسلم أمرهم فتلك المساواة التي تمسح ضير الخدمة .

ولما دخل صلي الله عليه وسلم مكة وقد مضي إلي ذي طوي ، كان يضع رأسه تواضعا لله حين رئي مع ما أكرمه الله به من الفتح حتي كاد يمس وسطه الرجل .

الوفاء بالعهد

وقد وفَّي صلي الله عليه وسلم بعهوده مع قريش حتي نصره الله مع اعتراض كثير من المسلمين وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه فكان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة من عجيب شمائله وبديع سيرة فضلا عن ما أفاض الله عليه به من العلم وقرره من الشرع دون تعليم مسبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه ليعلم أنه دليل رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا من ما لا يحتاج إلي تقريره لتحققه .

ومن حبه وانتمائه لوطنه يقول صلي الله عليه وسلم فيما رواه أبو داوود الطيالسي عن عبد الله قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما اللهم إنك أذقت أولها وبالاً فأذق آخرها نوالاً " .

رؤيته صلي الله عليه وسلم في المنام

قال صلي الله عليه وسلم " من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتصور في صورتي أو قال لايتشبه بي " رواه البخاري ومسلم .

وأخرج مسلم عن أبي شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي "

وعن بن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم قال " من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي " رواه الترمذي وبن ماجه.

وقال أبو قتادة قال صلي الله عليه وسلم " من رآني يعني في النوم فقد رآني الحق " أخرجه البخاري ومسلم وأحمد .

ولأن قوة النبي صلي الله عليه وسلم قد غلبت الشيطان فقد مكنه الله منه ، وأخرج الإمامان أحمد ومسلم عن بن مسعود قال " قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وقد وكل به

قرينه من الجن وقرينه من الملائكة " قالوا وإياك يا رسول الله ؟ قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير ".

وما روي أن عائشة رضي الله عنها أنها قالت " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرتُ عليه، فجاء فرأى ما أصنع ؛ فقال: "ما لكِ يا عائشة أغرتِ؟" فقلت : وما لي لا يُغارُ مثلي على مثلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أقد جاءك شيطانك؟ " قالت : يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال:"نعم " ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال"نعم " قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال " نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أَسْلَمَ" النووي.

حرصه علي هداية قومه

وما روته عنه السيدة عائشة رضي الله عنها أنَّها قالَتْ للنَّبِيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ ؟ قالَ : لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ ما لَقِيتُ ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أرَدْتُ ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علَى وجْهِي ، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فإذا أنا بسَحابَةٍ قدْ أظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ ، فَنادانِي فقالَ : إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ ، وقدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم ، فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا " رواه البخاري .

ولم ينسَ وهو يحتضر صلي الله عليه وسلم أن يوصي المسلمين فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في سكرات الموت وهو يقول : الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فما زال يكررها حتى ثقل به لسانهُ صلى الله عليه وسلم .

ويقول صلي الله عليه وسلم " استَوْصوا بالنِّساءِ خيرًا فإنَّهنَّ عَوانٌ في أيديكُم أخذتموهنَّ بأمانةِ اللهِ واستحللْتُم فروجَهنَّ بكلمةِ اللهِ " رواه البخاري .

صلي الله عليه وسلم كثيرا كثيراً كان حريصاً علي هداية قومه آملا فيهم الخير ملتمساً لهم الأعذار ، مراعياً لضعفهم البشري ، كان حرصه عليهم أشد من حرص الأم علي ولدها الرضيع .

كرمه وجوده صلي الله عليه وسلم

ولقد ذكر بن عباس رضي الله عنهما محمداً صلي الله عليه وسلم فقال " كان أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان وكان إذا لقي جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة " ، وجود النبي صلي الله عليه وسلم يزيد عن الحد حتي أنه يخلع ثيابه لمن يطلبها فقد روي الطبراني عن ابن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم رأي صاحب بزٍّ فاشتري منه قميصاً بأربعة دراهم فخرج ووجد من لا ثوب له فنزع القميص فكساه إياه وبقي معه درهمان فإذا بجارية في الطريق تبكي فقال " ما يبكيك فقالت : يا رسول الله دفع إلي أهلي درهمين اشتري بهما دقيقا فهلكا ، فدفع إليها النبي صلي الله عليه وسلم الدرهمين الباقيين ثم انقلب ، فإذا هي تبكي فدعاها فقال" ما يبكيك فقد أخذت الدرهمين " فقالت إني أخاف أن يضربوني ، فمشي معها إلي أهلها فسلم عليهم فعرفوا صوته ثم قالوا : ما أشخصك بأبينا وأمنا فقال " أشفقت هذه الجارية أن تضربوها " فقال صاحبها : هي حرَّةٌ لوجه الله تعالي لممشاك معها فبشرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم بالخير والجنة .

صبره عليه الصلاة والسلام :

كان محمدا بن عبد الله صبوراً أبلغ ما يكون الصبور ، فقد كان قبل البعثة في المنشط والمكره الصابر في الفقر والغني والصابر في العجز والمقدرة ثم كان بعد البعثة الصابر في أداء الرسالة وتبليغها والدعوة إليها صابرا علي المشركين عند الدعوة ، صابراً مع قومه الذين جفوه ومكروا به ، وهم يعرفونه وكذبوه وهو الصادق الأمين ، وقالوا ما قالوا فيه وفي رسالته وقد وَسِعَ صَبْرُه كل افتراءاتهم وهو يصبر علي إنكارهم من غير أن ييأس من إيمانهم ويدعو عليهم ، فلم يقل كما قال نوح عليه السلام " رب لا تذر علي الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادكم ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا " سورة نوح ، بل قال " اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون". وقال إني أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا " صلي الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيراً .

عفته صلي الله عليه وسلم :

روي علي بن أبي طالب كرم لله وجهه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال " ما هممتُ بشيءٍ من ما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أومر ثم ما هممت بسوء حتي أكرمني الله برسالته ، فإني قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعي معي بأعلى مكة لو أبصرت لي غنمي حتي أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فقال : افعل فخرجت أريد ذلك حتي إذا جئت إلي دارٍ من دور مكة فسمعتُ عزفا بالدفوف والمزامير فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : تزوج بفلانة فجلست أنظر إليهم ، فضرب الله علي أذني ، فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس ثم جئت صاحبي فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئا ثم أخبرته الخبر ، قال ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك فقال افعل فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت حين دخلت مكة تلك الليلة فجلست أنظر فضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته " .

حب أصحابه له صلي الله عليه وسلم :

كان هناك نفرٌ من المشركين جاءوا إلي النبي صلي الله عليه وسلم وقالوا إن بين عشائرنا من يريد أن يسلم فابعث لنا نفراً من أصحابك فأرسل النبي صلي الله عليه وسلم معهم ستة من كبار الصحابة وفي الطريق غدروا بهم واستلوا سيوفهم وتقاتلوا فقتل منهم ثلاثة ورجم المشركون التوابع حتي الموت وأخذوا الأسيرين الاثنين مكبلين بالسلاسل ليباعوا كأسري فكان زيد بن الدثنة من نصيب صفوان بن أمية ، فدفع به إلي مولاه فقال له : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا في مكانك تُضرب عنقه وأنت في أهلك . قال والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي فتعجب أبو سفيان وقال : والله ما رأيت من الناس أحداً يحبه أصحابه مثل ما يحب أصحاب محمدٍ محمدا ، ولم يكد النبي صلي الله عليه وسلم ينجو من مكيدة الشاة المسمومة يأخذ صفية زوجة بعد غزوة بني المصطلق ، وأبوها حيي بن أخطب من ضرب عنقه وقومها مجندلون صرعي بسيوف المسلمين ، ويبيت أبو أيوب خالد بن زيد أمام خيمة العرس ساهراً متوحشاً سيفه

حتي أصبح الصبح ، ورآه النبي صلي الله عليه وسلم يطوف بالخيمة فيقول له مالك : يا أبا أيوب فيقول الرجل : يا رسول الله خفت عليك من هذه الأمة لقد قتلت زوجها وأباها وقومها وكانت حديثة عهد بالكفر فخفتها عليك ، فيدعو له الرسول صلي الله عليه وسلم " اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني" .

ولقد شاهدنا زعماء كانت لهم في شعوبهم شعبيات كاسحة كما نقول بلغة العصر ، ولكن هؤلاء الزعماء الذين انبهرت بهم شعوبهم حينا كثيرا ما لعنتهم بعد أن هيل عليهم التراب ، واكتشفوا في عصورٍ تالية انهم كانوا مستغلين أو خدعوا شعوبهم أو أخفوا عنهم الكثير ، وما أكثر الأسماء التي امتلأت بها صحائف التاريخ عن هؤلاء الزعماء الذين كانوا يوماً من الأيام ملأ السمع والبصر . وليست حياة هتلر وموسوليني وستالين عنا ببعيد ، بينما ظلت شخصية النبي صلي الله عليه وسلم موضع الحب من أنصاره في كل العصور ، ولا زلت أذكر قول عمرو بن العاص وهو داهية العرب الكبير والذي طالما حارب الرسول صلي الله عليه وسلم ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملا عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ..

وننظر إلي أصحابه صلي الله عليه وسلم في غزوة بدر ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينتفض ليقتل خاله أبا جهل ، وهذا أبو عبيدة ابن الجراح ينتفض ليقتل أباه الذي يظل واقفاً أمامه واعترض طريقه ، ثم يخوضُ في دم أبيه ويقتل علي بن أبي طالب بعض بني عمه ويندفع حمزة لا يبالي إلي الصفوف المتراصة من قريش ليجعل همه أن يضرب شجعانها وساداتها ، وجاء نوفل بن خويلد يقاتل المسلمين ويثخن فيهم ويدهس بفرسه جثث الضحايا ، حتي لقد أوشك أن يثير الرعب في قلوب المسلمين فأسموه الشيطان فيندفع حمزة إلي نوفل بن خويلد ورأسه في الدرنة ، ويلز نوفل فرسه ليدهم حمزة وتحدث المعركة العنيفة بينهما والجيش بأسره ينتظر المعركة حتي يطيح حمزة برقبة نوفل ويزداد المسلمون ثباتا في المعركة .

وحين نتتبع حب صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم له سنجده واضحاً جلياً في اتباع أوامره والتفافهم حوله في المعارك وفدائه بأنفسهم .

وحب النبي صلي الله عليه وسلم بندٌ من بنود الإيمان ، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين " ونتذكر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم "لأنت يا رسول الله أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال صلي الله عليه وسلم " لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال له عمر: فإنك الآن والله أحب إليَّ من نفسي، فقال صلي الله عليه وسلم " الآن يا عمر ".

وهذا الحب هو حبٌ لمحمدٍ صلي الله عليه وسلم النبي الرسول الذي حمل رسالة الله وكان سبباً في خروجك من الظلام إلي النور .

موقفه صلي الله عليه وسلم مع المنافقين

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلا من المنافقين يقال له حرملة جاء إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الإيمان هنا وأشار إلي لسانه ، والنفاق هنا وأشار إلي قلبه ،ولا أذكر الله إلا قليلا ، وكان حرملة هذا قد عذبه الشك ووجد في صدره ضيقاً شديدا ، لم يسعه معه إلا أن يلتمس الشفاء من خاتم النبيين صلي الله عليه وسلم ، فقال أبو الدرداء فدعا الرسول صلي الله عليه وسلم له قائلا " اللهم أعطه قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وارزقه حبي وحب من أحبني " فما فرغ الرسول صلي الله عليه وسلم من هذه الدعوات حتي ملأ قلب الرجل إيمانا بالله وحباً لرسوله صلي الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أعرف ناساً من المنافقين كنت رأسا منهم أفآتيك بهم ؟ فقال صلي الله عليه وسلم (من جاءنا استغفرنا له ولا نَهتك علي أحد من الناس ستْرَه)

استجابة دعائه صلي الله عليه وسلم :

روي أن عتبة بن أبي لهب أتي يوما إلي النبي صلي الله عليه وسلم وهو في مكة قبل الهجرة ، فقال أنا أكفر بالنجم إذا هوي وبالذي دنا فتدلي ، ثم غلظ عليه الأذي وشقَّ قميصه وتفل في وجهه إلا أن البصاق لم يقع عليه حينئذ ودعا عليه صلي الله عليه وسلم فقال " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك حتي يفترسه " وخرج عتبة في نفرٍ من قريش في مكان يقال له الزرقاء ،نزلوا فطاف الأسد عليهم وهم نيام واحداً واحداً فغدا عليه الأسدُ من بين القوم وأخذ برأسه وذبحه .

عبقرية محمد صلي الله عليه وسلم الإدارية

إن السليقة المطبوعة علي إنشاء الادارة النافعة فهي السليقة التي تعرف النظائر وتعرف التبعة وتعرف الاختصاص بالعمل فلا تسنده إلي كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم علي هواه وقد كانت هذه السليقة في محمد عليه السلام علي أتم ما يكون ، كان يوصي بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعي أو العمل المجتمعي الذي يحتاج إلي تدبير ومن حديثه المأثور " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم " ومن أعماله الماثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة ، إذا أصيب أحدهم بما يقعده عن القيادة وكان قوام الرئاسة والإمامة عنده شرطين هما جماع الشروط في كل رئاسة وهما الكفاءة والحب وقال صلي الله عليه وسلم (أيما رجل استعمل رجلاً علي عشرة أنفس وعلم أن في العشرة من هو أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين ، وأيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه) .

سياسة الخضوع والاتباع :

سياسى لخضوع والاتباع هي ذلك المجال الذي تمت فيه عبقرية محمد في حلول التوفيق واتقاء الشرور أحسن إتمام ، فما عرض له تدبير أمر من الأمور بعد الرسالة ولا قبلها إلا أشار فيه بأعدل الآراء وأدناها إلي السلم ، فهو مدير حين تكون الإدارة في تدبير أمور ومدير حين تكون الإدارة تدبير شعور ، وحين يتولي مصلحة من المصالح مليئة بالفوضي وتطرق إليها الاختلال فهو يسويها بالنظام وبالتبعة وبالاختصاص والسماحة صلي الله عليه وسلم ، حكيم الحكماء وعبقري العباقرة .

وكانت أوصافه في غير خصال الوحي توافق الاستعداد الذي يرشحه لتلقي الوحي والنبوة فكان حسما كله ، ومن يراه وينظر إليه فيري فؤادا يقظا يتنبه لكل خالجة نفسية فيسرع في مشيته ويلتفت فيلتفت بكل جسمه ويشير فيشير بكل كفه ، ويفكر فلا يزال يطرق الأرض أو يرفع بصره إلي السماء ويدعو فيرفع يديه حتي يُري بياض إبطه ويغضب فتحمر عيناه ووجنتاه ويمتليء عرق جبينه وقلبه يقظ لا ينام حس مرهف يدني إليه ما وراء الحجاب ويوقظ سريرته لأخفي البواطن ، ويجعله أبدا في حالة قريبة من الوحي حينما هبط الوحي عليه .

النبي صلي الله عليه وسلم قال فيما رواه البخاري " إن الله لا ينظر إلي صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلي قلوبكم وأعمالكم " والنبي صلي الله عليه وسلم نموذجا يحتذي به يوافق قوله فعله ، يأمر الناس جميعاً بما يفعله قبل أن يتكلم به ليكون قدوة ، ولأن لا يكون ذلك مدعاة للنفور منه أو عدم تصديقه ، بل ربما جعل من القدوة من فعله أفضل من ما لم يتكلم به ، وجعل أفعاله وحدها هي وسيلة للدعوة وهو ما لمسه فيه أصحابه ومن حوله .

شجاعته صلي الله عليه وسلم

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال " إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها فقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه في سارية من سواري المسجد حتي تصبحوا أو تنظروا إليه فذكرت دعوة أخي سليمان " رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي " فرده الله خاسئا " وخلاصة المحفوظ من الروايات المتواترة أن النبي صلي الله عليه وسلم كان مثلا نادرا لجمال الرجولة العربية كان سمحا في جميع شمائله مستوفيا للصفة من جميع خواصها ورب رجل وسيمٍ غير محبوب غير مهيب ، ورب رجل وسيم يحبه الناس ويهابونه وهو لا يحب الناس ولا يعطف عليهم ولا يبادلهم الولاء والوفاء ، أما محمد صلي الله عليه وسلم فقد استوفي شمائل الوسامة والمحبة والمهابة والعطف علي كل الناس فكان علي ما يختاره واصفوه ومحبوه وكان نعم المسمي بالمختار .

قال البراء بن عازب كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا تسمر للقتال أشد الناس بأسا وكان الشجاع منا هو الذي يقرب منه في الحرب لشدة قربه من العدو .

ويقول صلي الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه (والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو في سبيل الله فأقتل) .رواه أبو حبان ، وكان سيدنا علي كرم الله وجهه يقول مع ما فيه من فروسية "كنا إذا اشتد الوطيس احتمينا برسول الله صلي الله عليه وسلم فيكون أقربنا إلي العدو" .

ولكلامه صلي الله عليه وسلم عن الشجاعة أحاديث منها " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالي للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " ، ومن أحسن الرمي ثم تركه فقد ترك نعمة من النعم " .

وقد ظهرت شجاعة الرسول صلي الله عليه وسلم الرهيبة في مطلع شبابه وهو بين سن الزهور حيث بدأت مع حرب الفجار واشترك النبي صلي الله عليه وسلم في بعض وقائعها وشاهدها .

وفي غزوة بدر التقي المسلمون والمشركون وكتب الله النصر للمسلمين مع قلة عددهم وعتادهم .

وفي غزوة أحد قال صلي الله عليه وسلم لأصحابه " إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا نقاتلهم فيها ، ودرات المعركة يوم أحد وكان النصر حليفا للمسلمين إلا أن بعض الصحابة الذين أمرهم النبي صلي الله عليه وسلم أن لا يغادروا أماكنهم وهم الرماة طمعوا في الغنائم التي خلفها المشركون ، وهم منهزمين فاستغل قائد المشركين وهو خالد بن الوليد وقتها هذا الأمر وهاجمهم من الخلف ، وهنا ارتبكت صفوف المسلمين ، وكثر القتلي واشتدت المعركة عليهم ، ولكن النبي صلي الله عليه وسلم كان شديد الجأش قوي الشكيمة لم يتقهقر ولم يفر من المعركة ، وظل ثابتا والمسلمون قد تركوا مواقعهم وانهالت السيوف علي رسول الله صلي الله عليه وسلم والسهام من المشركين ، ولكنه يزود بصبره وسيفه ،حتي التف حوله المسلمون ودافعوا عنه ببسالة حتي ترك المشركون المعركة وانصرفوا ، ويعتبر هذا نصرا له صلي الله عليه وسلم علي حسب العرف الحربي فترك المنتصر للمعركة بعد ثبات المهزوم هو انتصار للمهزوم ، وكل ذلك راجع إلي جأش النبي صلي الله عليه وسلم وثباته في المعركة وشجاعته المعهودة .

ومن شجاعته وهو في غزوة حنين ، وكان قد حمي الوطيس وتفرق المسلمون من جواره فثبت النبي صلي الله عليه وسلم وهو يقول :

أنا النبي لا كذب   أنا بن عبد المطلب

ولم ينسحب صلي الله عليه وسلم حتي جاء أصحابه والتفوا حوله ثانية .

ولننظر إلي أي قائد أو زعيم سياسي هل يستطيع أن تكون له شجاعة مثل شجاعة النبي صلي الله عليه وسلم أو أي داعية أو مصلح ديني الذي غالبا ما يقود الزعماء وهو في محرابه أو صومعته لكن محمداً صلي الله عليه وسلم كان قائدا وكان محاربا وكان مستبسلا من الطراز الأول بحيث لا يمكن أن يجمع بين كل هذا فرد واحد مهما كانت قوته وإمكانياته .

وروي مسلم عن العباس قال " شَهِدْتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يومَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الحَارِثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى بَغْلَةٍ له بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا له فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، قالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بلِجَامِ بَغْلَةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَكُفُّهَا إرَادَةَ أَنْ لا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ برِكَابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، فَقالَ عَبَّاسٌ: وَكانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلتُ بأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَأنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتي عَطْفَةُ البَقَرِ علَى أَوْلَادِهَا، فَقالوا: يا لَبَّيْكَ، يا لَبَّيْكَ، قالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ في الأنْصَارِ يقولونَ : يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، يا مَعْشَرَ الأنْصَار ، قالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ علَى بَنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، فَقالوا : يا بَنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، يا بَنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، فَنَظَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَهو علَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إلى قِتَالِهِمْ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ هذا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ قالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ قالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ علَى هَيْئَتِهِ فِيما أَرَى، قالَ : فَوَاللَّهِ ما هو إلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بحَصَيَاتِهِ فَما زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا " صحيح مسلم ، كليلا عينيه أي أصيبت .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قالَ كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وأَجْوَدَ النَّاسِ ، وأَشْجَعَ النَّاسِ ، وقدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا ، قالَ : فَتَلَقَّاهُمُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى فَرَسٍ لأبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ ، وهو مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ ، فَقالَ : لَمْ تُرَاعُوا ، لَمْ تُرَاعُوا ، ثُمَّ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : وجَدْتُهُ بَحْرًا يَعْنِي الفَرَسَ .

عبقريته العسكرية :

ظل النبي صلي الله عليه وسلم في مكة أعواما عديدة لم يؤمر بالقتال، أو يرد علي مشركي قريش حتي لو قاتلوه وهو ما حافظ عليه النبي صلي الله عليه وسلم حتي نزل أمر الله تعالي قائلا " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علي نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله " ، وقد صبر المسلمون علي المشركين حتي أمروا أن يقاتلوهم كافة كما كانوا يقاتلون المسلمين كافة ، وحروب النبي صلي الله عليه وسلم كما كانت كلها دفاع أو من أجل نشر الدين لا طمعا في مال أو مكانة ، ولم تكن منها حروب هجوم إلا علي سبيل المبادرة بالدفاع بعد الإيقان من نكث العهد ، والإصرار علي القتال وتستوي حروبه مع قريش مع حروبه مع اليهود أو مع الروم عن القتال في تلك السمة وكان قد سري إلي النبي صلي الله عليه وسلم نبأ أنهم يتهيئون لمحاربة النبي صلي الله عليه وسلم علي حدود البلاد العربية .

ومن التجارب التي دل عليها التاريخ الحديث تجربة فرنسا في القرن الماضي ، وتجربة روسيا في القرن الحاضر ، وتجربة مصطفي كمال أتاتورك في تركيا ، وتجارب سائر الدعاة من أمثاله في سائر البلاد فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكر بالقوة ، ولا بد من التمييز بين العملين لأنهم خير مختلفين ، والحقيقة الأكيدة أن الإسلام لم يحتكم إلي السيف قط إلا في الأحوال التي أجمعت شرائع الإنسان علي تحكيم السيف فيها .

لم يكن صلي الله عليه وسلم إلا مسالما لا يحب الحرب بدليل أنه أمر قواده ألا تراق قطرة دم في غزوة فتح مكة ، والمحافظة علي الدماء بقدر المستطاع مع أنها حرب ويحق القتال فيها ، الإسلام قد شرع الجهاد ، والجهاد في الإسلام إما لنشر دين الله أو للدفاع عن الإسلام أو أرض المسلم

و وعَن ابن عُمَر رَضِيَ اللَّه عنهَما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم : أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاة ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلامِ ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ " مُتفقٌ عليه.

لو تتبع حروبه عليه الصلاة و السلام ناقد عسكري من أساطين فن الحروب في العصر الحديث ليقر من وراء خططه مقترحا أو ينبه إلي خطإ فيها لأعياه التعديل فنابليون كان يستفيد بخطته بثلاثة أمور أن يختار الموقع الملائم وأن يختار الفرصة وأن يعاجل العدو قبل إتمام الاستعداد وكان صلي الله عليه وسلم سابقاً إلي تلك الخطط في جميع تفصيلاتها .

وكان النبي صلي الله عليه وسلم يعمد إلي القوة العسكرية حيث أصابها فيقضي علي عزائم أعدائه بالقضاء عليها وإضعاف أنصاره بتركه زمام الحركة في أيدي المهاجمين ، إلا أن يكون الهجوم وبالا علي المقدمين عليه كما حدث في غزوة الخندق .

وإن الاستعانة علي قضاء الحاجة بالكتمان سنة حكيمة من سنن النبي صلي الله عليه وسلم في جميع المطالب ، ولهذا كان صلي الله عليه وسلم إذا أراد غزوة وري بغيرها علي النحو الذي يتبعه قادة الحروب

نري محمد عليه السلام قائداً حربيا بين أهل زمانه بغير نظير في رأيه وفي الانتفاع بمشورة أصحابه وتبرز لنا قدرته النادرة بين قادة العصور المختلفة في توجيه كل ما يتوجه علي يدي قائد من قوي السلام والكلام ، وهذه القدرة هي شهادة كبري للرسول صلي الله عليه وسلم تأتي من طريق الشهادة للقائد الخبير بفنون القتال ، فمن كانت عدته هذه الأداة النافذة فاقتصر بها علي الدفاع واكتفي منها بالضروري الذي لا محيص عنه ، وذلك هو الرسول الذي تغلب فيه الرسالة علي القيادة العسكرية ولا يلجأ إلي هذه القيادة إلا حين تقتضيها الظروف ، وغير هذه الشهادة عظما ، أن الرجل لم يتحبب إلي القتال في غير ضرورة رجل شجاع غير هياب .

ومن رجاحة عقله صلي الله عليه وسلم أنه كان يستشير أصحابه في خطط القتال ويقبل مشورتهم أحسن قبول ، ومع ذلك ما صنعه ببدر حين أشار عليه الحباب بن المنذر بالانتقال إلي مكان آخر غير الذي نزلوا فيه أول الأمر ثم بتغوير الآبار وبناء حوض للشرب لا يصل إليه الأعداء ، وسمع النبي صلي الله عليه وسلم بمشورة الحباب بن المنذر وكانت من أسباب النصر .

ثم ننظر إلي مشاورته لأصحابه في غزوة الخندق ، حين علم بقدوم الأحزاب لمهاجمته ، وقيل فيه روايات كثيرة عمل بمشورة سلمان الفارسي في حفر الخندق عند المنفذ الذي خيف أن يهجم منه المشركون علي المدينة ، فحفر الخندق وعمل صلي الله عليه وسلم بيديه الكريمتين في حفره .

ومن احتياطه صلي الله عليه وسلم الشديد قوله حين بعث عبد الله بن جحش ومعه كتاب أمره أن لا ينظر فيه حتي يسير يومين ، وفحواه أن سر حتي تأتي بطن نخلة علي اسم الله وبركته ، لا تكرهن أحدا من أصحابك علي السير معك ، وامض فمن تبعك حتي تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش وتعلم من أخبارهم ، ومن الغريب أن اثنين من رجال السرية بعد فض الكتاب ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضل فأسرتهما قريش وهما سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ، ثم نزل الركب بنخلة فمرت بهم عير قريش تحمل تجارة عليها عمرو الحضرمي آخر شهر رجب ، وكانت قريش قد حجزت أموال أناس من المسلمين من بعض من في السرية ، فتشاوروا في قتال أهل العير وحاروا فيما يصنعون أن تركوا العير تمضي ليلتها امتنعت بالحرم ، وفاتهم تعويض ما حجزته قريش في هذه الفرصة السانحة ، وإن قاتلوا أهلها قتلوها في شهر حرام ، لكنهم اندفعوا إلي القتال فأصابوا من أصابوا ورمي أحدهم عمرو بن الحضرمي بسهم فأرداه قتيلاً ، وأسروا رجلين وقفل عبد الله بن جحش ومن معه إلي المدينة ، وقد حجزوا للنبي صلي الله عليه وسلم الخمس من غنيمتهم ، فأباه صلي الله عليه وسلم ، وقال لهم ما أمرتكمْ بقتال في الشهر الحرام ، وعنفهم إخوانهم لمخالفة النبي صلي الله عليه وسلم ، وساءت لقياهم بين أهل المدينة ، وانتهزت قريش الفرصة ضد النبي صلي الله عليه وسلم واتخذتها وسيلة للتشهير به وبأصحابه ، طلبت من النبي صلي الله عليه وسلم الأسيرين والعير ، فقال عليه السلام لا نفديكموهما حتي يقوم صاحبانا فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم .

الحادث الوحيد الذي يستحق الالتفاف إليه هو مقتل كعب بن الأشرف الذي كان يهجو المسلمين ويقدح في دينهم ، ويثير عليهم الأعداء ، ويأمر بقتل النبي صلي الله عليه وسلم ، ويدخل في كل سياسة تنقض العهد بتأليب العرب مع قومه بني النضير ، وقد خرج رهط من أصحابه صلي الله عليه وسلم لقتله ، وقد أمر صلي الله عليه وسلم بمقتله فإن القانون الدولي يوجب علي الأسير الذي ينطق

بالشرف ألا يعود إلي القتال ، وأن يوفي بعهده ويوجب علي حكومته أن لا يندب إلي الحرب فإن فعل لا يعامل معاملة الأسري إذا أشهر السلاح ثانيةً في وجه من عفا عنه أن يُقضي عليه بالموت .

عزوة بدر وما فيها من مواقف تدل علي فِطنة النبي صلي الله عليه وسلم .

أتي النبي صلي الله عليه وسلم الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلي الله عليه وسلم أصحابه وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال "يا رسول الله امضِ لما أمرك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسي اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون " والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلي برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتي تبلغه " فقال له صلي الله عليه وسلم خيراً ودعا له به ، ونزل صلي الله عليه وسلم قريباً من بدر ، حتي وقف علي شيخ من العرب فسأله عن قريش فقال : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما ؟ فقال صلي الله عليه وسلم إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال أذاك بذاك ؟ قال " نعم " قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش ، فلما فرِغ الرجل من خبره قال من أنتما ؟ فقال صلي الله عليه وسلم (نحن من ماء) ثم انصرف عنه يقول الشيخ : أمن ماء العراق ؟ أم من ماء اليمن .

ثم رجع رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي أصحابه فلما أمسي بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفرٍ من أصحابه إلي ماء يلتمسون الخبر عليه ، فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد فألقوا بهما فسألوهما ورسول الله صلي الله عليه وسلم قائمٌ يصلي ، فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فتركوهما ، وركع صلي الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم وقال " إذا صدقاكما ضربتموهما وإذا كذباكما تركتموهما ؟ صدقا وإنهما لقريش ، أخبراني عن

قريش ؟ " قالا : هم والله وراء هذا الكثب الذي تري بالعدوة القصوى ، فقال صلي الله عليه وسلم كم القوم ؟ قالا : لا ندر ، قال " كم ينحرون " قالا : يوما تسعة ويوماً عشراً قال صلي الله عليه وسلم "القوم ما بين التسعمائة إلي ألف " ، قال فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قال : عتبة بن ربيعة وشيبة وأبو البحتري بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد والحارث ، فقال صلي الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها ، ومَضَتْ قريشٌ حتي نزلوا بالعدوة القصوي من الوادي ، وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا فأصاب رسول الله وأصحابه ماء لبد الأرض لهم ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرها علي أن يرتحلوا معه فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم وبادرهم إلي الماء حتى إذا جاء النبي صلي الله عليه وسلم بماء أدني من بدر نزل به . فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ، أم هو الحرب والخدعة والمكيدة ؟ فقال صلي الله عليه وسلم " بل هو الحرب والمكيدة " فقال لا يا رسول الله إن هذا ليس بمنزلٍ حتي تبني حوضا فتملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال صلي الله عليه وسلم " لقد أشرت بالرأي" فنهض رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم أمر بالقلب فغودرت وبني حوضا علي القِليب الذي نزل عليه ، فملأ ماء ثم قذفوا فيه الآنية ،وقد أتم الله عليهم بالنصر .

وجاء في اعترافه صلي الله عليه وسلم بالجميل بعد المعركة أن قال " إني عرفت أن رجلا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كَرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي أبا البحتري فلا يقتله ، لأنه كان أكف القوم عنا ونحن بمكة ، وما بلغنا عنه شيء نكرهه وهو من أقام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش علي بني هاشم ، ومن لقي عمي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مستكرها فرد أحد رجال المسلمين مستنكرا : أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ والله لأن لقيته لألجمنه بالسيف ، ونظر سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم إلي عمر وقال " يا أبا حفص أيضرب وجه عمي بالسيف ؟ وغضب عمر وقال " لقد نافق دعني لأضرب عنقه بالسيف ولكن النبي صلي الله عليه وسلم أبي وهذا يدل علي اعترافه بالجميل من ناحية ، وعفوه عن هفواتٍ تصدر من ضعاف أصحابه . وفي التصرف في الأسري ، لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم مستبداً برأيه ، فهو نبي ولم يصل أحد من أصحابه مهما بلغ إلي درجته وهي النبوة ، ولكنه كان يستعين بالأسباب الحقيقية

لتحقيق الهدف فكان يستشير أصحابه ، وقد استشارهم صلي الله عليه وسلم في أمر الأسري ، فأشار عليه عمر بن الخطاب بالقتل ، وأشار عليه أبو بكر بالعفو ، واتخذ النبي صلي الله عليه وسلم العفو لأنه أقرب إلي قلبه ، وفعل ذلك بعدد كبير منهم ، وها هو يرجع محزوناً بعد نزول العتاب من الله ولم يكن له أن ينفذ الحكم في باقي الأسري فأرسل في فدائهم ، وذهب النبي صلي الله عليه وسلم إلي العباس وقال له " افد نفسك يا عباس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عقبة بن عمرو فإنه ذو مالٍ ، فقال العباس " يا رسول الله إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني ، فقال صلي الله عليه وسلم (الله أعلم بإسلامك إن يكن ما قلت حقا يجزيك الله بإسلامك وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافتد بنفسك) ، وسار في طريقه وتوقف النبي صلي الله عليه وسلم عند أبي عزة وكان شاعرا فقال أبو عزة " إن لي خمس بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن يا محمد ، أعطك موثقا أن لا أقاتلك ولا أكثر عليك أبداً ، فأطلق النبي صلي الله عليه وسلم سراحه ليعود إلي بناته ، وبعدها نزل عتاب إلي النبي صلي الله عليه وسلم " ما كان لنبي أن يكون له أسري حتي يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم " سورة التوبة

وكان من الفدية عند النبي صلي الله عليه وسلم أن يقوم الأسير بتعليم الكتابة لعشرة من المؤمنين وكانت الكتابة شيئا جديداً ، فالعرب كانوا قوما أميين ، وقد أتم الله بمن تعلموا الخير للإسلام وتم تعليم عدد كبير من المؤمنين القراءة والكتابة ، وكانوا سبباً في كتابة الوحي ووصايا الرسول صلي الله عليه وسلم ورسائله إلي الملوك والأمراء فيما بعد .

وهناك من نقد تصرف النبي صلي الله عليه وسلم حين حكم علي رجال بني قريظة بالموت والجواب أولا أنهم إنما فعلوا ذلك بما هو أقبح ، ففي عذرهم قبح ورعونة ، وإذا كانوا يحسون بالضعف فلماذا خانوا النبي صلي الله عليه وسلم ، ونتخيل أن لو كان المشركون قد تسللوا من هذه الناحية فسيكون مصير المسلمين جميعاً هو القتل من قبل الأحزاب ، وهذا التحالف مع الأعداء ونقض العهد للنبي صلي الله عليه وسلم يعتبر خيانة للميثاق ولتحالف الذي أبرمه النبي صلي الله عليه وسلم مع يهود المدينة ، أن يكونوا يداً واحدة ضد أي عدوٍ يحاول الهجوم علي المدينة ، فما بالنا بالتحالفِ معه ،

ومع ذلك فقد أبوا حكم سيدنا عمر رضي الله عنه وطلبوا هم حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بحكم الله ، فلم يحكم النبي صلي الله عليه وسلم فيهم بنفسه .

وأثناء غزوة بدر أغفي صلي الله عليه وسلم إغفاءة واحدة ، ثم رفع رأسه فقال "أبشر يا أبا بكر هذا جبريل علي ثناياه النقع أي الغبار ، ثم خرج من العريش التي نصبت له وهو يثب في الدرع ويقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ثم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا وقال شاهت الوجوه ورمي بها في وجوههم ، فما من المشركين أحداً إلا أصاب عينيه ومنخريه وأنفه من تلك القبضة "

وعلي أقوال الأسري : فقد جاء رجل من الأنصار للعباس بن عبد المطلب أسيراً فقال للعباس : إن هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أملح من أحسن الناس وجها علي فرس أبلق ، وما أراه في القوم فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول الله ، فقال صلي الله عليه وسلم اسكت فقد أيدك الله بملكٍ كريم"

وقُتل أبو جهل علي يد معوذ ومعاذ ، وكانا طفلين فأمر النبي صلي الله عليه وسلم بالسلب لمعاذ وكانا قد تنازعا أيهما يحصل علي السلب ، فنظر النبي صلي الله عليه وسلم إلي السيفين ، فوجد الدم علي كليهما فقال كلاكما قتله "

وتلتها غزوة أحد حيث جاءه صلي الله عليه وسلم الخبر عن استعداد قريش لقتاله وحينئذ عقد مجلساً عسكرياً استشاريا ، وفيه استمع إلي الآراء ، وأخبرهم عن رؤيا رآها ، قال "إني قد رأيت والله خيرا رأيت بقرا يذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، وتأول البقر بنفر من أصحابه والسيف برجل يصاب في أهله ، والدرع بالمدينة وكان رأيه إلي صحابته أن لا يخرجوا من المدينة ، وأن يتحصنوا بها ، وكان هذا رأي عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، لكي لا يقاتل مع المسلمين ، ولكن جماعة من الفضلاء أشاروا بالخروج خارج المدينة حتي لا يظهروا أنهم جبناء أمام أعدائهم .

ومن بُعد نظره صلي الله عليه وسلم أنه قال حين أجلي الله الأحزاب " من الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم " صحيح البخاري وهو ما حدث فعلا .

وفي نظرته الثاقبة صلي الله عليه وسلم في صلح الحديبية يدخل النبي صلي الله عليه وسلم في مكة بعشرة آلاف مقاتل ، وانتهي إلي وادي الحليفة وعلمت قريش بذلك ، فبعثوا إليه بمكرز بن حفص في نفر منهم ، فجاءوا يقولون : يا محمد والله ما عرفتَ صغيرا ولا كبيراً بالغدر ، تدخل السلاح في الحرم علي قومك وقد شرطت عليهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر ، والسيوف في القرب ، فقال صلي الله عليه وسلم " إني لا أحل عليهم بالسلاح " وقد قال صلي الله عليه وسلم لصحبه قبل " إن هاجنا هائج من القوم كان السلاح قريبا منه " وتركه في الرحاسة علي مقربة مكة حيث يوصل إليه عند الحاجة

وكانت قيادة جيش مؤتة لزيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ، ثم عبد الله بن رواحة ، وكان معهم خالد بن الوليد ، وحين وجد المسلمون أنفسهم أمام هذا الجيش الجرار ترددوا ولكنهم بعد ذلك أصروا علي الشهادة في سبيل الله ، وقال عبد الله بن رواحة : ما نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي احدي الحسنيين ، ثمت ظهور وإما شهادة ، وتقابل الجمعان ، وقتل زيد ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة ، وهنا اتفق الجميع علي أن يتولي الراية خالد بن الوليد الذي أنقذ جيش المسلمين بمعجزة حربية وحيلة ذكيةٍ ومع ذلك لم يفر من الجيش بل آثر جيش الرومان أن يترك المعركة خوفاً من وجود مدد للمسلمين كما أوهمهم خالد ، وهنا أنسحبوا دون فر بعد أن كاد جيش المسلمين أن يُقضي عليه بالكامل .

وحين عادوا للمدينة قال الناس لهم : يا فرار ، ولكن النبي صلي الله عليه وسلم قال لهم : بل الكرار إن شاء الله " وهنا لما علمت قريشٌ بخبر مؤتة نقضوا عهدهم مع النبي صلي الله عليه وسلم وهجموا علي حليفتهم خزاعة ، وأرسل الخزاعيون إلي النبي صلي الله عليه وسلم يستنجدون به " فأعلن النبي صلي الله عليه وسلم استعداده لفتح مكة .

استبساله صلي الله عليه وسلم يوم أحد :

روي مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما أرهقوه قال " من يردهم عنا و هو رفيقي في الجنة " فتقدم رجل من الأنصار

فقاتل حتي قتل ، هو عمارة بن اليزيد بن السكن ، قاتل حتي أثبتته الجراح فسقط . صحيح مسلم ، وروي أنه صلي الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج رأسه فجعل يمسح الدم عنه و يقول "كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلي الله " فأنزل الله عز وجل عتاباً له صلي الله عليه وسلم " ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوب عليهم أو يعذبهم " وفي رواية النسائي عن جابر قصته " أن الأنصار تجمعوا واحدا واحدا حتي قتلوا ثم يقوم طلحة فقاتل قتال الأحد عشر حتي ضربت يده فقطعت أصابعه " وروي الترمذي أن النبي صلي الله عليه وسلم قال فيه " من سرَّه أن ينظر إلي شهيدٍ يمشي علي وجه الأرض فلينظر إلي طلحة بن عبيد الله " وهذا إن دل فإنما يدل علي استبسال أصحابه صلي الله عليه وسلم فداءً له .

وحينما مات حمزة بن عبد المطلب حزن النبي صلي الله عليه وسلم حزناً شديداً ، وفرَّ المشركون وصاحوا ماتَ حمزة ، أما مصعب بن عمير فكان يحمل الراية وكان قريب الشبه بالنبي صلي الله عليه وسلم ، فلما قتل صاح قاتله قتلت محمداً ، وسيطرَ الرعب علي قلوب المسلمين ، وبدؤا يفرون وهنا أمر النبي صلي الله عليه وسلم بتسليم الراية لعلي بن أبي طالب ، وأسرع المسلمون ليدركوا النبي صلي الله عليه وسلم ليدافعوا عنه ، وقد جرح وشجت رأسه وخده مشقوق وانغرست فيه حلقتان من الزرد ، وسعد بن أبي وقاص يرمي بالسهام ، وجموع أخري تدافع عنه والنبي صلي الله عليه وسلم يقول له " ارم بأبي أنت وأمي " ، وصاح عمر بن الخطاب إن النبي لم يزل حيا ، أما أبي بن خلف فقد اقتحم بفرسه وأراد أن يبارز محمدا وكان يركب فرسه الذي كان يقول له صلي الله عليه وسلم إني أعده لأقتلك من عليه ؟ فأجاب النبي صلي الله عليه وسلم " بل أقتلك أنا بإذن الله " ولما رأي المسلمون ذلك خافوا عليه صلي الله عليه وسلم ، ولكنه رفض وصمم أن يبارزه هو علي الرغم من جراحه ثم ضربه صلي الله عليه وسلم ضربةً واحدة ألقته صريعا فتكلم أبي بن خلف كلمة واحدة قتلتني ثم مات " .

وحينما انتهت المعركة وقتل من المسلمين سبعين شهيدا ، وكان حول النبي صلي الله عليه وسلم الأنصار يواسونه ونوح النساء لأقاربهم ، قال صلي الله عليه وسلم " ولكن حمزة لا بواكي له " وبكي النبي صلي الله عليه وسلم بكاءً مريرا لفقد حمزة ، وقال صلي الله عليه وسلم " ما وقفت موقفا قط

أغيظ من هذا " ثم جئ بالشهداء واحدا تلوا الآخر إلي جانب حمزة فيصلي النبي صلي الله عليه وسلم عليهم حتي بلغت مرات الصلاة عليه اثنتين وسبعين وهو عدد الشهداء في أحد .

وكانت هذه النكسة بسبب الرماة الذين خالفوا أمر النبي صلي الله عليه وسلم وتركوا أماكنهم ومع ذلك لم يعاقبهم النبي صلي الله عليه وسلم .

وفي غزوة الخندق علم النبي صلي الله عليه وسلم بوجود جيشٍ كبير من الأحزاب تآمروا ضده كلهم جاؤا ليفتكوا به ، وأشار علي أصحابه ما الحيلة ، واهتدي إلي رأي سلمان الفارسي بحفر خندق حول المندينة ، وأقبلت قريش في عشرة آلاف وعسكروا علي تلال مرتفعة تواجه المدينة ، والمسلمون في داخل المدينة العدو أمامهم والخندق بينهم ، وأغرت قريش يهود بني قريظة المقيمين في ناحية من المدينة بالتحالف مع قريش ، وهنا أعلنت اليهودُ نقض عهدهم مع النبي صلي الله عليه وسلم ، وتأكد النبي صلي الله عليه وسلم من ذلك عن طريق رسله ، وأشار أصحابه بمحاربتهم ولكنه صلي الله عليه وسلم اكتفي بأن أرسل جناحاً من الجيش لمواجهتهم ، إن هم غدروا بالمسلمين من هذه الناحية وعجز المسلمون عن مواجهة قتال المشركين أمام الخندق فأمرهم النبي صلي الله عليه وسلم بالنزول من أعلي الجبال وأن يتحصنوا وراء الأسوار ، وخاف بعض ضعاف المسلمين وقالوا : إن بيوتنا عورة وهنا فكَّرَ بعض أصحابه بقطع رقابهم ولكن النبي صلي الله عليه وسلم رفض و تركهم وشأنهم .

وصفه صلي الله عليه وسلم :

حريٌّ بنا أن نتتبع صفات النبي صلي الله عليه وسلم وحياته الشخصية حتي أدق التفاصيل في حياته فهو ليس كباقي البشر ، لنحتذي حذوه ونتخذه قدوة ، ولنعلم أنه حقا يستحق أن يكون سيد ولد آدم وأكرم الأولين والآخرين علي الله ، وقد روي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي ،كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع

لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين "رواه مسلم .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال" إني عند الله مكتوب : خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم بأول أمري : دعوة إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ، وقد خرج لها نورٌ أضاءت لها منه قصور الشام". وَفِي رِوَايَةٍ مَتَى كُتِبْت نَبِيًّا ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم " وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ" .

وبن كثير في كتابه البداية والنهاية يقول : معلوم لكل ذي لب أن محمدا صلي الله عليه وسلم من أعقل خلق الله تعالي بل أعقلهم علي الإطلاق .

خاتم النبوة

قال سليمان الفارسي أتيت النبي صلي الله عليه وسلم فرأيت الخاتم في كتفيه مثل بيضة الحمامة وقد تكاثرت الروايات في ذلك ، وروي أنه كالتفاحة وهو جزء بارز بين كتفيه صلي الله عليه وسلم والصواب أنه كان صغيراً بحيث لا يظهر من وراء الثوب ناتئاً نتوءا واضحا .

عن جابر بن سمرة قال : رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلي الله عليه وسلم غدة حمراء مثل بيض الحمامة " أخرجه البخاري والترمذي .

كان صلي الله عليه وسلم يمشي مشيا لا يعرف منه أنه ليس بعاجز ولا كسلان " بن عساكر وحسنه الألباني " ، كان إذا مشي لم يلتفت " الحاكم وصححه الألباني.

"كان يتختم بالفضة " البخاري " " كان يجعل فصه مما يلي كفه " متفق عليه .

و" كان صلي الله عليه وسلم يجلس علي الأرض ويأكل علي الأرض " رواهُ الطبراني وصححه الألباني و " كان يكره صلي الله عليه وسلم أن يطأ أحد عقبه ولكن يمين وشمال " الحاكم وصححه الألباني .
و "كان أرحم الناس بالصبيان والعيال " رواه مسلم .

" كان رحيما وكان لا يأته أحد إلا وعده وأنجز له "

" كان ينطلق في المسير فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم " أبو داود وصححه الألباني .

" كان يصغي للهرة الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها " أبو داوود وصححه الألباني .

" كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتي يقضي له حاجته " صحيح الجامع ، و " كان يؤتي بالتمر فيه دود فيقشه يخرج السوس منه " أبو داوود وصححه الألباني .

و "كان لا يجد من الدقل ما يملا به بطنه " الدقل أردأ التمر .

و" كان أحب الثياب إليه الحبرة " متفق عليه والحبرة برد يماني " كان أحب الثياب إليه القميص " صحيح الجامع ، و " كان إذا لبس قميصا بدأ بميامنه" الترمذي .

وفي عشرة النساء " كان لا يطرق أهله ليلا " متفق عليه .

"كان لا يفضل بعض أزواجه علي بعض في القسم من مكثه عندهم " أبو داوود .

" كان يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك " أبو داوود .

و" كان يباشر نساءه فوق الإزار وهن حُيَّض " مسلم .

و" كان يطوف علي نسائه في ليلة واحدة بغسلٍ واحد " متفق عليه .

و" كان إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه وهي حائض أمرها أن تأتزر ثم يباشرها " البخاري .

و" كان إذا أعتم سدل عمامته بين كفيه " صحيح الجامع .

و" كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير " البخاري .

و"كان مربوعا بعيدا ما بين المنكبين له شعر شحمة الأذنين " البخاري .

و" كان ضخم الرأس واليدين والقدمين " البخاري .

و" كان وجهه مثل الشمس والقمر كان مستديرا " رواه مسلم .

" وكان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الأزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم وليس بالجعد القطط ولا السبط " متفق عليه . ربعة معتدل أزهر أبيض مشرق ، الأمهق البالغ البياض، آدم أسود أبعد القطط البالغ الجعود والسبط المعتدل .

"وكان شديد سواد الشعر أكحل العينين أحدب الأشفار إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ، ليس له أخمص إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة " البيهقي وحسنه الألباني ، " أكحل العينين أسودهما خلقة أهدب الأشفار طويل الأشفار الأخمص باطن القدم

و"كان إذا سر استنار وجهه وملح كأنه قطعة قمر " متفق عليه .

و" كان شعره يضرب منكبيه " متفق عليه .

و" كان شيبه نحو عشرين شعرة " صحيح الجامع .

و" كان شعره دون الجمة وفوق الوفرة " رواه الترمذي وصححه الألباني والجمة ما تراه من شعر الرأس علي المنكبين الوفرة ما جاوز شحمة الأذن

و" كان كثير شعر اللحية " مسلم .

و"كان يصفر لحيته بالورس " والورس نبات يستعمل في تلوين الملابس

و" كان يعجبه الريح الطيبة " أبو داوود وصححه الألباني

و" كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل " بن سعد وصححه الألباني

و" كان يشتد عليه أن يوجد منه الريح " متفق عليه .

و" كان طويل الصمت قليل الضحك " أحمد وحسنه الألباني

و" كان لا يضحك إلا تبسما " أحمد والترمذي وصححه الألباني

و" كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتي تفهم عنه " وإذا أتي علي قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا " ، و " كان كلامه يفهمه كل من سمعه " أبو داوود وحسنه الألباني .

و"كان يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه " متفق عليه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلي الله عليه وسلم يصلي احدي عشرة ركعة فإذا طلع الفجر صلي ركعتين خفيفتين ثم اضطجع علي شقه الأيمن حتي يجيء المؤذن فيؤذنه " .

عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟

قال : نعم كثيرا " كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي منه الصبح حتي تطلع الشمس فإذا طلعت قام" "وكان صلي الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر " ، وعنها قالت السيدة عائشة رضي الله عنها " كان صلي الله عليه وسلم يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره وفي العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره ، وإن كان يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً "

" كان صلي الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأخير طوي فراشه واعتزل النساء واغتسل بين الأذانين وجعل العشاء سحورا " .

وروي البخاري عن بن عمر رضي الله عنهما أنه صلي الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق ذلك عليهم فنهاهم النبي صلي الله عليه وسلم أن يواصلوا ، قالوا : إنك تواصل يا رسول الله قال" لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأسقي " وعن بن عباس رضي الله عنهما قال " كان رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يفطر الأيام البيض في حضرٍ ولا سفرٍ ، وهي ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ، وعن حفصة رضي الله عنها قالت " أربع لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر أي تسع ذي الحجة والأيام البيض من كل شهر وركعتا الفجر " .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال " كان النبي صلي الله عليه وسلم إذا مشي تكفأ كأنما ينحط من صبب " أخرجه الترمذي .

وعن أنس قال كان النبي صلي الله عليه وسلم إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث " أخرجه مسلم و الترمذي وأبو داوود

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " ما شبع النبي صلي الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتاليين حتي قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم " مسلم والترمذي في الجامع وبن ماجه وأحمد .

وعن أبي هريرة قال " أتي النبي صلي الله عليه وسلم بلحم فرفع الذراع وكانت تعجبه فنهم منها "

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " كان النبي صلي الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل " البخاري ومسلم ، وعن أبي أمامة قال " أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يعجبه الشمل ، قال يعني ما بقي من الطعام " أحمد والحاكم والبيهقي .

وعن أبي أمامة قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا رفعت المائدة من بيت يقول" الحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغني عن ربنا " أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود .
عن عبد الله بن جعفر قال " كان النبي صلي الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب " الجماعة إلا النسائي و " وكان صلي الله عليه وسلم يتحري صيام يوم الاثنين والخميس "

" وكان النبي صلي الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر "

وقال صلي الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " وقال " إنما بعثت بالحنيفية السمحة " ، وقال صلي الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه "

وقال صلي الله عليه وسلم " لن تدخلوا الجنة حتي تؤمنوا ولن تؤمنوا حتي تحابوا أولا أدلكم علي شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم تحابوا "

وقال "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "

وقال صلي الله عليه وسلم " أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون من ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد ، فينظرهم الناس ويسمعهم الداعي ، وتدنو الشمس من الخلق فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس ألا ترون ما أنتم فيه إلي ما بلغكم

ألا تنظرونَ من يشفع لكم إلي ربكم ؟ فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أول البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر ملائكته فسجدوا لك وأسكنك الله الجنة ألا تشفع لنا إلي ربك ؟ ألا تري ما نحن فيه وما بلغنا مثله ؟ فيقول " إن ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الأكل من الشجرة فعصيت . نفسي نفسي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي نوح "فيذهبون إليه فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلي الأرض ، وقد سمَّاك الله عبداً شكوراً ، ألا تري ما نحن فيه ألا تري ما بلغنا ألا تشفع لنا عند ربك ؟ فيقول " إن ربي غضب اليوم غضباً شديدا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علي قومي نفسي نفسي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي إبراهيم " فيأتون إبراهيم فيقولوا ما قالوا حتي يأتوا محمدا صلي الله عليه وسلم وفي رواية فيأتونه فيقولوا يا محمد : أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا عند ربك ألا تري ما نحن فيه ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ، ثم يفتح الله علي محامده وحسن الثناء علي لم يفتحه علي أحد قبلي ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعط واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول أمتي أمتي يا رب أمتي آمتي ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الأبواب من أبواب الجنة الثمانية وهم شركاء الناس فيما سوي ذلك من الأبواب ، ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وبصري " رواه البخاري

وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان ينتبذ أول الليل ويشرب النبيذ إذا أصبح يوم ذلك ، والليلة التي تجيء والغد والليلة الأخري والغد إلي العصر وهذا النبيذ هو ماء فيه تمر بحلية ، ولم يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره إلي الإسكار ، وكان يأتدم الخبز والثريد باللحم ويحب الفواكه ، ولا يأكل الطبيخ البائت التي يسحقه ولا المتعفن ،كما روي عنه الثقات أنه صلي الله عليه وسلم لم يكن يلتزم بنوعٍ واحد من الغذاء ، بل يستفيد من الأصناف المختلفة التي تقبل عليها نفسه .

ويقول أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع " ، وقال بن عباس رضي الله عنهما "أن النبي صلي الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل

منها كل ليلة ثلاثً في هذه وثلاثة في هذه " وكان عليه الصلاة والسلام يعتني بتخليل أسنانه بعد تناول الطعام ".

ومن صفاته صلي الله عليه وسلم " كانت وسادته التي ينام عليها بالليل حشوها الليف " أبو داود والترمذي وصححه الألباني ، و" كان يضع طعامه علي الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار " صحيح الجامع و " كان يدعي إلي خبز الشعير والإهالة والسنخة " رواه أحمد وصححه الألباني ، والإهالة السنخة الشحم الرديء .

وأخرج أحمد وبن حبان عن علباء بن أحمد اليشكري قال :حدثني أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال : قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم " يا زيد ادن مني فامسح ظهري ، فوقعت أصابعي علي الخاتم ، قلت وما الخاتم ؟ قال شعرات مجتمعات " رواه الحاكم .

وعن أنس بن مالك قال كان شعر رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي نصف أذنيه " أخرجه مسلم والنسائي وأخرج البخاري ومسلم عن قتادة قال : قلت لأنسٍ : كيف كان شعر رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " لم يكن بالجعد ولا بالسبط ،كان يبلغ شعره شحمة أذنيه " وعن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القباع حتي كان ثوبه زيات " أخرجه الترمذي والبيهقي

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت " كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ليحب التيمن في طهوره إذا تطهر ، وفي ترجله إذا ترجل ، وفي انتعاله إذا انتعل "

وعن أنس بن مالك قال " ما عددت في رأس رسول الله صلي الله عليه وسلم ولحيته أربع عشرة شعرة بيضاء " أحمد في المسند وإسناده صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " اكتحلوا بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر " .

عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة قالت :كان أحب الثياب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم لبس القميص " أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد

وعن أبي رفعة قال : " رأيت النبي صلي الله عليه وسلم وعليه بردان أخضران " .

وعن جابر أن النبي صلي الله عليه وسلم نهي أن يأكل الرجل بشماله أو يمشي في نعل واحدة " مسلم وأبو داوود ، وعن أنس بن مالك قال " كان خاتم النبي صلي الله عليه وسلم من فضة فصه منه " البخاري والنسائي ، وعنه قال "كان نقش خاتم رسول الله صلي الله عليه وسلم محمد رسول الله سطر والله سطر " أخرجه البخاري والترمذي .

وعن عبد الله بن عمر قال " اتخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم خاتماً من وَرِقٍ ، فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتي وقع في بئر أريش نقشه محمد رسول الله " البخاري ومسلم وأبو داود .

وعن سعيد بن أبي الحسن البصري قال " كانت قبيعة رسول الله صلي الله عليه وسلم من فضة " أخرجه أبو داود ، وعن بن أبي إسحاق قال : سأل رجل البراء بن عازب : أكان وجه النبي صلي الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل مثلُ القمر " أخرجه الترمذي والبخاري وأحمد والدارمي .

وعن أبي سعيد الخدري قال : سمعت أبا الطفيل يقول " رأيت النبي صلي الله عليه وسلم وما بقي علي وجه الأرض أحدٌ رآه غيري ، صفه لي ، قال : كان أبيضا مليحا مقصدا " أخرجه مسلم وأحمد في المسند والبيهقي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل و لهذا سببين ، أولاً لأن الإنسان إذا كان له ظل ممكن أن كل إنْسان يطأ بقدمه على رأسه أثناء سيره بجواره أو خلفه ، ولذلك أكرم الله عز و جل نبيه بأنه لم يجعل له ظلا ، كما أن النور الضعيف له ظل أمام النور القوي يعني الشمعة لها ظل بوجود الشمس لأن ضوءَ الشمس أقوى من ضوء الشمعة ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل لأن نوره أقوى من نور الشمس وإن كانً نوره ليس حسياً ولكنه قوته فاقت النور الحسي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه ، وقد اشتهر أنه لم يلتفت قط ، لأنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، وفي احدى المرات كان جد بني مروان لعنه الله يستهزئ بالنبي ، فكان النبي سائراً فمشى وراءه ، وأخذ يمد لسانه ، الرسول وهو يمشي لم يلتفت إليه و قال له : فض الله فاك ، فسقطت أسنانه كلها بلحظتها ، و مرة أخرى جاء الملعون نفسه و مشى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقة هزلية يقصد أن يهزأ من مشية النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كن كذلك) أي دعا عليه أن يبقى يمشي بهذه الطريقة فبقي حياته كلها يمشي و يتأرجح بشللٍ شبه كامل .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام و هو الذي كان يقول : (تنام عيناي و لا ينام قلبي) ويعني بأنه وهو نائم يكون بكامل وعيه لما يجري حوله .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع للطعام تسبيحاً في يديه الشريفتين ، لأن الطعام يسبح بين يديه فرحاً بأن أفضل و أشرف مخلوق سيأكل منه .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج منه رائحة العطر من عرقه ، وكان من يصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم يبقى لليوم الثاني يمسح على رأس زوجته وأولاده و يده معطرة من أثر مصافحته للنبي فكأنما يد النبي أخرجت من جونة عطار .

لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم طولٌ معلوم ، فإذا مشى مع الطويل طاله يعني إذا مشى مع رجلٍ عملاق صار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطول منه ، و إذا جلس كان كتفه أعلى الجالسين ، أما إذا مشى وحده فإنه يميل إلى الربعة أي لا طويل و لا قصير .

تعرفه الدواب حين يركب عليها ، فكانت تركض و تنحني له ليركبها ، كانت الدواب مأمورة و نذكر عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب (التي تغير اسمها إلى المدينة المنورة ، و ذلك بعد أن شرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام فيها) و صار الناس كل واحدٍ يطلب من النبي أن يسكن قربه فقال دعوها (الناقة) فإنها مأمورة ، ووقفت قرب منزل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه وخرج أبو أيوب فَرِحاً و يقول لأمه وكانت عمياء إن رسول الله جارنا ، وكان الناس يقولون

ويرددون (طلع البدر علينا) لشدة جمال النبي والنور الذي يخرج من وجهه ، فقالت والدة أبو أيوب الأنصاري : يا ليتني أراه فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينيها فارتدت بصيرة .

كانت الأرض تبتلع ما يخرج من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضلات وفضلات النبي صلى الله عليه وسلم طاهرة ، والذباب و الحشرات لم تكن تقترب من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن صفاته صلي الله عليه وسلم ، ما وصفته أم معبد في حديثه بعد البعثة فقالت : إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم علاه البهاء ، حلو المنطق فصل لا قدر ولا هذر وكأن منطقه خرزان نظم ينحدر .

حين جاء هرقلْ كتاب النبي صلي الله عليه وسلم يدعوه إلي الإسلام ، أحضر من وجد في بلده من قريش وفيهم أبو سفيان يسألهم عن حاله ، فكان فيما سأل قال بم يأمركم ؟ فقال أبو سفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف إلي آخر ما سأله فأجابه فقال " إن يكن ما تقوله حقاً فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين " .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم أكل البطيخ بالرطب " الترمذي .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " كان أحب الشراب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم الحلو البارد " ، وعن بن عباس رضي الله عنهما أنه قال عنه صلي الله عليه وسلم " كان إذا شرب تنفس مرتين " رواه الترمذي وبن ماجة وروي البخاري عن تمامة بن عبد الله قال " كان أنسُ بن مالك يتنفس في الإناء ثلاثا ، وعن أنس بن مالك قال" كان رسول الله يعيد الكلمة ثلاثا لتُعقل عنه " البخاري والترمذي والحاكم .

وعن جرير بن عبد الله قال " ما حجني رسول الله صلي الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك " البخاري ومسلم وفي رواية أخري ولا أراني إلا تبسم " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال" نعم غير أني لا أقول إلا حقا " الترمذي والبخاري وأحمد .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان إذا آوي إلي فراشه قال " الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مأوي له " مسلم وأبو داود والترمذي .

وعن المغيرة بن سائبة رضي الله عنه أنه قال "قام صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي انتقعت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول أفلا أكون عبدا شكورا " الشيخان والنسائي والترمذي .

وعن عبد الله بن شفيق قال " سألت عائشة رضي الله عنها عن صيام رسولٍ الله صلي الله عليه وسلم قالت :كان يصوم حتي نقول قد صام ، ويفطر حتي نقول قد أفطر ، قالت : وما صام رسول الله صلي الله عليه وسلم شهرا كاملا منذ أن قدم المدينة إلا رمضان " مسلم والنسائي والترمذي

وعن أبي سلمة رضي الله عنه عن عائشة أنها قالت "لم أر رسول الله صلي الله عليه وسلم يصوم في شهر أكثر من صيامه لله في شعبان كان يصوم شعبان إلا قليلا بل كان صومه كله " رواه مسلم والنسائي .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " كان النبي صلي الله عليه وسلم يتحري صوم الاثنين والخميس " الترمذي والنسائي ، وعنها أيضاً أنها قالت " دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعندي امرأة فقال : من هذه ؟ قلت : فلانة لا تنام الليل ، فقال صلي الله عليه وسلم عليكم من الأعمال ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتي تملوا ، ولكن أحب ذلك إلي الله الذي يدوم عليه صاحبه " روه البخاري ومسلم وبن ماجه .

وعن مطرف وهو بن عبد الله بن السخير بن أبيه قال : أتيت النبي صلي الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء" رواه أبو داوود وصححه الألباني .

وعن الحسين بن علي قال : قال الحسن سألت أبي عن سيرة النبي صلي الله عليه وسلم في جلسائه فقال " كان رسول الله صلي الله عليه وسلم دائم البشر ، سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ، ولا فحاش ولا عياب ولا فاحش ، يتغافل عما لا يشتهي ولا ييئس من راجيه ، ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث المراء والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث كان لا

يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما علي رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا ينازعون عنده الحديث ، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتي يفرغ حديثهم عند حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون ، ويصبر للغريب علي الجفوة في منطقه ومسألته ، ويقول " إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأوفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع علي أحد حديثه حتي يجوز فيقطعه بنهي أو قيام " أخرجه البيهقي في دلائل النبوة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " إن النبي صلي الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها " البخاري ومسلم .

وعن الشعبي عن بن عباس أظنه قال : (إن النبي صلي الله عليه وسلم احتجم علي الأخدعين وبين الكتفين وأعطي الحجام أجره ولو كان حراماً لم يعطه) مسلم والبخاري بطريق آخر .

وعن محمد بن جبير بن مطعم بن عدي عن أبيه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي " رواه الشيخان .

وعن بن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول " من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة ، فقالت عائشة رضي الله عنها " فمن كان له فرط من أمتك ؟ قال فأنا فرط لأمتي أن يصابوا بمثلي " الترمذي وأحمد في المسند .

وذكر هند بن أبي هالة ربيب النبي صلي الله عليه وسلم فيما روي عن الحسن حين سأله عن النبي صلي الله عليه وسلم فقال " كان صلي الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من اليربوع ، وأقصر من شذب ، عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيمة فرق ولا يجاوز شعره شحمة الأذن ، ومزة أزهر اللون واسع الجبين ، أزج الحواجب سوابغ في غير قرن أقني العرنين له نور يعلوه ، شم كث اللحية سهل الخدين ، ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان ، دقيق السرية كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق ، باديا متماسكا سواء البطن موصول ما

بين اللبة والسرة بشعر يرجي كالخط ، عاري الثديين والبطن مما سوي ذلك ، شئن الكفين والقدمين وسائر الأطراف ، سبط الخصب خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذ زال تقلعا ويخطو تكفؤا ، ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشي كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافضُ الطرف نظره إلي الأرض أطول من نظره إلي السماء ، جلة نظرة الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام " وخيلا جمع خال الوجه الذي يعطيه حسنا في الماء ، ربعة أقرب إلي الطويل منه إلي قصير ، الشذب البائن الطول ، الشعر المرسل الممشط ، العقيقة شعر الرأس ، الأزهر النير ، الأقني السائل الأنف ، الضليع الواسع والمشنب روافد الأشناب والمسربة خيط الشعر بين الصدر والسرة ، سنن الكفين أي أنها ذوات كم ، خمصان الأخمصين وسط القدم الذي ينزل إلي الأرض ولا تمسه التقلع رفع الرجل بقوة ، والتكفؤ التزام طريقة المشي والقصد فيه والهون والرفق ،كان صلي الله عليه وسلم حريصا علي الطيب يتطيب به دائما حتي أنه كان ينبعث عرف الطيب في مجلسه ولقائه وفي مظاهر حسه .

وكان صلي الله عليه وسلم إذا مس رأس طفل استمر العرف الطيب في رأسه ليعرف أنه مر فلمس طفلا بالريح الطيب ، ويقول صلي الله عليه وسلم " وحبب إلي من دنياكم ثلاثة النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة " وذكر إسحاق بن راهوية أن تلك رائحة بلا طيب . .

وعَنْ جابرٍ رَضْيَ اللهُ عنه قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : "مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كَمَثلِ رَجُلٍ أوْقدَ نارًا ، فجعَل الجَنادِبُ والفَراشُ يَقَعْنَ فيها وهو يَذُبُّهنَّ عنها وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ ، وأنتم تَفَلَّتونَ مِنْ يَدِي " رواه مُسلم .

وعن أم الدرداء قالت "كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا حدث بحديث تبسَّمَ في حديثه وعن جابر بن سمرة قال "كان النبي صلي الله عليه وسلم طويلَ الصمت " .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت "كان صلي الله عليه وسلم يكره أن يخرج إلي أصحابه تفل الريح وكان إذا كان من آخرِ الليل مسَّ طيبا " وعن أسماء بنت أبي بكر " أن النبي صلي الله عليه وسلم كانت له جبة من طيالسة مكفوفة بالديباج يلقي فيها العدو " ، وعن جابر بن سمرة قال " رأيت

النبي صلي الله عليه وسلم في ليلةٍ وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلي القمر فلهو أحسن في عيني من القمر صلي الله عليه وسلم " .

وعن عروة بن الزبير أنه قال "كان طول رداء النبي صلي الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعين ونصف وكان له ثوب أخضر يلبسه للوفود إذا قدموا عليه ".

وعن بن عباس رضي الله عنهما أنه قال "كان النبي صلي الله عليه وسلم يلبس بردة خضرة في كل عيد وعن أنس رضي الله عنه أنه " رأي النبي صلي الله عليه وسلم تعمم بعمامة سوداء" وعن عائشة رضي الله عنها " أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يلبس من القلاش في السفر ذوات الوزن وفي الحضرة الشمرة يعني السامنة " وعن أنس قال " لبس النبي صلي الله عليه وسلم الصوف واحتذي المخصوف ولبس خشنا وأكل بشعا فسألت الحسن ما البشع ؟ قال غليظ الشعير ، ما كان يسيغه إلا بجرعة ماء"

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " كان النبي صلي الله عليه وسلم يتختم في يمينه فقبض والخاتم في يمينه وكان الخاتم حبشيا وكان مكتوبا عليه لا إله الله في سطر محمد رسول الله سطر " .

وعن أنس رضي الله عنه قال " إن سيف رسول الله صلي الله عليه وسلم كان حنفيا ، وكان من فضة "

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال " إن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان إذا عقد اللواء عقده أبيضاً وكان لواء رسول الله صلي الله عليه وسلم أبيض " .

وعن بن عباس رضي الله عنهما قال "كان لواء رسول الله صلي الله عليه وسلم أبيض ورايته سوداء وعن عامر بن عبد الله عن أبيه بن الزبير أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يخطب ومعه مخصرة "

وعن علقمة بن عبد الله قال " نام رسول الله صلي الله عليه وسلم علي حصير فأثر في جنبه فقلنا يا رسول الله ألا آذنتنا فنبسط تحتك ألين منه ، فقال صلي الله عليه وسلم " مالي والدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ في يوم صيف فقال تحت شجرة ثم راح عنها وتركها "

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (ما عاب رسول الله صلي الله عليه وسلم طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت " ما أكل رسول الله صلي الله عليه وسلم أكلتين إلا وأحدهما تمر " ، وعن بن عباس قال : (كان أحب الشراب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم اللبن) .

وعن أنس رضي الله عنه " أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يعجبه القرع " وعن عائشة رضي الله عنها " أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يستعذب الماء ، قالت وكان أحب الشراب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم الحلو البارد " .

ولقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في وصف النبي صلي الله عليه وسلم " لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكنه يعفو ويصفح ".

وعن أنس رضي الله عنه قال "كان النبي صلي الله عليه وسلم ليطوف علي نسائه احدي عشرة امرأة في الساعة الواحدة وأعطي قوة ثلاثين " ، وعنه أيضاً قال "كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يطوف علي نسائه في الليلة ثم يغتسل غسلا واحداً " وعن أنس قال" كان رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يعود المريض إلا بعد ثلاث " وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال صلي الله عليه وسلم " الطير يجري بقدر " وكان يعجبه الفأل الحسن .

وعن بن عمر قال : كان شيب رسول الله صلي الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :كان النبي صلي الله عليه وسلم إذا اشتد وجده أكثر مس لحيته

وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ؟ فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال " رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر " متفق عليه من حديث ابن مسعود .

البلاغـــة النبـــوية

بعث الله نبيه محمد صلي الله عليه وسلم أمياً في بلد أغلبهم أميِّن لا يعرفون القراءة ولا الكتابة

ولكنهم اشتهروا بالفصاحة ، وكانت اللغة هي صناعتهم يقدرون قيمة الكلمة ومعناها وفحواها ، وقد تربي النبي صلي الله عليه وسلم في بني سعد ، حيث مرضعته حليمة السعدية وسط شعاب مكة وجبالها ، وهو ما كنت تقوم به العرب لأولادها لتصلح لهم الأبدان واللسان وقد صح بذلك النبي

لسان صلي الله عليه وسلم بحكم نشأته بدنيا ولغويا إلي جانب ما أعطاه الله من نور البصيرة وصفاء القلب ،كل ذلك جعل منه صلي الله عليه وسلم أبلغ البلغاء علي الإطلاق ، قال تعالي " وما أرسلنا من رسول إلا بلسانِ قومه ليبين لهم ". سورة إبراهيم ، فكان اختيار الله له علي هذا النحو هو أمر طبيعي فالبشر لا يقتنعون إلا بالمتميزين أو من يلفتون انتباههم فكيف مثلا بنبي عيي وسط قوم بلغاء كيف يلتفتون إليه ويهتمون بأمره ، ويكون هو قائدهم ومغير عقيدتهم التي هي من الأمور التي يصعب علي الفرد أن يغيرَها إلا بصعوبة بالغةٍ وباقتناع شديد ، وربما ضحي بحياته كلها من أجل معتقداته الباطلة والتي يظن أنه علي الحق وأن الآخر علي الباطل .

ولكن هل بلاغة النبي صلي الله عليه وسلم كانت في نثره أم أنه يميل إلي الشعر؟

و من البديهي أن الشعر يتنافي مع النبوة ومع متطلباتها وهو يعتبر عيبٌ في حق النبي ، ومن هذا نجد ذلك في قول الله تعالي " والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون " وكان هذا بعد أن اتهمته قريشٌ بالشعر ، فانتساب الشعر إلي النبي صلي الله عليه وسلم هو تهمة وادِّعاء لأن الشعراء متقلبوا المشاعر ، بعيدوا الخيال لا يُصدقون في ما يقولون ، وهذا من صناعتهم التي محورها الخيال وعدم الواقع فكيف بنبيٍّ أن يكون شاعرا سيخاف العقلاء أن يتبعوه بل سيجدون ذلك وسيلةً قوية للتشهير به ، وخاصة في بلدٍ هي أصل الفصاحة وموطن اللغة .

إن اختيار الله تعالي لأن يكون نبيه شاعراً هو أمرٌ من ضروب الخيال بل هو عدم عقلانية ، لأن الله قد اختاره علي عينه ، وكان النبي صلي الله عليه وسلم أميَّاً ومع ذلك علم البشرية كلها ، كان لا يكتب ولا يقرأ ، وظل علي هذا النحو حتي بعد أن أصبح نبيا وهو يعلم أصحابه الذين يقرءون ويكتبون ، و في غزوة بدر جعل صلي الله عليه وسلم الفداء من الأسر بأن يقوم الفرد من أسري المشركين من المتعلمين بتعليم عشرةٍ من المسلمين القراءة والكتابة ، ولم يفكر صلى الله عليه وسلم أن يتعلم القراءة ولا الكتابة .

ونجد أن ذلك أفضل بل هو اختيارٌ من الله لذلك لأنه لو كان صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب لظن البعض أن ما يأتي به من قبيل النقل أو التأثر بالآخرين السابقين ، دافعاً إلي التقول في رسالته

وعدم الصدق فيه ، حتي لا يقال أن ما يعلمه وما ينطقه وما يرويه عن ربه مكتوبٌ أو منقول ، أو حتي يقال إنه أضاف فيه ، خاصةً وأن معجزته كانت هي القرآن أي الإعجاز اللغوي والبياني ، وأنه نشأ في بلد الفصاحة والبلاغة ومع كل هذا كان أفصح العرب .

نثر النبي صلي الله عليه وسلم بعيدٌ عن التأثير الوجداني والإيقاع الموسيقي ، بل نقول إن الشعر ميدان ذلك وموضوعه ، فصاحبه غير مطالبٍ في أكثر الأحوال بالتزام التدقيق .

ويقول مصطفي صادق الرافعي : والذي عندنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنع إقامة وزن الشعر في إنشاده إلا أنه منع من إنشائه ، فلو استقام له وزن بيت واحد لغلبت عليه الفطرة القوية فخرج الإنشاد وخرج بذلك لا محالة إلي القول والاتساع وإلي أن يكون شاعرا ، ولو كان شاعرا لذهب مذاهب العرب التي تبعثه عليها طبيعة أرضهم ، ثم لا يكون من جملته إلا أن يصرف عن الدعوة وعما هو أزكي بالنبوة وأشبه بفضائل القرآن لأنه تعالي يعلم من غيب المصلحة لعباده أنه صلى الله عليه وسلم لو أقام وزن بيت لأمال به عمود الدين ، ثم تصدع الأساس الاجتماعي العظيم الذي جاء به القرآن .

ويقول عبد القاهر الجرجاني ويبقي أن نعلم أنه ليس المنع في ذلك منع التنزيه والكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام إياه سبيل الخط ، حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب فإن لم يكن المنع من أجل كراهة كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهي وأبهر والدلالة أقوي وأظهر ولتكون أفخم للجاحد ، وأقمعْ للمعاند .

إذا تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جاء بما أعجز به الشعراء بعد بكلامه عن الشعر ، ولكن أية حجةٍ في أن يكسرَ بيتا فيلحقه من سامعيه ما يسيء ، لا عيب عند العرب إطلاقا ولكن العيب أن تنطق بيتا من الشعر فلا تقيمه ، وأنت كسائر الرجال فكيف إذ كنت أفخم البلغاء أكان الذين يحرصون علي نسبة ذلك إلي رسول الله يتعبدون بالروايات المنقولة و دون تمحيص لقد رأينا كتب السيرة تجمع علي أن رسول الله قد أنشد أبياتاً صحيحة من الرجز لعبد الله بن رواحة يوم الخندق .

إن الرجز في أصله ليس بشعر ، وإنما هو وزن السجع ، وهو يتفق مع الصبيان هؤلاء لا يقال لهم شعراء والرأي عندي : أن الشعر يتنافي مع أمية النبي الذي ينظر المعارضون في الإسلام أنه يأتيه شيطانٌ يمده بالشعر ، ولن يتفق حاله مع الدعوة حيث أن الشعر من الأمور التي لا تأتي إلا بالدأب والاستمرار والمحاولات ، ولو نسب ذلك إلي النبي صلي الله عليه وسلم أي شعر وقيل إنه شاعر لكن ما قاله وهو من قريش أفصح العرب نظر إليه أنه أسطورة أو خيال ، فلو قال مثلا : أسري بي الليلة لالتفت حوله الأمم ولكن ليس للتصديق بكلامه ، ولكن علي أنه يأتي بطريقة أدبية تتناقلها الألسنة ويلفظها السمار في أحاديث المجون وأوقات الفراغ ، ولن يحارب مثلما فعل بكثير من الشعراء ، ولنتذكر قول الله تعالي "وقالوا شاعر نتربص به ريب المنون " سورة الطور ، حيث أن الكلام إذا خرج من الشاعر ولم يتفق مع الأذهان سمع له الناس وأنصتوا ، ولكنهم في داخلهم يقولون عليه مجنون ، وانتظروا له الموت ، خاصة إن كان يأتي بما لا يستسيغه العقل وإن كان له منهجاً مخالفا لهواهم ، فهم لا تطوعهم نوسهم بقتله لأنه هوائي ولا يستطيعون ترويضه ، فيتركونه لهواه ، ويتربصون به كأس الموت يتجاهلونه حتي يأتي اليوم الذي تتطوي صفحته ، ويتخلصوا من جموحه وهواه ، أما ما يسمعون منه إن جاء علي هواهم فهو لا يرقي إلي مرتبة المتعة وأحاديث السمر ولكن لا يتخطي هذه المكانة بينهم ، حيث أنهم لم يتعودوا منه صدقاً وتعودوا منه الطريفة والكلام الممتع ، فكيف يكون هذا الشخص المليح الكلام مثاراً لأثقال النفس ، ثم إن طائفة الشعراء فيهم الصالح والطالح ومنهم الشريف والخسيس والجميع يعرف ذلك ، منهم الغني والفقير فكيف بمصلحٍ لأمة أن يكون شاعراً ، ويكون حاملا لرسالة السماء ، فلا بد أن لا يهتم أحدٌ به ولا بكلامه ، لأن من انتسب إلي طائفة تميل إلي الهوي لا يمكن أن يتفق الجميع عليه بالصلاح ولنتخيل إنساناً تربي في بيئة فاسدة الأب والأم والأجداد كانت فيهم نوازع الإجرام فلو أظهر ذلك الشخص الصلاح لما اقتنع به أحد ، وفي مكة يتجمع المبدعون من بقاع الأرض ليتنافسوا وهم أهل البيان والسحر اللغوي ، فكيف يعجزهم فرد أدني منهم منزلة ؟ وهل الشعراء يمكن أن يصبح منهم القادة وهم منغمسون في الخمر والنساء والهوي والخيال ، كيف يتقبل الناس منهم نصيحة أو أمر ومن طائفتهم الشواذ والمنحرفون ، والشعر حرفةٌ وهواية ورعاية بينما الفصاحة تربية ونشأة .

إن عبقرية الشعر في طرافته وخياله ووجدانه ونظمه ، أما فصاحة النثر فإنها أكثر تكديسا وأعظم صورا وإثراءً للغة وأورع للكاتب أو القائل ، فلا بد بمن أوتي جوامع الكلم أن ينطلق من لسانه طريفة شعرية ولكن مقامها كان هو الداعي لذلك فعبقرية النبي صلي الله عليه وسلم تجلت في هذا الموقف الذي تخلي عنه فيه أصحابه وأصابهم الغرور واجتمع قول عدوه بأنه شيطان الجزيرة ، يريدون قتله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائد الأمة وأفصح العرب ، إذا صدر منه في وقت تضيع فيه العقول ويصاب غيره فيه بالإحباط والجنون بيتٌ أو بعض أبيات فإن ذلك من تمام الفصاحة حيث لو قال الكلام العادي له لأصبح متكافئاً ، مثل الذي قال "ما لكم تكأكأتم علي كتكأكئكم هذا افرنقعوا عني " في مقام وقع فيه من علي حماره هو وابنه وادعَّي الفصاحة والبيان ، أما الشعر فهو مقام انفلات التأثير فما بالك بمقامٍ يصدر فيه انفلات العقل ، كما لا يمكن أن يقال بأن ما قاله صلي الله عليه وسلم من الشعر نسبه إلي شعره فإن القصيدة الشعرية لا تقل عن سبعة أبيات ، فلو خَرجَ من فردٍ بيتٌ لا يعد شعراً لأنه لم يكن ضمن قصيدة أو عدة جمل ، ونحن نعرف أن الشعر يوجد فيه الوزن بجانب قافيته فهناك ما يُسمَّي بالصورة الشعرية ، فكيف تكونت هذه الصورة عند النبي صلي الله عليه وسلم في بيت واحد ؟

إن هذه الأبيات دليل علي عبقرية النبي صلي الله عليه وسلم ، وهي تنسب إلي ذكائه الفطري وحصيلته الفذة من اللغة وعلمه بمدارك النفوس ، وكونه يصدر بيتا أو عدة أبيات لا ينسب إليه أنه كان شاعرا مثله مثل من قام بإصلاح جزء من منزله وقت الضرورة ، مع أنه ليس متخصصا فليس معناه احترافه للشعر ، وما قيل عنه أنه يلحن في الأبيات هذا هو المفروض والمتوقع منه صلى الله عليه وسلم حتي لا ينسب إليه وهو رسول الله أنه يحفظ الشعر أو يهتم به ، فإن إكباره للشعر إنما هو خفض لكيانه اللغوي ولمستواه البلاغي ، وكيف يكون معجزته القرآن العربي المبين من أعجز الفصحاء ، ثم هو ينقل عن الآخرين أبياتاً شعرية ، وكيف يكون هو أبلغ البلغاء ويتباهي أنه ناقل لأشعار الآخرين ، وكيف ينقل الحكمة وهو سيد الأمة ؟ وكيف ينثر الطريف وهو رسول الإنسانية ومعلمها ؟ إنه ترفع وليس كبر ، ترفع العمالقة عن النزول إلي مستوي أقل من مستواهم ، ومع ذلك

فلم يترفع صلي الله عليه وسلم عن السماع للشعر ، وكان يسمع قريش وهم يهجون ولو لم يكن محيطاً بالشعر .

جاء في كتاب البيان والتبيين نقلا عن كتاب التصوف الإسلامي تحت باب ذخائر منسية في الأدب الصوفي ما نصه " نتكلم في هذا الفصل عن طرائف من الأخيلة والمعاني والصور لم يهتم بها رجال الأدب لم يضعوا ولم يحسبوا لها أي حساب ، ولعل السر في إغفال مؤرخي الأدب لهذه الفنون أنهم لم يضعوا البلاغة الصوفية في الميزان ، لأن الصوفية انحازوا عن صحبة الأدباء ، ولأن الأدباء أنفسهم أقبلوا علي الصور الحسية إقبالا شغلهم عن الأدب الذي يصون أحوال الأرواح فظنوا أدب الصوفية بعيدا عن مجال التشبيب والوصف والحماسة والعتاب ، ولو أن رجال الأدب وعلماء البلاغة نظروا في الأدب الصوفي نظرة جدية لاتخذوا منه شواهد في المجازات وتشبيهات ولرأوا فيه كلمات مثيرة تصلح نماذج لصلابة المعني والغرض ولكنهم انصرفوا عنه فلم نري في مؤلفاتهم غير شواهد من كلام الشعراء والخطباء والكتاب الذين سبقوا في ميادين غير ميادين الأرواح والقلوب .

وكان النبي صلي الله عليه وسلم هو الداعي الأول إلي الأدب الرباني وحسن الدعاء ، ومع ما بلغ من أدب وبيان سار بعده المسلمون الأفاضل يحملون رسالته ، مثل قول بن عمير " قلما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلسه حتي يدعو بهذه الدعوات لأصحابه " اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوّنُ به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا علي من ظلمنا ، و لاتجعل مصيبتنا في ديننا وانصرنا علي من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا "

ومن الذين خاضوا في الأدب النبوي من أعظمهم الشريف الرضي والجاحظ وبن الأثير ومن المعاصرين الرافعي والعقاد والزيات ثم الدكتور محمد رجب البيومي ، ومن ما يقوله الجاحظ سنذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسبقه إليه عربي ولم يشاركه أعجمي ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد ما صار مستعملا ومثلا سائراً ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "يا خيل الله اركبي" و وقوله " كلُّ الصيد في جوف الفرا " وقوله صلى الله عليه وسلم " هدنة علي دفن وجماع علي فراء " ، وهذا

الكلام الذي ألقي الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع ما بين المهابة والحلاوة بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلي معاودته ، لم تسقط له كلمة ولا زلَّت له قدم ، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير إلي أن قال : ولم أرهم يذمون المتطرف والمتكلف للغناء ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يذمونها .

وقد وضع الشريف الرضي كتابه الذي يهتم فيه بالمجازات اللغوية بأسلوب شيق وحمل الكلام علي معانيه المختلفة وهو ما يضعه في السبق ، ومن ذلك قوله عليه السلام في وصيته لأمراء الجيش الذي بعثه إلي مؤتة " ستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف " وهذه من الاستعارات العجيبة والمجازات اللطيفة وذلك إن من كلام العرب أن يقول القائل منهم إذا أراد أن يصف إنسانا من شدة الارتكاس في وعيه والارتكاض في عينه قد فرخ الشيطان في رأسه أو عشعش الشيطان في قلبه ، فذهب عليه السلام إلي ذلك أي موضع ، وسمي مفحص لأن القطاة لا تجثم فيه إلا بعد أن تَفْحَصَ التراب عنه توطئةً لجثمها وتمهيداً لجسمها ، ويقال ما بقي بفلان مفحص قطاة إذا لم يبق له رِبع يؤويه ولا جرن يكون فيه ، فيحتمل قوله عليه السلام للشيطان في رؤوسهم مفاحص أحد معنيين أن يكون أراد أن الشيطان قد بدأ يخدعهم ولم يبلغ غايةً كالقطاة التي بدأت باتخاذ المفاحص لتبيض به وترتب فرخها فيه ، والمعني الآخر أن يكون قد أراد أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مبركا ومعلما ومتمسكا كما تتخذ القطاة مفحصا لتأوي إليه وتسكن فيه .

ومن من كتب في البيان النبوي بن الأثير ، و مع ما قيل عنه وإلا أن ذلك لا يجعل بن الأثير صاحب مزية كبري في الحديث عن بيان محمد صلي الله عليه وسلم .

ويقول مع أن كبار الثائرين سواء الجاحظ وبن المقفع وبن حيان والخوارزمي والهمذاني قد اقتبسوا من أدب الرسول صلي الله عليه وسلم ، فإن الشعراء أيضا قد حازوا هذا الشرف وكنت أقرأ قريبا كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري فرأيته يذكر نصوصا كثيرة نثرية وشعرية ويسيرها إلي مصدرها من الأدب ومن ذلك في باب الاقتباس الشعري قول عمر بن أبي ربيعة

خرجت غداة النحر اعترض الدمي فلم أر أحلي منكَ في العينِ والقلبِ

فو الله ما أدري أحسناً رزقته أم الحب يعمي مثل ما قيل في الحب

قول أبو هلال فإنه مأخوذ من قوله صلي الله عليه وسلم (حبك الشيء يعمي ويصم)

وقال الشاعر وأغببت الزيارة لا ملالاً ولكن من محاذرة الملال

قول أبو هلال تعليقاً عليه وهنالك مأخوذ من قوله صلي الله عليه وسلم ألا إن هذا الدين ميسرا فادخلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي " .

ومن من كتبوا أيضا العقاد ، قال : أما محمد فإن جمال فصاحته في نطقه كجمال فصاحته في كلامه وخير من وصفه بذلك عائشة قالت " ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين هذا وذاك" ، وهناك روايات مدخولة تنص علي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان لا يقيم وزن الشعر حين ينشده فإذا أنشد مثلا قول طرفة

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار مالم تزود

يقول من لم تزود ، وإذا أنشد قول العباس بن مرداس

أتعلم نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرعِ

قال بين الأقرعِ وعيينة ، تنص الروايات المدخولة علي ذلك .

أيكون أفصح خلق الله لسانا وأنصعهم بياناً غير قادر علي إلقاء بيت الشعر ، فلا مجال للخلاف في تحريمه علي النبي صلي الله عليه وسلم ، فأنا معترف بأن ما ورد من مثل قوله صلي الله عليه وسلم

أنا النبي لا كذبْ أنا بن عبد المطلب

فإنما جري علي لسانه صلي الله عليه وسلم عفوا دون ارتضاء لنظمه أو احتشاد لصوغه .

مثاله هناك أبيات من القرآن الكريم يمكن أن تنسب إلي بحرٍ من البحور دون أن تساق مساق الشعر بحال تلك مشيئة الله في بعد محمد صلي الله عليه وسلم عن نغم القصائد ورنين الأوزان ، حيث ليس معناها مناقضة الطاعنين الهاجين ، وليس في ذلك خروج عن سنن الإسلام ، لأن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ، وقد ظلم المسلمون حين قام شعراء الشرك بدعايتهم ضدهم وليس شيء أشهر ذكرا ولا أحصي سيرا من الشعر ، فكان من حق الدعوة الجديدة أن يدافعَ عنها قادة الشعر بما يرد علي المشركين كيدهم .

وقال الشعبي : لما كان عام الأحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، جاء المشركون ببعض شعرائهم لهجاء النبي صلي الله عليه وسلم ، وطلب النبي صلي الله عليه وسلم أن يقوم من يدافع عن نبيه شعرا بشعر ، فقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله ، فقال " نعم اهجهم أنت فإنه سيعيننا عليهم روح القدس " .

وروي الزبير بن بكار قال " مر رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فسمع رجلاً ينشد في بعض أزقة مكة :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف

فقال النبي صلي الله عليه وسلم " يا أبا بكر أهكذا قال الشاعر ؟ قال : بلي يا رسول الله هكذا كنا نسمعها " ، وقال صلي الله عليه وسلم (إن من الشعر لحكمة) فقولهم : إن محمدا شاعرا فيما يتأوله عليهم من الذكر يرخصه أن الله لم يعلمه الشعر الذي نسبوه إليه ، وقد استنبط بن رشيق من ذلك أن هذا الوحي القرآني يوحي بتعظيم الشعر لا بتحقيره ، لأن القرآن بسرده المحكم قد ارتفع عن أجمل نسق تتيه فيه العرب من القول وهو الشعر ، ولولا أن الشعر مظنة التأثير والإبداع ما نسب هؤلاء العصماء قرآن محمد إليه .

ومن البديع في قول النبي صلي الله عليه وسلم " خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها "

وقوله صلي الله عليه وسلم : " ربنا تقبل توبتي واغسل حوبتي "

وقوله صلي الله عليه وسلم (غاب عليكم داء الأمم قبلكم ، الحسد والبغضاء وهي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر) ، وقوله صلي الله عليه وسلم (الناس كإبل مائة لا تجد راحلة) وكقوله صلي الله عليه وسلم " وهل يكب الناس علي مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم "

ومن بديع الاستعارة قوله صلي الله عليه وسلم (نصرت بالرعب ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وليدخلن هذا الدين علي ما دخل عليه الليل) .

ومن البديع والمقابلة قوله صلي الله عليه وسلم " إنكم تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع "

ومن التجنيس قوله صلي الله عليه وسلم " أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله " وكقوله صلي الله عليه وسلم " الظلم ظلمات يوم القيامة " وقوله صلي الله عليه وسلم " لا يكون ذو الوجهين وجيها عند الله "

ومن جوامع تشبيهاته وتمثيلاته قوله صلي الله عليه وسلم " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين "

وقوله صلي الله عليه وسلم (إياكم وخضراء الدُّمن) وقوله صلي الله عليه وسلم (إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقي) ، وقوله صلي الله عليه وسلم " لا ترفع عصاك عن أهلك "

وقوله صلي الله عليه وسلم (الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة)

وقوله صلي الله عليه وسلم (المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا)

وقوله صلي الله عليه وسلم (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)

وقوله صلي الله عليه وسلم "مثل أصحابي كالملح لا يصلح الطعام إلا به "

وقوله صلي الله عليه وسلم (أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره أيما وقع نفع)

وقوله صلي الله عليه وسلم "الدال علي خير كفاعله "

وقوله صلي الله عليه وسلم (عمالكم أعمالكم وكما تكونوا يولي عليكم)

وقوله صلي الله عليه وسلم (وعد المؤمن كأخذ باليد)

وقوله صلي الله عليه وسلم (إن القلوب لتصدا كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار)

ولما كتب عقد المهادنة بينه صلي الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو قال " إن العقد بيننا كشرح العيبة إذا انحل بعضه انحل جميعه " ومن استعاراته صلي الله عليه وسلم " جنة الرجل داره "

وقوله "نعم الختن القبر " وقوله صلي الله عليه وسلم "المؤمن مرآة أخيه "

وقوله "دفن البنات من المكرمات " وقوله أيضاً "من كنوز البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة "

وقوله صلي الله عليه وسلم " داووا مرضاكم بالصدقة "وقوله أيضاً "حصنوا أموالكم بالزكاة "

وقوله صلي الله عليه وسلم "صدقة السر تطفئ غضب الرب" وقوله " قد جدع الحلال أنف الغيرة " ، وقوله : " العلماء ورثة الأنبياء " وقوله "إن التوبة تهدم الحوبة "

وقوله "ملعون من هدم بنيان الرب " يعني من قتلَ نفساً" .

وقوله " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " وقوله " تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة "

وقوله صلي الله عليه وسلم " من ضحك ضحكة مج من العقل مجة "

وقوله صلي الله عليه وسلم (اتقوا دعوة المظلوم فإنها لينة الحجاب) وقوله (الشتاء ربيع المؤمن) وقوله صلي الله عليه وسلم (المؤمن قصر نهاره فصام وطال ليله فقام)

وقوله (الاستماع إلي الملهوف صدقة) وقوله (الحكمة ضالة المؤمن)

وقوله صلي الله عليه وسلم "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " وقوله صلي الله عليه وسلم " أكثروا ذكر هادم اللذات " يعني الموت " .

ومن مطابقاته صلي الله عليه وسلم قوله :"حياة السخي بعد موته "

وقوله صلي الله عليه وسلم "إن الله يبغض البخيل " وفوله " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا "

وقوله " احذروا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره " وقوله " انظروا إلي من تحتكم ولا تنظروا إلي من فوقكم " وقوله صلي الله عليه وسلم " إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع "

وقوله (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وقوله " المؤمن من أمنه الناس علي أنفسهم وأموالهم " وقوله " لا إيمان لمن لا أمان له "

ومن فوائد كلامه صلي الله عليه وسلم (زر غباً تزدد حباً) وقوله (الحربُ خدعة)

وقوله (ما قل مال من صدقة) ، وقوله "ما مال من اقتصد " وقوله " المؤمنون عند شروطهم "

وقوله صلي الله عليه وسلم "يد الله مع الجماعة " وقوله لا جباية إلا بحماية "

وقوله صلي الله عليه وسلم (الهدية مشتركة) وقوله (ترك الشر صدقة)

وقوله " الحياء شعبة من الإيمان " ، وقوله صلي الله عليه وسلم "ابدأ بمن تعول "

وقوله " تخيروا لنطفكم " ، وقوله صلي الله عليه وسلم "اتقوا الملاعن "

وقوله "خير الأمور الوَسَط " وقوله " من غشنا فليس منا "وقوله يضاً "إياك وما يعتذر منه"

وقزله "الليل أمان "وقوله صلي الله عليه وسلم "من بدا جفا " وقوله : (حدِّثْ عن البحر ولا حرج)

وقوله صلي الله عليه وسلم "كلٌّ ميسر لما خلق له " ، وقوله " كرم العهد من الإيمان "

وقوله صلي الله عليه وسلم " الوحدةُ خيرٌ من رفيق السوء "

وقوله صلي الله عليه وسلم " البركة في البكور " وقوله " بروا أرحامكم ولو بسلام "

وقوله صلي الله عليه وسلم (اليقين حنث أو مندمة) وقوله أيضاً (الندم توبة) و(الموت راحة)

وقوله " لا يكون المؤمنُ طعَّاناً و لا لعَّاناً " وقوله "دع ما يريبك إلي ما لا يريبك "

وقوله " من كثر سواد قومه فهو منهم " وقوله صلي الله عليه وسلم "انصر أخاك ظالما أو مظلوما "

وقوله " المرء علي دين خليله " ، وقوله "لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف "

وقوله (المستشيرُ مُعان والمستشار مؤتمن)

وقوله (لا خير في بدنٍ لا يألم أو مال لا يزكي) و قوله (خير المال عين ساهرة لعين نائمة)

وقوله (أنزلوا الناس منازلهم) وقوله صلي الله عليه وسلم (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)

وقوله (اليد العليا خير من اليد السفلي) وقوله (من مات غريباً فقد مات شهيدا)

وذكر صلي الله عليه وسلم الخيل فقال " الخيل معقود بنواصيها الخير "

وقوله صلي الله عليه وسلم (الإناث مسمعها معاش وصوفها رياش) يقصد الغنم

وقوله صلي الله عليه وسلم فيما رواه زيد بن ثابت (نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلي من لم يسمعها فرب حامل فقهٍ لمن لا فقه له ورب حامل فقه إلي من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن ، وإخلاص العمل لله والنصيحة لأولي الأمر ولزوم الجماعة ، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمةٌ ، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له)

وهذا الكلام الذي ألقي الله تعالي المحبة عليه وغشَّاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الفهم وقلة عدد الكلام ، وهو مع استغنائه عن إعادته وقلة حجة معاديه ، فلم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب ، يبدأ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس إسكات الخصم ، إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعمل ولا يسهب ، ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أتم نفعاً ولا أحسن موقعاً ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ، ولا أوضح في معناه ، ولا أبين في فحواه من كلامه صلي الله عليه وسلم .

وقد وصفه الجاحظ فقال : الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجلَّ عن الصفة ونزه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي

ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه ، ولم يتكلم إلا بكلام حف بالعصمة ،، وشد بالتأييد ويسر التوفيق .

وقال القاضي عياض في وصف فصاحته صلي الله عليه وسلم :أما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلي الله عليه وسلم من ذلك بالمحل ، فصاحة لفظ وجذالة قول وصحة معان وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلام وخص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة بلسانها .
ويحاورها بلغتها ويباريها من منزع بلاغتها ، حتي كان كثيرٌ من أصحابه يسألونه في موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، ومن تأمل حديثه وسيَرَه علم ذلك ، لبس مع قريش والأنصار وأهل الحجاز وقطن بين حارثة العلمي والأشعث بن قيس ، ووائل بن حجر الهندي ، وغيرهم من قبائل حمير وملوك اليمن ، صلي الله عليه وسلم

قال القاضي عياض : ولا قدر أحد أن السجع جاء في كلامه صلي الله عليه وسلم ولكنه سجع غير مقصود بل هو من إحكام القول ، فمثلا قوله عليه الصلاة السلام " حمي الوطيس" ومات حتف أنفه "ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين "والسعيد من وعظ بغيره" ، خلو كلامه صلي الله عليه وسلم من الصناعة البديعية فهو بديع في ذاته من غير صناعة ، وقد يجئ أحياناً في كلام النبي صلي الله عليه وسلم مثل قوله (رحم الله عبداً قال خيرا فغنم أو سكتَ فسلم) ، ولا شك أن فيه سجع أو ما يقرب منه ولكن التكلف غير موجود .

التكرار : لقد لاحظنا في دعوته صلي الله عليه وسلم وفي أحاديثه الكثير من الأحاديث التي تحمل معني واحد وهدفا واحدا ، ولكن بأساليب شتي وطرق مختلفة وكل هذا من أساليب الإيضاح والإفهام فالنبي صلي الله عليه وسلم يخاطب العامة ، حتي يصل غرضه المنشود إلي النفوس جليا واضحا .

وما قالت به النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا وغيرها من الدعوات في شتي بلاد العالم ، إلا بسيلٍ جارفٍ من التعبئة يعتمد علي التكرار والترديد ، وربما كان ذلك أدعي إلي الملل والسأم ،حتي لربما

أدي ذلك إلي الانصراف إلي وجهة أخري ، أما محمد صلي الله عليه وسلم كما وضحنا فلم يظهر التكرار في كلامه مرة واحدة في حياته فأساليب التنوع من التوضيح والبيان تفوق أي وصف .

وكان عليه السلام يكره سجع الكهان الذين يخدعون به السامع ليوهموه أنه يستمع طلاسم السحرة والشياطين ، ولكنه لم يكن صلي الله عليه وسلم يأبي السجع البتة ، ولا يخلو كلامه من سجع يأتي علي السجية ويغلب أن يكون ذلك فيما يرسل علانية كالآذان وما هو في حكمه أو فيما يحفظ من الوصايا الجامعة كقوله صلي الله عليه وسلم (ما بال أقوامٍ يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله حق ، وشرط الله أوثق ، وإنَّما الولاءُ لمنْ أعتَقْ) وقوله صلي الله عليه وسلم (إنَّ الله حرَّمَ عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، وكره قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال) . ومذهبه في هذه الحلية مذهبه في كل حلية تليق بالرجل فحولة في القول ، وفحولةً في الزينة ، يقول الدكتور محمد زهرة في كتابه خاتم النبيين : لقد اهتم العصر الحديث بالدعوة وأطلق عليها كلمة إعلام ، ومنذ قريب كنا نجد الكتب العالمية تبدأ وتعيد أساليب البروباجندة مفصلة كل لفظ منه موضوع في معناه ، لو أردت أن تغيره ما طاوعك المعني ، فهل يمكن أن تغيِّرَ كلمة غنم مع ما فيها من ثروة في المعاني بغيرها يؤدي مؤداها ويكون نفس المعني ، وكذلك الأمر إذا أردت استبدال مسلم مع ما يربي إليه من سلامة العرض واللسان والقوة وتوفير العقل والابتعاد عن لجاجة القول ، فإنه صلي الله عليه وسلم لا يقول إلا حكما ولا ينطق إلا فضلاً ، وتلك غاية قوله فإن كانت حلية فهي الحلية التي لا تكلف فيها ولا استكراه في نسقها ، أو محاولة الصناعة التي تغطي الكلام الفطري وتغشاه من ضجيج الأوزان.

والجمال الفطري في القول والحسن اللفظي من غير تحسين ، بل السجع الذي يكون كسجع الحمام يأتي من غير إعمال ولا قصد إليه في بيان الحقائق الشرعية ودقيق المعاني الفقهية ، يقول النبي صلي الله عليه وسلم " ما بالُ أقوام يشترطونَ شروطاً ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله تعالي فهو باطل ، وإن كان مائةُ شرط قضاء حق الله حق ، وشرط الله تعالي الوثاق ، وإنما الولاء لمن عتق " ألا تري أنه كلام جميل ، جاء في نَسَقٍ محكم ، والحسن فيه بادٍ من غير تحسين

والجمال فيه بارزٌ من غير تجميل ، وهو مع كل هذا فقهٌ عميقٌ يدرك فحواه الفقهاء ، ويعرف معناه الخبراء .

أحداث متتالية في أواخرحياة الرسول صلي الله عليه وسلم :

بعد غزوة حنين جاءت له الوفود من القبائل تعلن إسلامها وجاءت ثقيف التي استعصت عليه وجاء سيدها يعلن الولاء ، فرد إليه صلي الله عليه وسلم ماله ونساء أولاده وأهداه مائة من الإبل فما كان من الرجل إلا إن أعلن إسلامه فتبعه عدد من سادة ثقيف وتشجع المستضعفون فيها فدخلوا الإسلام جميعا ، وعلم النبي صلي الله عليه وسلم أن هرقل يستعد لحربه فاستعد للقائه ، ونادي في الناس بأن يتبرعوا للقاء العدو ، وأقبل المسلمون ليجهزوا جيش العُسْرة الذي يحتاج إلي عدد كبير من الجنود والمال والزاد فالمسافة طويلة من المدينة إلي بلاد الروم وحدثت الفتنة وشكك المنافقون ليمنعوا الناس من الحرب في الحر وقتال الروم ، وتخاذل البعض وانطلقت الأغلبية وبعد سبعة أيام بلغوا حدود الدولة ثم اندفعوا إلي تبوك وكانت ضجة الجيش قد روعت البقر الوحشي ، فدخل المدينة وكان ملكها يحب الصيد ففر الصيد ليلاً ، ولكن خالد بن الوليد تبعه هو وبعض جنوده فقتلوا بعضهم وأسروا الملك ، واستسلمت كل الحصون وانطلق المسلمون يحررون القبائل من ملك الرومان وأعلنت تلك القبائل إسلامها كل هذا في عشرين يوماً ، ثم عاد النبي صلي الله عليه وسلم محملا بالغنائم ونشر دعوة الإسلام .

ومات إبراهيم بن النبي صلي الله عليه وسلم في هذه المدة ، وكان عمره صلي الله عليه وسلم ثلاثاً وستين عاما ، وبكي النبي صلي الله عليه وسلم لفراقه ، واقترب منه عبد الرحمن بن عوف وقال " أو لم تكن نهيت عن البكاء " وأجابه صلي الله عليه وسلم " ما عن الحزن نهيت وإنما نهيت عن رفع الصوت بالبكاء وإن ما ترون بي أثر في القلب من محبة ورحمة ومن لم يبدأ بالرحمة لم يبد غيره عليه الرحمة " ، وكسفت الشمس يوم موت إبراهيم ، فقال صلي الله عليه وسلم " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته ، أيها الناس لا ترفعوني أن أتميز عليكم لا تطروني إنما أنا بشرٌ مثلكم ، واني لأكره أن أتميز عليكم " واستعد صلي الله عليه وسلم للحج

وخطب خطبته الجامعة ودهمته الحمى ثم نزل قوله تعالي " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا " .

وعلم النبي صلي الله عليه وسلم أن الروم تعد جيشا كبيرا لحربه فجهز صلي الله عليه وسلم جيشاً بقيادة أسامة بن زيد الشاب الصغير وهناك في الجيش قادة كبار من الصحابة وقد اعترض بعض الصحابة على استعمال هذا الغلام على المهاجرين الأولين ، ولما علم رسول الله بذلك ، غضب غضبًا شديدًا ، فخرج وقد عصبَ على رأسه عصابة وعليه قطيفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال " أما بعد يا أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة بن زيد ؟ والله لئن طعنتم فى إمارتى أسامة لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبله ، وايم الله إن كان للإمارة لخليقا ، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي ، وإنهما لمخيلان لكل خير ، فاستوصوا به خيرًا ، فإنه من خياركم ".

وبمجرد خروج الجيش مرض النبي صلي الله عليه وسلم مرض الموت فانتظر جيش أسامة بالقرب من المدينة حتي لا يقوم المنافقون بعمل انقلاب .

ومن صنعه وتدبيره صلي الله عليه وسلم يوم فضل بالغنائم أناساً من أهل مكة الضعيف إيمانهم علي أناسٍ من الأنصار الذين صدقوا الإسلام وثبتوا علي الجهاد فلما غضب المفضولون لم يكن أسرع إلي إرضائهم بالحجة التي لا تغلب من مدين بها ، فقال صلي الله عليه وسلم" أوجدتم يا معشر الأنصار من لعاعة من الدنيا تألفت بهاً قوماً ليسلموا ووكلتكم إلي إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسولِ الله إلي رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار " وهذا الكلام ظاهره العتاب ولكن فيه جبرٌ لخاطرهم ، وإنما فعل ذلك حبا فيهم لأنهم إن فضلوا بالمال عليه فهو جدير بالحزن لأن مكانة الأنصار في قلبِ النبي صلي الله عليه وسلم كبيرة فهم أهل المروءة والكرم فكيف يحزنون لنقص زُخْرُفٍ من زخارف الدنيا ، وإن كان رسول الله صلي الله عليه وسلم معاتباً لهم فإنما هو عتاب الأحبة ، فكما يلوم المدرس التلميذ المجتهد ولا يلوم الآخرين .

وفاته صلى الله عليه وسلم

والنبي صلى الله عليه وسلم عظيمٌ في رحلةِ مرضه هذه يريد وهو يودع الحياة أن يوصي المسلمين بما يصلح أمورهم ، فأخذ يوصي المهاجرين والأنصار ويذكر الناس إن كان لأحد حقٌ عليه ، يخرج إليهم متوكئاً علي الفضل بن عباس ليقول للناس بعد أن يحمد الله ويثني عليه (من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستنصر مني ، ومن كنت شتمتُ له عرضاً فهذا عرضي فليستنصر مني ، ألا وإن الشحناء ليست من طبعي ، ولا من شأني ألا وإن أحبكم إلي من أخذ مني حقاً ، إن كان له فحللني فلقيتُ الله وأنا طيِّبُ النفس ، وقد أري أن هذا غير مغني عني حتي أقوم فيكم مراراً).

و رأي العباس رؤيا قصها علي النبي صلي الله عليه وسلم وكانت رؤيا العباس أنه رأي من منامه القمر وقد رفع إلي السماء ، فيقول له صلي الله عليه وسلم " إنه بن أخيك" ، ويقول لابنته فاطمة "إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وإنه عارض هذا العام مرتين وما أراه إلا حضور أجلي" وقد ابتسمت فاطمة عندما طمأنها النبي صلي الله عليه وسلم بأنها ستكون أول أهله لحاقا به قائلاً (إنك لأول أهل بيتي لحاقا بي ، ونعم السلف أنا لكِ ، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة)

وعن يوم وفاته صلي الله عليه وسلم تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :كثيرا ما سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول " إن الله لم يقبض نبياً حتي يخبره " فلما احتضر سمعته صلي الله عليه وسلم يقول " بل الرفيق الأعلي " كما كانت عادته فعهد إلي أبي بكر الصديق بذلك وقال " مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما كان يوم الاثنين الذي توفي فيه النبي صلي الله عليه وسلم ، خرج إلي المسجد في الصبح عاصباً رأسه ، فلما رآه المسلمون فرحوا به واستبشروا ، وقد أراد أبو بكر أن يخلي مكانه للنبي صلي الله عليه وسلم فرجع إلي الوراء ولكنه صلي الله عليه وسلم دفعه في ظهره قائلاً " صل بالناس" .

كانت وفاة النبي صلي الله عليه وسلم أمراً مستنكراً لم تصدقه قلوب المسلمين ، لقد وجدوا في النبي صلي الله عليه وسلم مشعل النور والعلم والإيمان ، ووجدوا فيه كل أخبار السماء التي تأتيهم ، لقد علموا أنه مريض وقد طال مرضه وهذه سنة الحياة ، ويعلمون أن نهاية المرض الموت ومع ذلك كان موته صلي الله عليه وسلم صدمةً لم تتحملها العقول العادية ، وحينما علموا بموت النبي صلي

الله عليه وسلم ذهلوا وفُجِعوا أيَّما فَجيعةٍ ، حتي سيدنا عمر بن الخطاب عندما سمع الخبر لم يصدقه وقال " من قال إنَّ محمدا قد مات لأضربنه بسيفي هذا "

أما أبو بكر فدخل علي ابنته عائشة ونظر إلي النبي صلي الله عليه وسلم فكشف عن وجهه فقبله وقال " بأبي أنت وأمي أما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موته أبداً " ثم رد عليه البرد ، ثم خرج فحمد الله وأثني عليه وقال (أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت) ثم تلا قوله تعالي (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ " آية (144) آل عمران ، فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتي تلاها أبو بكر ، وجهزوه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، حيث قبض في بيت زوجه عائشة ، رفعوا فراشه فحفروا له حفرة تحته ثم أجمعوه هناك في ليل الأربعاء سنة 11 هجرية ربيع الأول فكان مولده ووفاته وهجرته في يوم واحد .

قصائد في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم

لم ينل أحدٌ من البشر من المدح والحب والثناء ما ناله سيدنا محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم رسول الله ونبيه وحبيبه وصفيه ، وسنذكر بعضاً منهم لا كلَّها في فتراتٍ تاريخية متفاوتة :

<u>الشاعر حسان بن ثابت</u>

وأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني   وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ

خُلِقتَ مُبَرَّءً مِن كُلِّ عَيبٍ   كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

ويقول أيضا في قصيدته :

وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمهِ   إذ قَالَ في الخَمْسِ المُؤَذّنُ أشْهَدُ

وشقّ لهُ منِ اسمهِ ليجلهُ   فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

نَبيٌّ أتَانَا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَة   منَ الرسلِ والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ

فَأمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنيراً وَهَادِياً   يَلُوحُ كما لاحَ الصّقِيلُ المُهَنَّدُ

وأنذرنا ناراً وبشَّرَ جنة   وعلمنا الإسلامَ فاللهَ نحمدُ

وأنتَ إلهَ الخلقِ ربي وخالقي   بذلكَ ما عمرتُ في الناسِ أشهدُ

تَعَالَيْتَ رَبَّ الناسِ عن قَوْلِ مَن دَعا سِوَاكَ إلهاً أنْتَ أعْلَى وَأمْجَدُ

لكَ الخلقُ والنعماءُ والأمرُ كلهُ فإيّاكَ نَسْتَهْدي وإيّاكَ نَعْبُدُ .

للإمام الشافعي

يا آلَ بَيتِ رَسولِ اللهِ حُبَّكُمُ فَرضٌ مِنَ اللهِ في القُرآنِ أَنزَلَهُ

يَكفيكُمُ مِن عَظيمِ الفَخرِ أَنَّكُمُ مَن لَم يُصَلِّ عَلَيكُم لا صَلاةَ لَهُ

الشاعر كعب بن زهير في بردته الشهيرة

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

لا تَأَخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذِنبْ وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ

لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ

لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللهِ تَنويلُ

مازِلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُدَّرِعًا جُنحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ

حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

لَذاكَ أَهَيبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ

مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءَ الأُسدِ مُخدِرَةً بِبَطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غيلُ

يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَين عَيشُهُما لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَراذيلُ

إِذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لَهُ أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ

مِنهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحشِ ضامِرَةً وَلا تُمَشّي بِواديهِ الأَراجيلُ

وَلا يَزالُ بِواديهِ أَخَو ثِقَةٍ مُطَرَّحُ البَزِّ وَالدَرْسانِ مَأكولُ

إِنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلولُ

أمير الشعراء أحمد شوقي

ولد الهدى فالكائنات ضياءُ وفم الزمان تبسم وثناءُ

الروح والملأ الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي والمنتهى والسدرة العصماء

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا بالترجمان شذية غنَّاءُ

والوحي يقطر سلسلاً من سلسلٍ واللوح والقلم الرفيع رواء

نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة في اللوح واسم محمد طغراء

اسم الجلالة في بديع حروفه ألف هنالك واسم (طه) الباء

يا خير من جاء الوجود تحية من مرسلين إلى الهدى بك جاؤوا

بيت النبين الذي لا يلتقي إلا الحنائف فيه والحنفاء

خير الأبوة حازهم لك آدم دون الأنام وأحرزت حواء

هم أدركوا عز النبوة وانتهت فيها إليك العزة القعساء

خلقت لبيتك وهو مخلوق لها أن العظائم كفوها العظماء

بك بشَّرَ الله السماء فزينت وتضوعت مسكا بك الغبراء

وبدا محياك الذي قسماته حق وغرته هدى وحياء

وعليه من نور النبوة رونق ومن الخليل وهديه سيماء

أثنى المسيح عليه خلف سمائه وتهللت واهتزت العذراء

يوم يتيه على الزمان صباحه ومساؤه بمحمد وضاء

الحق عالي الركن فيه مظفر في الملك لا يعلو عليه لواء

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت وعلت على تيجانهم أصداء

والنار خاوية الجوانب حولهم خمدت ذوائبها وغاض الماء

والآي تترى والخوارق جمة   جبريل روَّاحٌ بها غدَّاءُ

نعم اليتيم بدت مخايل فضله   واليتم رزق بعضه وذكاء

الشاعر البوصيري :

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأعْرَابِ والعَجَمِ   مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

مُحَمَّدٌ باسِطُ المَعْرُوفِ جَامِعَةً   مُحَمَّدٌ صاحِبُ الإِحْسانِ والكَرَمِ

مُحَمَّدٌ تاجُ رُسْلِ اللهِ قاطِبَةً   مُحَمَّدٌ صادِقُ الأَقْوَالِ والكَلِمِ

مُحَمَّدٌ ثابِتُ المِيثاقِ حافِظُهُ   مُحَمَّدٌ طيِّبُ الأخْلاقِ والشِّيَمِ

مُحَمَّدٌ خُبِيَتْ بالنُّورِ طِينَتُهُ   مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُوراً مِنَ القِدَمِ

مُحَمَّدٌ حاكِمٌ بالعَدْلِ ذُو شَرَفٍ   مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الإنْعامِ وَالحِكَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ مِنْ مُضَرٍ   مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسْلِ اللهِ كُلِّهِمِ

مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقّ النَّذرُ بِهِ   مُحَمَّدٌ مُجْمَلٌ حَقَاً عَلَى عَلَمِ

مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لأَنْفُسِنَا   مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرْضٌ عَلَى الأُمَمِ

مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا ومُهْجَتُها   مُحَمَّدٌ كاشِفُ الغُمَّاتِ وَالظُّلَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طابَتْ مناقِبُهُ   مُحَمَّدٌ صاغَهُ الرَّحْمنُ بِالنِّعَمِ

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ البارِي وخِيرَتُهُ   مُحَمَّدٌ طاهِرٌ ساتِرُ التُّهَمِ

مُحَمَّدٌ ضاحِكٌ لِلضَّيْفِ مَكْرُمَةً   مُحَمَّدٌ جارُهُ واللهِ لَمْ يُضَمِ

مُحَمَّدٌ طابَتِ الدُّنيا ببِعْثَتِهِ   مُحَمَّدٌ جاءَ بالآياتِ والحِكَمِ

مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعْثِ النَّاسِ شَافِعُنَا   مُحَمَّدٌ نُورُهُ الهادِي مِنَ الظُّلَمِ

ويقول :

مَدْحُ النَّبيِّ أُمانُ الخائفِ الوجِلِ   فامْدَحْهُ مَرْتَجِلاً أَوْ غيرَ مُرْتَجِلِ

وَلا تُشَبِّبْ بأَوْطَانٍ وَلا دِمَنٍ ولا تُعَرِّجْ عَلَى رَبْعٍ ولا طَلَلِ
وصِفْ جَمالَ حَبيبِ اللهِ مُنْفَرِداً بِوَصْفِهِ فَهْوَ خَيْرُ الوصْفِ وَالغَزَلِ
رَيْحانَتاهُ مِنَ الزَّهْراءِ فاطِمَةٍ خَيرِ النِّسَاءِ وَمِنْ صِنْوِ الإِمامِ علي
إذا امْتَدَحْتُ نَسِيباً مِنْ سُلاَلَتِهِ فهْوَ النَّسِيبُ لِمَدْحِي سَيِّد الرُّسُلِ
مُحَمَّدٌ أَفْضَل الرُّسْل الَّذي شَهِدَتْ بِفَضْلِهِ أَنبياءُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ
لوَقِفْ عَلَة سُنَنِ المَرْضِيّ مِنْ سُنَنٍ فإِنَّ فيها شِفاءَ الخَبْلِ والخَبَلِ

ويقول :

بِمَدْحِ المصطفى تَحيا القلوبُ وَتُغْتَفَرُ الخطايا وَالذُّنوبُ
وَأَرْجُو أن أعِيشَ به سعيداً وَأَلقاهُ وَليس عَلَيَّ حُوبُ
نبيٌّ كامل الأوصافِ تَمَّتْ محاسِنُه فقيل له الحبيبُ
يُفَرِّجُ ذِكْرُهُ الكُرُباتِ عنا إذا نَزَلَتْ بساحَتِنا الكُروبُ
مدائحُه تَزيدُ القَلْبَ شَوْقاً إليه كأنها حَلْيٌ وَطيبُ
وَأَذْكُرُهُ وَلَيْلُ الخَطْبِ داجٍ عَلَيَّ فَتَنْجَلِي عني الخُطوبُ
وَصَفْتُ شمائلاً منه حِسَاناً فما أدري أمَدْحٌ أمْ نَسيبُ
وَمَنْ لي أنْ أرى منه مُحَيّاً يُسَرُّ بحسنِهِ القلْبُ الكئِيبُ
كأنَّ حديثَه زَهْرٌ نَضِيرٌ وَحاملَ زَهْرِهِ غُصْنٌ رَطيبُ
وِلِي طَرْفٌ لِمَرْآهُ مَشوقٌ وَلِي قلبٌ لِذِكْراهُ طَرُوبُ
تَبَوَّأَ قابَ قوْسَيْنِ اخْتصاصاً وَلا وَاشٍ هناكَ وَلا رقيبُ
مَناصِبُه السَّنِيَّةُ ليسَ فيها لإنسانٍ وَلا مَلَكٍ نَصِيبُ
رحيبُ الصَّدْرِ ضاقَ الكَوْنُ عما تَضَمَّنَ ذلك الصدْرُ الرحيبُ

ويقول :

كيف ترقَى رُقِيَّك الأَنبياءُ   يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ
لَمْ يُساوُوك في عُلاكَ وَقَدْ   حالَ سناً مِنك دونَهم وسَناءُ
إنّما مَثَّلُوا صِفاتِك للناس   كما مثَّلَ النجومَ الماءُ
أنتَ مِصباحُ كلِّ فضلٍ فما تَصدُرُ   إلا عن ضوئِكَ الأَضواءُ
لكَ ذاتُ العلومِ من عالِمِ الغَيبِ   ومنها لآدمَ الأَسماءُ
لم تَزَلْ في ضمائرِ الكونِ تُختَارُ   لك الأُمهاتُ الأَباءُ
ما مضتْ فَترةٌ من الرُّسْلِ إِلّا بَشَّرَتْ   قومَها بِكَ الأَنبياءُ
تتباهَى بِكَ العصورُ وَتَسْمو   بِكَ علْياءٌ بعدَها علياء
وَبَدا للوُجُودِ منك كريمٌ   من كريمٍ آباؤُه كُرماءُ

المكزون السنجاري

لِأحمد في الذِكرِ وَصفٌ عَظيمٌ   رَسولٌ نَبِيٌّ رَؤوفٌ رَحيمُ
شَهيدٌ بَشيرٌ سِراجٌ مُنيرٌ   سِميعٌ بَصيرٌ خَبيرٌ عَليمُ
نَذيرٌ مُجيرٌ وَلِيٌّ نَصيرٌ   وَساعٍ وَداعٍ وَراعٍ حَميمُ
كِتابٌ مُبينٌ قَوِيٌّ أَمينٌ   مَكانٌ مَكينٌ صِراطٌ قَويمُ
ذُكورٌ شَكورٌ صَبورٌ وَقورٌ   حَميدٌ مَجيدٌ غَفورٌ حَليمُ .

الشاعر الأحوص الأنصاري :

هَل في ادِّكارِ الحَبيبِ مِن حَرَجِ ؟   أَم هَل لِهَمِّ الفؤادِ مِن فَرَجِ ؟
أَم كَيفَ أنسي رَحيلنا حُرُماً ؟   يَومَ حَلَلنا بِالنَّخلِ مِن أَمَجِ
يَومَ يَقولُ الرَسولُ قَد أَذِنَت   فَأتِ عَلى غَيرِ رِقبَةٍ فَلِجِ

أَقبَلتُ أَسعى إِلى رِحالِهِم	في نَفحَةٍ مِن نَسيمِها الأَرِجِ

الشاعرابن جابر الأندلسي

فِي كُلِّ فَاتِحَةٍ لِّلْقَولِ مُعْتَبَرَةْ	حَقَّ الثَّنَاءُ عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْبَقَرَةْ

فِي آلِ عِمْرَانَ قِدْماً شَاعَ مَبْعَثُهُ	رِجَالُهُمْ وِالنِّسَاءُ اسْتَوضَحُوا خَبَرَه

قَدَّ مَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ نُّعْمَاهُ مَائِدَةً	عَمَّتْ فَلَيسَتْ عَلَى الْأَنْعَامِ مُقْتَصِرَهْ

الأعرَافُ مَولَاهُ مَا حَلَّ الرَّجَاءُ بِهَا	إِلَّا وَأَنْفَالُ ذَاكَ الْجُودِ مُبْتَدِرَهْ

بِهِ تَعَلَّقَ إِذْ نَادَى بِتوبَتِهِ	فِي الْبَحْرِ يُونُسُ وَالظَّلْمَاءُ مُعْتَكِرَهْ

هُودٌ وَّيُوسُفُ كَمْ خَوفٍ بِهِ أَمِنَا	وَلَنْ يُرَوِّعَ صَوتُ الرَّعْدِ مَنْ ذَكَرَهْ

جَابَ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ دَعَا	بِبَعْثِ أحمد فِي الْحِجْرِ الَّذِي عَمَرَهْ

خاتمة

بعد أن وفقنا الله في سرد ما وفقنا الله له من وصف النبي صلي الله عليه وسلم فنختم قولنا : بأنه صلي الله عليه وسلم بشرٌ ولكنه نوراً من السماء ، فضله الله واصطفاه واختاره ليكون حاملاً لمشعل النور إلي العالمين ، ولن يكون اختيار الله له إلا عن أحقية ، فهو خيار من خيار من خيار ، نطفةٌ طيبة ومنبت طيب وأرضٌ طيبة مقدسة ، وتربي في منبت الفصاحة و أصل العراقة ، ولكنه قد نال أعظم شرفٍ وهو تحمله مسئولية رسالة ربه ، وقد أداها علي أكمل وجه وأعظم أداء .

وقد أردت بهذا أن أضع نقاطاً مهمة في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم لتكون حجةً علي كل منكر ، وحجراً في وجه كل مستهتر ، وناراً في قلب كل حاقدٍ ومستهزيء .

يقول الدكتور مصطفي محمود " هذه الذات هي المعجزة واجتماع هذه الكمالات في ذات واحدة معجزة ، وليست عبقرية ، والعبقرية هي أن تتفوق في صفة واحدة ، أما أن تكون ذو مجمع

كمالات فهذه النبوة ، هذا لا يمكن أن يكون إلا بمددٍ إلهي وعصمة وتوفيق وتمكين وإعانة من عنده تعالي ، كنوز كل شيء ، وهذا برهان علي نبوَّةِ محمَّدٍ صلي الله عليه وسلم .

وقال : النبي جليس علي المائدة الربانية ، يتلقي من ربه الكلمة والتشريع والتكليف وهو معصوم لا ينطق عن الهوي ، كل لحظة شفافية وإطلالة خاطفة ، وليس له عصمةٌ ولا تكليفٌ ولا تبليغ ، والمصلح الاجتماعي من أهل الاجتهاد مثله مثلنا ، وحظه حظنا يخطئ ويصيب ولا عصمة له ولا خروج من دائرة المحسوس ، ولا تعليق إلا بالخيال والحدس والتخمين .

ويقول : إذا كانت عدة المصلح الإجتماعي هي الدراسة والخبرة والعكوف علي المراجع وأمهات الكتب ، فإن عدة النبي صلي الله عليه وسلم مختلفة تماما ، فهو في غير حاجة للدراسة والعكوف علي الكتب ، وإنما إلي إرهاف السمع إلي الكون ، وتجريد قلبه من الشواغل من التشتت في توافه الأمور ، والخروج من شد وجذب الرغبات والنزعات والشهوات ، وجمع الهمة وتركيزها في طلب شيءٍ واحد هو حقيقة الحقائق وهي الله سبحانه وتعالي .

وقال : أن تبلغ الذروة في الخطابة فأنت ديموستن ، وأن تبلغ الذروة في الشعر فأنت بيرون ، وأن تبلغ الذروة في الزعامة فأنت بركلين ، والذروة في الحكمة فأنت لقمان ، وأن تبلغ الذروة في التشريع فأنت سولون ، وأن تبلغ القمة في الفنون الحربية فأنت نابليون ، أما أن تكون كل هؤلاء وإن تمنحك الأيام في كل صفة تبلغ منها غاية المدي دون مدرس أو معلم فهو الإعجاز بعينه ، وإذا حدث فإنه لا يفسر إلا بأنها نبوةٌ ، ومدعوم من الله الوهاب وحده .

إننا أمام ذات متفردة تماماً ، مستوفية أسباب الكمال ، جامعة لأقصى الأطراف في كل شيء ، فاعلة منفعلة ، نشيطة مؤثرة ، تصنع بطلاً من كل رجل تلمسه ، وكأنما لها أثر السحر في كل ما حولها ثم فيمن بعدها ، ثم في التاريخ بطول أربعة عشر قرناً ، ثم فيما يستجد بعد ذلك من مستقبل إلى أخر الزمان ، نحن لسنا إذن أمام أبراهام لنكولن ، ولا أمام جيفارا كما تصور أصحابنا قصار النظر دعاة المادية الجدلية ودعاة العلمية بلا علمية ، نحن لسنا أمام مصلح اجتماعي ولا أمام ثورة إسبارتاكوس الاجتماعية ، لا لقد هزلت تلك التشبيهات ، بل ظلموا أنفسهم وظلموا نبيهم ، ونقصوه وما قدروه ، بل نحن أمام ذاتٍ تسبح وتقدس من أنشأها في الأزل ، وبعثها للأبد رحمةً للعالمين وصلى عليها في

عليائه ، تمجد وتبارك في آياته (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) الآية 56 الأحزاب ، صلوات الله عليك يا محمد .

وعن أثره صلي الله عليه وسلم في التاريخ البشري يقول العقاد " كان التاريخ شيئا فأصبح شيئا آخر ، توسط وليد استهل في مهده بتلك الصيحات التي سمعت في المهود عداد من هبط من الأرحام إلي هذه الغبراء ، ما أضعفها يومئذٍ صيحاتً في الهواء ، ما أقواها بعد ذلك أثراً في دوافع التاريخ ، وما أولانا أن نؤمن بها كلها كلما مضت علي ذلك المولد أجيال وأجيال ، وما أغنانا أن نبحث عنها قبل ذلك بسنين حينما بحث عنها المنجمون والعرافون ولنقل حقا كما قال تعالي " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " .

يقول بعض الكتاب : هذا محمد النبي صلي الله عليه وسلم وقد اجتمعت فيه كمالات بلغ في كل منها الذروة فهو العابد المبتهل الذي يذوب خشوعاً ، ويفني حبا وهو المقاتل الشجاع ، ومن خالطه أحبه لم أر قط قبله ولا بعده مثله .

بعد أن قضي مايكل هارت ثمانٍ وعشرين عاماً في تأليف كتابه العظماء المائة وأعظمهم محمد أعلن فى محاضرةٍ له فى لندن عن أعظم شخصيةٍ في التاريخ فقال :

وقف الرجل فى قرية صغيرةٍ هي مكة ، قال للناس فيها أنا رسول الله إليكم ، جئت لأتمم لكم مكارم الأخلاق ، فآمن معه أربعٌ زوجته وصاحبه و طفلان ، الآن بعد مرور 1400 عام عدد المسلمين تجاوز المليار و نصف و كل يوم فى ازدياد ، فلا يمكن أن يكون كاذباً لأنه ليس هناك كذبة تعيش 1400 سنة ، . ولا يمكن لأحد أبداً أن يخدع أكثر من مليار و نصف إنسان ، أمر آخر ، رغم مرور هذا الزمن الطويل ، هناك الملايين من المسلمين مستعدين للتضحية بأنفسهم فى سبيل كلمة تمسُّ نبيهم ، فهل هناكَ مسيحى واحد أو يهودي واحد يفعل ذلك من أجل نبيه أو حتى ربه ؟ إنه أعظم شخصية في التاريخ ، إنه محمد صلى الله عليه وسلم .

بعدها ساد صمت رهيب ، إجلالاً لسيد البشر صلي الله عليه وسلم .

يقول الشيخ الزنداني في كتابه أنت تسأل والشيخ الزنداني يجيب (بتصرف بسيط) : هذا النبي الذي تقوم عليه دولة ، وتنهض به أمة كما أثبت التاريخ من سير أبي بكر وعمر وخالد وأسامة وابن العاص والزبير وطلحة وسائر الصحابة الأولين ، الصنديد الذي يتعرض لجحافل الموت ثابت القدم وألوف الأبطال والفرسان يجرون أمامه كالجرذان ، وهو المخطط العبقري الذي يرسم الخطط فيتفوق علي أهل المهارة والحرفة ، السياسي الحاذق الذي يحرك المجاميع ويمسك بمقاليد المشاعر . المايسترو المبدع ، محمد صلي الله عليه وسلم ، عرفته الدنيا ولكنه ما كان كذلك إلا أنه قد أرسل من عند الله سبحانه وتعالي ، وهم يريدون أن نقتنع بالطرف الأول أنه كان مصلحا اجتماعيا وزعيما سياسيا ، ثم نقول ولم يكن رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا ما كان هكذا ، إلا أنه قد أرسل من عند الله سبحانه وتعالي ، واختاره الله لذلك ، نحن نجد الزعيم السياسي والمصلح الاجتماعي إذا أراد أن يدعو دعوة وزن المجتمع ورسم دروبه وطرقه ، ولو كان الأمر كذلك لرأينا الرسول صلي الله عليه وسلم يتوجه إلي طائفة من الناس يمنيهم الأماني ويستثير المستضعفين ، أو يحدد الذين يخرجون علي الأخلاق ، ويتكلم عن الذين يسيرون العنجهية فيعدهم ويمنيهم ويدعوهم إلي هذا الطريق ، ولكن الرسول صلي الله عليه وسلم جاء وواجه الناس صغيرهم وضعيفهم وقويهم وغنيهم وفقيرهم وتحداهم ، وفي النهاية انتصر عليهم وهداهم إلي لطريق القويم ثم نجده بعد أن دانت الجزيرة ، وأقبل الناس جميعاً يدخلون في دين الله أفواجاً تجده يضع الحجر علي بطنه ، ويرقد علي حصير ويسير بتواضع وتذلل لله .

ويقول الشيخ محمد الشرقاوي في كتابه محمدٌ رسول الحرية : في هذا الكتاب قصة الإنسان صاحب التعاليم التي كونت هذه الحضارة ، يستطيعوا أن يتجاوزوا هذه المقدمة ليقرؤا الكتاب ، إنني لم أكتب لهم هذه المقدمة ، هؤلاء السادة الذين يريدون أن يرووا في هذا الكتاب صورة الرجل النبي ، فيتفضلوا مشكورين بقراءة الكتاب نفسه عسي أن يجدوا فيه قصة إِنْسانٍ رائعٍ في البطولة ، ناضل علي الرغم من كل الظروف ضدَّ القوي الغاشمة المفترسة ، ومن أجل الإخاء البشري ، ومن أجل العدالة والحرية وكبرياء القلب المعذب ، ومن أجل الحب والرحمة ومستقبل أفضلٍ للناس جميعاً بلا

استثناء ، والذين يؤمنون بنبوته والذين لا يؤمنون بها علي السواء ، إنه ميراثهم جميعا لا ميراث الذين يؤمنون به فحسب .

ويقول أيضاً : فإذا انقضي شهر نسكه ينهض كل صباح ليحلب عنزته بيده ، ويرفض أن يدع أحدا من خدم خديجة يساعده ، كان يؤثر أن يحيا كالبسطاء كما كان قبل أن تصيب الغني من تجارته خديجة ، ينزل السوق بنفسه ليشتري ما عسي أن يحتاجوا إليه من طعام .

ويقول الجاحظ (بتصرف بسيط) : بعث الله محمد أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عزة ، فدعا أقصاها وأدناها إلي توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر أزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من تصديقه الهوى والحمية دون الجهل والحيرة ، حملهم علي حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ونصبوا له ، وهو في ذلك يجنح عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساءً ، إلي أن يعارضوه ، فكلما أراد تحديا لهم وتقريبا لعجزهم تتنزل عليه آياتٌ بيِّناتٌ تكشف عن نقصهم ما كان مستورا وتظهر ما كان خفيا .

صلي الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيرا وعلي آله وصحبه ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

نبينا محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم ، بعثه الله من البشر ، من ولد آدم ولكنه أفضل ولد آدم علي الإطلاق ، اختاره الله وهيَّأهُ ليكون حاملاً لرسالته إلي العالمين (الإنس والجن) وليكون خاتماً للأنبياء ، وكل هذا لصفاته البشرية ونطفته الذكية المطهرة ، ثم لصفاته الندية وأخلاقه العلِيَّةِ ، ولكن مع كل هذا فإن الله أتم عليه بإكمال تطهيره وتنقية سريرته وقلبه حتي تكمل به المنفعة وتتم به الرسالة أعطاه الله من الصفات والقدرات والبركات والمعجزات ما لم يعطه لغيره من البشر ، تقديرا له وتقديسا لرسالته العلية التي شرفه بها ، حتي تكون الحجة علي الناس أقوي وليكون نموذجا يهتدون به ، مر بكل التجارب التي يمر بها البشر ، وعاش حياةً مثل حياتهم ، ومر بدروبٍ قاسية وصعبة لكي يبلغ رسالة ربه ، ليكون قدوة لناً ونبراسا نسير علي نهجه ونقتدي بهديه ، لكل من كان له قلبٌ أو ألقي السمع وهو شهيد .

صلي الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيراً ، وعلي آله وصحبه ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

المراجـــع

1- القرآن الكريم .

2- صحيح مسلم .

3- صحيح البخاري .

4- سيرة بن هشام .

5- طبقات بن سعد .

6- السيرة النبوية لابن إسحاق .

7- كتاب الشفاء .

8- مسند الإمام أحمد .

9- دلائل الإعجاز للباقلاني .

10- مغازي الواقدي .

11- جوامع الكلم .

12- الرحيق المختوم ، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر ، 1422هـ

13- فقه السيرة ، لمحمد الغزالي السقا ، دار القلم دمشق ، الطبعة الاولي 1427 هـ

14- علم النفس القرآني ، د/ مصطفي محمود ، دار المعارف 1997 م

15- معجزات الرسول ودلائل نبوته ، الشيخ إبراهيم جلهوم ، الدار المصرية اللبنانية ، 1993م
16- مطلع النور ، عباس محمود العقاد ، منشورات دار الكتب بيروت .
17- عبقرية محمد ،عباس محمود العقاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2013 م
18- معجزات الرسول ، لابن كثير ، تحقيق محمد عبد العزيز الهلاوي 1999م
19- دراسات في الأدب الإسلامي، زكريا عبدالمجيد النوتي ، ايتراك للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2004 م
20- محمد رسول الحرية ، عبد الرحمن الشرقاوي دار الشعب، 1972 م
21- البيان التبيين للجاحظ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .1990 م
22- مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب العمري ، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة: الثالثة ، 1985 م
23- رحمةٌ للعالمين ، محمد سليمان المنصورفوري ، دار السلام ، 1998م
24- زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، دار ابن حزم ،ودار الوفاء ، 2011م
25- عبقرية محمد ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1971 م
26- عين اليقين في سيرة خير المرسلين ، محمد خضر ، طبعة مصر 1897م
27- قالوا عن النبي صلي الله عليه وسلم ، عبده مباشر ، أخبار اليوم
28- محمد قائد الامم ، د/ إسماعيل حلمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 م
29- طريق النبوة والرسالة ، د/ حسين مؤنس ، دار الرشاد ، 1997 م
30- تفهيم القران ، أبو الأعلي المودودي ،طبعة دلهي 1952 م
31- البيان النبوي ، محمد رجب البيومي دار الوفاء ،1987م
32- كتاب التاج في أخلاق الملوك ، الجاحظ ، المطبعة الأميرية 1914م
33- خاتم النبيين ، الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، 1425 هـ
34- تفسير المنار ، الإمام محمد عبده ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م
35- حاجة الإنسانية إلي ظهور الإسلام ، أحمد عبد الرحمن السايح الدار المصرية اللبنانية ، 1993م
36- مع النبي في رمضان ، سامح كريم ، أخبار اليوم ، 2010 م
37- مع المصطفي ، د/ عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف 1999م
38- بحث جديد في القرآن ، محمد صبيح ، دار الشروق 1983م
39- أنت تسأل والسيخ الزنداني يجيب ، الشيخ عبد المجيد الزنداني مكتبة القران 1999م
40- أوصاف النبي ، شرح واختصار شمائل الترمذي، للإمام الترمذي ، تحقيق سميح عباس ،

دار الجيل ، 2000 م

41- فقه السيرة النبوية ، د/ محمد سعيد البوطي ، دار السلام ، 2012 م

42- الطب النبوي ، بن قيم الجوزية ، دار الجيل ، 1998 م

43- أخلاق النبي وآدابه ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصفهاني ، المتوفى سنة 369 هـ، تحقيق أحمد محمد مرسي، مكتبة النهضة ، القاهرة 1972 م.

44- إنجيل برنابا .

45- 2503http://portal.femtolayer.com/?p=

الفهـرس